من داخل السجن ٦

رسول الرحمة

أستاذ البصيرة عبد الوهاب حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

دار الوفاء للثقافة والإعلام

اسم الكتاب: رسول الرحمة
المؤلف: الأستاذ عبدالوهاب حسين
نشر: دار الوفاء للثقافة والإعلام
الطبعة الأولى: نوفمبر٢٠٢٠ - ربيع الأول ١٤٤٢ هـ
البريد الالكتروني:
dar@al-wafa.net

الفهرس

مقدمة الناشر ١١

مقدمة المؤلف ١٥

نبذة تعريفية مختصرة بالرسول

أولاً: البطاقة الشخصية ١٧

الاسم والنسب ١٧

أمّه ١٨

تاريخ الميلاد ١٨

زوجاته - أمهات المؤمنين ١٨

أولاده ٢١

ثانياً: ملامح من سيرته الشريفة ٢٢

سفره الأول إلى الشام ٢٣

حلف الفضول ٢٤

سفره إلى الشام للتجارة ٢٤
نصب الحجر الأسود ٢٦
البعثة الشريفة بالرسالة ٢٨
مقاومة قريش للرسالة ٣٠
الهجرة إلى الحبشة ٣٣
حصار الشعب ٣٥
وفاة أبي طالب وخديجة ٣٦
الهجرة إلى الطائف ٣٧
الهجرة إلى المدينة المنورة ٣٨
تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة ٤٠
صلح الحديبية وفتح مكة ٤٢
ثالثاً: أهم المعارك التي خاضها الرسول ٤٤
معركة بدر الكبرى ٤٤
معركة أحد ٤٥
غزوة بني النضير من اليهود ٤٥
غزوة الأحزاب (الخندق) ٤٦
غزوة بني قريظة من اليهود ٤٦
معركة مؤتة ضد الروم ٤٧
غزوة حنين ضد قبيلتي هوازن وثقيف ٤٨

غزوة تبوك ضد الروم ٤٨
تعبئة جيش أسامة ٤٩
وفاة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ ٥٠

النبي محمد ﷺ رسول الرحمة

بيان المفردات ٥٥
الرسالة والرسول ٥٥
الرحمة ٥٨
العالَم ٦٢
المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآية ٦٨
الأوجه المختلفة لكون الرسول رحمة ٧١
الرسالة رحمة في الدين والدنيا ٧٦
بحث حول الحاجة إلى النبوة ٨٦
طريق كمال الإنسان وسعادته ٨٧
مقومات طريقَي الهداية والضلال ٩٣
شروط الاختيار الواعي ٩٥
الوسائل الإلهية لهداية الإنسان ٩٦
ترك وسائل الهداية نقض لغاية الخلق ٩٩
تأكيد القرآن على هدفية الخلق ١٠٣

المضامين العامة للآيات الكريمة ١٠٤
قاعدة اللطف تقتضي بعث الأنبياء ١٠٩
مقضيات اللطف الإلهي ١١٦
الحياة الاجتماعية والحاجة إلى الوحي ١٢٥
نتائج مهمة تترتب على حركة الأنبياء ١٣٥
بحث روائي مختصر ١٣٩

مصادر الرحمة في الرسالة المحمدية

أولاً: أنها أنزلت بمقتضى الرحمة الإلهية ١٤٧
ثانياً: المقومات الأساسية الجوهرية في الرسالة ١٦٥
المقوم الأول: الاستقامة ١٦٥
معنى المستقيم والاستقامة ١٦٥
الأفكار الرئيسية والمضامين العامة للآيات ١٦٧
النقطة الأولى: الدين الإسلامي هو الدين الإلهي الحق ١٦٧
النقطة الثانية: الالتزام بالدين الإلهي ١٧٠
نتائج سلبية تترتب على مخالفة الدين الالهي ١٧٢
أسباب الضيق النفسي والعملي لغير المؤمن ١٧٥
تضاعف المشكلة في الحالة الاجتماعية ١٨٢
النقطة الثالثة: البراءة من الطواغيت ١٨٨

النقطة الرابعة: الفوز بالجنة ١٩٠
سبيل الهداية سبيل واحد ١٩٤
النقطة الخامسة: الرجوع إلى الله ١٩٨
المقوّم الثاني: الاعتدال والوسطية ١٩٩
معنى العدل والاعتدال والعدالة ٢٠٠
معنى الوسط والوسطية ٢١٠
معنى الشهادة والشهيد ٢١٣
الأفكار الرئيسية والمضامين العامة للآية ٢١٧
المقوم الثالث: العالمية والشمول والخاتمية ٢٥١
النقطة الأولى: العالمية ٢٥١
نتائج مهمة ٢٦٢
النقطة الثانية: الشمولية ٢٦٨
مقومات الشمولية: ٢٧٢
النقطة الثالثة: الخاتمية والخلود ٢٨٢
مقوّمات الخاتمية ٣٠٠
ثالثاً: اتصاف الرسول بحسن الخلق ٣٤٠
بيان المفردات ٣٤٠
الخلق: ٣٤٠
العظيم: ٣٥٣

الأفكار الرئيسية والمضامين العامة للآية ٣٥٧
الرسول مثال الإنسانية الكاملة ٣٦١
المراد بالخلق العظيم عند الرسول ٣٦٤
مظاهر وتجلّيات أخلاق الرسول ٣٧٣
نتائج مهمة ٣٨٨
الأقوال حول إلزامية الشورى ٣٩٠
صفات الرسول وأخلاقه ٣٩٥
مقتضيات رسالة الدعوة في الأمة ٤٠٠
أولاً: اتصاف الأمة بالاعتدال والوسطية ٤٠٠
ثانياً: تمسك الأمة بالدعوة إلى دين الله ٤٠١
ثالثاً: الحكم في الأمة بما أنزل الله ٤١٣
رابعاً: اتصاف المسلمين بالأخلاق الفاضلة ٤١٧
خامساً: تحلي المسلمين بالعدل والميل إلى السلم .. ٤٢٩
الأفكار الرئيسية والمضامين العامة للآيات ٤٣١
حث المسلمين على أن يكونوا أقوياء ٤٣١
حث المسلمين على العناية بأمر الشهادة ٤٣٦
حث المسلمين على تحري طريق الحق والعدالة ٤٤٦
التحذير من التبريرات الوهمية ٤٤٩
حث المسلمين على التعاون على البر والتقوى ... ٤٥٠

حث المسلمين على إعداد القوة ٤٥٤
حث المسلمين على الجنوح للسلم ٤٥٧
تنبيه المسلمين على أن لا شيء يضيع من عملهم ٤٦٥
الطريق إلى تحقيق المقتضيات المطلوبة ٤٦٦

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة والسلام على محمدٍ وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين

إن لمعرفة شخصية الرسول الأعظم ﷺ أهمية كبيرة في تبيان الطريق نحو الهداية الإلهية والسير إلى الله سبحانه وتعالى، فمن خلال معرفة الشخصية المحمديّة يتضح لنا المنهج الثوري الذي سعى من خلاله الرسول الأعظم ﷺ لتحقيق الحكومة الإسلامية.

كُتب هذا الكتاب من خلف قضبان السجون الخليفية، بقلم أصيل من أقلام النهج المحمّدي ليكشف زيف الحكومة الخليفية التي تسير الآن بشكلٍ معاكس لمنهج رسول الله ﷺ، التي تطبّع مع الكيان الصهيوني الغاصب لأرض فلسطين المقدسة، وتوالي هذا الكيان المعادي للإسلام، وتقمع الشعب لمطالبته بالعدل وتحرير الإنسان من عبودية الظلم والخضوع لشياطين الإنس والجان، وهو هدف وغاية رسول الله في صدر الإسلام.

ومؤلف هذا الكتاب هو القائد الشعبي الكبير أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين، الذي سعى بعلمه وعمله وبصيرته لتطبيق منهج رسول الله ﷺ في أرض أوال الحبيبة، وها هو الآن ماضٍ

على هذا الطريق من خلال قلمه البارع.

وقد رأينا بأنه من المناسب تدشين هذا الكتاب القيّم في أسبوع الوحدة الإسلامية الذي أطلقه الإمام روح الله الخميني الراحل ﷳ، وهو الكتاب الثاني للمؤلف من داخل السجون الخليفية، سائلين المولى ﷻ الفرج القريب لأستاذنا الكبير عبدالوهاب حسين ولجميع المعتقلين.

والحمدلله رب العالمين

دار الوفاء للثقافة والإعلام

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين

هذه المقالات كُتبت في أوقات متفرقة ومتباعدة وعلى غير انتظام، وفي حالات مختلفة. فبعضها كُتب بمناسبة خاطرة أو سؤال أو قراءة أو سماع موضوع ونحو ذلك، وبعضها كُتب في حالة شعوري بالوهن بسبب المرض، فلا تكون لي الطاقة على البحوث الطويلة ولا

طاقة لي على الفراغ، أو حين أشعر بالوهن بسبب المرض ويطول بي الانقطاع عن القراءة والكتابة لأيام عديدة، فإذا شعرت بالتعافي ولا طاقة لي على البحوث الطويلة ولا على الفراغ، فإني ألجأ إلى كتابة هذه المواضيع أو المقالات القصيرة لقطع التعطل والخروج من الفراغ .. فلا وحدة بينها في الموضوع ولا رابطة إلا رابطة الحب والإخلاص، وقد رأيت بحسب تقديري أن فيها فائدة، فكنت أجمعها، إلا أني تركت مراجعتها وترتيبها للمحبين الأعزاء.[1]

عبدالوهاب حسين

البحرين - سجن جو

١- ملاحظة: قد كَتَبَ الأستاذ المجاهد عبدالوهاب حسين عدة مواضيع ووضعها في كتاب واحد؛ فقام دار الوفاء بفصل المواضيع عن بعضها البعض لطباعتها منفصلة، وكتاب رسول الرحمة هو الكتاب الثاني من المواضيع التي كتبها الأستاذ المجاهد من داخل السجن، إذ تم نشر الموضوع الأول تحت عنوان الإسلام والعلمانية.

نبذة تعريفية مختصرة بالرسول

أولاً: البطاقة الشخصية

الاسم والنسب

محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن مرة بن كعب بن لـؤي بـن غالب بن فهربن مالك بن النضربن كنانة بـن خزيمـة بن مدركة بن إلياس بـن مضربن نزار بن سـعد بـن عدنـان بـن أدر، وينتهي نسـبه الشـريف إلى إسـماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام، توفي والده

عبدالله وهو في بطن أمه.

أمّه

آمنة بنت وهب بن زهرة بن حكيم (الجد الخامس للنبي) من بني النجار في يثرب، وهي من أشرف بيوت قريش، توفيت وهو في السادسة من عمره الشريف.

تاريخ الميلاد

١٧/ ربيع الأول / ٥٣ ق هـ(٥٧٠م / عام الفيل).

زوجاته - أمهات المؤمنين

١. خديجة بنت خويلد تزوجها وعمره الشريف خمسة وعشرون سنة، وكانت أول امرأة تزوجها، وكانت أفضل نسائه، ولم يتزوج عليها حتى ماتت قبل هجرته بثلاث

سنين في العام العاشر بعد البعثة.

٢. سودة بنت زمعة: تزوجها بعد وفاة خديجة، وكانت أرملة.

٣. عائشة بنت أبي بكر: تزوجها وهي في التاسعة من عمرها، وكانت الوحيدة البكر بين نسائه.

٤. حفصة بنت عمر بن الخطاب: تزوجها وهي أرملة.

٥. (أم حبيبة) رملة بنت أبي سفيان: تزوجها وهي أرملة.

٦. (أم سلمة) هند بنت أبي أمية: تزوجها وهي أرملة.

٧. زينب بنت جحش: ابنة عمّه، وكانت

مطلقة ابنه بالتبني: زيد بن حارثة، تزوجها لإبطال بعض العادات الجاهلية.

٨. جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار: بنت زعيم بني المطلق من اليهود، تزوجها من أجل تأليف قلوب قومها على الإسلام.

٩. صفية بنت حي بن أخطب: بنت زعيم بني النضير من اليهود، تزوجها من أجل أن يستميل قومها للإسلام.

١٠. مارية بنت شمعون القبطية: أهديت له، وهي أم ولده إبراهيم.

١١. ريحانة ابنة زيد القرظية: كانت سرية.

١٢. ميمونة بنت الحارث الهلالية: تزوجها وهي أرملة إكراماً لعشيرتها الذين آزروه ونصروه، وكانت آخر أزواجه.

أولاده

١. فاطمة الزهراء عليها السلام: أمها خديجة.

٢. القاسم، والطيب، والطاهر، عبدالله، أمهم خديجة بنت خويلد، وقد توفوا جميعاً وهم صغار.

٣. إبراهيم: أمه مارية ابنة شمعون القبطية، وقد توفي وهو في العام الثاني من عمره.

أما زينب ورقية فهما ابنتا هالة أخت خديجة على الأرجح، وقد كفلتهما وتبنتهما خديجة بعد وفاة أمهما.

ثانياً: ملامح من سيرته الشريفة

توفي والده عن عمر يقدر بخمسة وعشرين سنة، وكان محمد صلى الله عليه وآله جنيناً في بطن أمه،

وتوفيت والدته وله من العمر ست سنوات، فعاش يتيم الأبوين، وكفله جده عبدالمطلب لمدة ثمان سنوات، وكان على بصيرة من شأنه وأمر نبوته، ثم كفله عمه أبوطالب بوصية من جده عبدالمطلب، وكان شقيقاً لأبيه عبدالله من أمّه وأبيه، وكان رغم فقره أنبل إخوته وأكرمهم وأكثرهم مكانة واحتراماً في قريش، وأكثرهم بصيرة في شأن محمد صلى الله عليه وآله ونبوته، وكان مع زوجته فاطمة بنت أسد، يقيان محمداً صلى الله عليه وآله بنفسيهما، ويؤثرانه على أبنائهما في الكسوة والنفقة، وقد بقى مع عمه أبي طالب إلى حين زواجه بخديجة بنت خويلد، وكان عمره الشريف خمسة وعشرين سنة.

سفره الأول إلى الشام

سافر مع عمّه للمرة الأولى إلى الشام للتجارة،

وكان في الثانية عشر من عمره الشريف، والتقى في الطريق ببحيري الراهب النصراني، فعرفه حيث وجد فيه علامات النبي الخاتم التي قرأها في كتب النصرانية، فاحتفى به وأوصى عمّه به، وكشف لعمّه عن تربُّص اليهود به الدوائر وخطرهم عليه، وهذا مما يكشف عن علم عمّه أبي طالب بشأن نبوته وبصيرته فيه.

وقيل: أنه رعى الأغنام، وكان ذلك على طريق الإعداد الإلهي له لتحمّل مسؤولية أعباء الرسالة والتربية للمؤمنين، والصبر على رعاية الناس وتدبير أمورهم وإرشادهم وهدايتهم لطريق الحق.

حلف الفضول

حضر ﷺ حلف الفضول وهو في العشرين من عمره الشريف تقريباً، وهو الحلف الذي عرف بأنه

أشرف حلف شهده العهد الجاهلي، وقد ضم بني هاشم وزهرة وتميم وبني أسد، وقد تحالفوا على أمور، منها: نصرة المظلوم، والنهي عن المنكر، وقد أثنى النبي ﷺ على هذا الحلف بعد نبوته، وأيّد القيم التي قام عليها وأقرّها، فقال: «ما أحب أن لي بحلف حضرته في دار ابن جذعان حمر النعم، ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»[1].

سفره إلى الشام للتجارة

وقد سافرإلى الشام للتجارة (المضاربة) بأموال خديجة بنت خويلد وهو في الخامسة والعشرين من عمره الشريف، وكان بصحبته ميسرة غلام خديجة، وقد استطاع محمد ﷺ بحسن أخلاقه وصالح أعماله وفعاله وحنكته وأمانته وصدقه

١- تاريخ اليعقوبي، جزء ١، صفحة ٣٣٨

أن يربـح الربح الوفيـر، فلما عادا إلى مكة المكرمة أخبـر ميسرة سـيدته خديجة بما كان قد شـاهده مـن أخـلاق وصفات وأفعـال محمـد ﷺ، فتعلق قلبها به ومالت إليه ورغبت في الاقتران به والزواج منـه، فصارحتـه بذلك لمّا عرفت عنـه من خلق رفيـع وصفات حميدة، بالإضافة إلى كونه سـليل أسـرة شـريفة ظاهرة الكرم، وكانت من خيرة نسـاء قريـش وأرجحهـن عقـلاً، ومـن أسـرة عريقـة وغاية في الشـرف والنبل، وكانت تدعى الطاهرة وسيدة قريش، فاسـتجاب محمد ﷺ لرغبتـه بكل فخر وسـرور وتزوجهـا، وكان ذلـك قبل البعثة بخمسـة عشرة سنة تقريباً.

نصب الحجر الأسود

كمـا ارتضتـه القبائـل المتنازعـة بشـأن نصـب

الحجر الأسود الشريف في مكانه من الكعبة المشرفة، أثناء تجديد بنائها بعد أن هدمها السيل، حيث أنهم لما بلغوا إلى موضع الحجر الأسود في البناء اختلفوا حول من يضعه في مكانه، وكانت كل قبيلة تريد أن تختص بهذا الشرف العظيم، ليكون لها ذخراً وشرفاً تذكر به في التاريخ، فاجتمعوا واتفقوا على أن يكون أول داخل على الاجتماع هو الحكم بينهم، وتعاهدوا على الالتزام جميعهم بحكمه، فساق الله جلّ جلاله إليهم محمداً صلى الله عليه وآله وكان في الخامسة والثلاثين من عمره الشريف، أي: قبل البعثة بخمس سنوات، وكان يعرف عندهم بسمو أخلاقه، ويسمى الصادق الأمين منذ نعومة أظفاره، فكان أول من دخل عليهم، فاستبشروا خيراً وقالوا: هذا

الأميـن، قـد رضينا به. وبعد أن سـمع منهم جعل الحجر الأسود في ثوب وطلب أن يأخذ كل زعيم قبيلـة بناحية من الثـوب وأن يرفعوه جميعاً، فلما حاذوا موضع الحجر، أخذه بيده الشريفة المباركة ووضعه حيث يجـب أن يكون، وكان لهذا التدبير الحكيـم فـي حلِّ الخـلاف أثر كبير ومؤثـر جداً في نفوس تلك القبائل، وكشـف لهم أكثر عن سـلامة نفس محمد ﷺ ونزاهته وأمانته وحكمته وقدراته وكفاءتـه القياديـة، وكمالاتـه الروحيـة والأخلاقيـة وعلـو مقاماتـه، وأنـه يتوفر بحق وحقيقـة على كل متطلبات حمل الرسالة الإلهية.

البعثة الشريفة بالرسالة

ولمـا بلـغ محمـد ﷺ أربعيـن سـنة مـن عمـره الشـريف، بعثـه الله جلّ جلاله للناس بشـيراً ونذيراً، قول

الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وكان أوّل نزول الوحي عليه وهو يتعبد في غار حراء، بتاريخ ٢٧ رجب ١٣ ق هـ (٦١٠ م)، وقد بدأ دعوته سراً، وكانت البداية مع أهل بيته، فآمن به ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام وزوجته خديجة بنت خويلد، وكانا أوّل من صلّى معه، ثم لحق بهما ابنه بالتبني: زيد بن حارثة، وبعد مضي ثلاث أو خمس سنوات، أمره ربه جلّ جلاله بإنذار عشيرته الأقربين، قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2] ثم أمره ربه جلّ جلاله بالإيذاع، وأن يدعوا إلى الإسلام الحنيف علانية، قول الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

١- سبأ: ٢٨

٢- الشعراء: ٢١٤-٢١٥

﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ
٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[1]

فتحرك الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله صادعاً بدين الله الحق، بعزيمة راسخة، وهوعلى ثقة مطلقة بربّه ربِّ العالمين سبحانه وتعالى، فاستجاب له في البداية الفقراء والمستضعفون واستجاب له من الأشراف، من كان منهم ذا نفس طيبة زاكية وعقل متنوّر منفتح، ممّا يدلّ على أنَّ الإسلام الحنيف لم ينتشر بالسيف والقوة، وإنما بالعقل والمنطق والإقناع والوجدان، وقد اتخذ الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله دار الأرقم بن الأرقم المخزومي مقراً للتعليم والتربية وتنسيق أنشطة الدعوة.

١- الحجر: ٩٤-٩٦

مقاومة قريش للرسالة

وفي ظل انتشار الدعوة وتزايد أعداد المؤمنين من العرب وغيرهم، شعرت قريش بخطر العاصفة المحدق على معتقداتها الدينية ونظامها السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعلى مكانتها ومصالحها المادية والمعنوية، حيث كانت لها الزعامة على القبائل العربية في الجزيرة، وكانت القائمة على شؤون الكعبة المشرفة، وكانت القرابين تقدم للأصنام التي كانت في الكعبة، وفي ذلك مصلحة مادية (اقتصادية) ومصلحة معنوية وأدبية تتعلق بالزعامة والمكانة بين القبائل، وعليه نظرت قريش إلى محمد ﷺ نظرة الخارج على نظامها وعاداتها وتقاليدها ودينها، ويمثل تهديداً جدياً

وخطراً على مصالحها ومكانتها، فصممت على مقاومته ومحاربته، فكانت المواجهة بينها وبينه، وبدأت قريش في وضع العراقيل في طريق الدعوة والرسالة، وبالنظر إلى دخول أعداد كبيرة من العرب من قبائل شتى، ومن غير العرب في الدين الإسلامي الحنيف، فقد أدركت قريش عدم قدرتها وتمكنها من تحطيم الرسالة و إيقاف مدّ الدعوة والقضاء عليها، فأظهرت غيظها، ولكنها توسلت في البداية بالوسائل السلمية وغير العنيفة، فذهبوا إلى أبي طالب حامي الرسول وكافله، وطلبوا منه أن يضع حداً لابن أخيه الذي سفّه أحلامهم وعاب دينهم، فردّهم أبوطالب بحكمته رداً جميلاً، وحاول تهدئتهم واحتواء الموقف وتسكين غضبهم، وعرض

الأمر على ابن أخيه، فأصر على المضي قدماً في التبليغ برسالة ربه مهما كانت الظروف والنتائج، ولم يخضع لإغراءاتهم وتهديداتهم، وقابلها بثقة مطلقة ومطمئنة، فقال لعمه: «ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته» فتعاطف معه عمّه وأصرّ على مناصرته، فقال له: «اذهب يا ابن أخي، فقل ما أحببت، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً» ثم جمع بني هاشم وبني عبدالمطلب ودعاهم للذبِّ عن رسول الله ﷺ ومناصرته، فاستجابوا له أجمعين ماعدا أبي لهب.

ولما فشلت الأساليب والوسائل السلمية في ثني الرسول الأعظم الأكرم ﷺ عما أصرّ عليه من

الاستمرار في الدعوة والقيام عليها، لجأت قريش إلى أساليب العنف والقوة لمواجهة الرسالة بهدف القضاء عليها وحماية مصالحهم المادية والمعنوية، فوثبت كل قبيلة على من كان فيها من المسلمين المستضعفين، فجعلوا يحبسونهم ويذيقونهم صنوف العذاب المؤلم المادي والنفسي، ويقتلونهم ظلماً وعدواناً؛ ليفتنوهم عن دين الله الحق، ولكن بدون فائدة تذكر.

الهجرة إلى الحبشة

وبعد عامين من الصدع بالرسالة وتزايد عنف قريش وقسوتها ضد المسلمين، وعدم توفر الإمكانيات لحمايتهم، وعدم ميل الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله للقتال، وعدم رغبته فيه من أجل المحافظة على الطلائع المؤمنة وعدم

التفريط فيها بسبب الحاجة الضرورية لوجودها لبقاء الرسالة واستمرارها وانتشارها، ومن أجل ترسيخ الإيمان والعقيدة على أساس العقل والمنطق والقناعة والوجدان، فقد لجأ الرسول الأعظم الأكرم ﷺ إلى حثِّ المسلمين على الهجرة إلى الحبشة؛ لأنَّ فيها ملكاً عادلاً لا يظلم أحد في دولته وهو النجاشي، وذلك بهدف المحافظة عليهم من الهلاك، وإيجاد مركز جديد لانطلاق الرسالة وانتشارها وتمكنها.

فاجتمع بأرض الحبشة ثلاثة وثمانون مهاجراً، وثمان عشرة مهاجرة، عدا من كان معهم من أبنائهم الصغار، وقد أحسن النجاشي استقبالهم ومعاملتهم، ولم تفلح مساعي قريش لتغييره عليهم، وكان رئيسهم في الحبشة جعفر بن أبي

طالب (الطيار) الذي بقى في الحبشـة حتى سنة (٧هـ).

حصار الشعب

ومـع تزايـد أعـداد المسـلمين وفشـل قريش في الحـدِّ من انتشـار الدعوة، لجـأت قريش في العام السـابع بعـد البعثـة إلـى فـرض الحصار الشـامل علـى عشـيرة النبـي ﷺ، وهـم: بنـو هاشـم وبنـو عبدالمطلـب، ومقاطعتهـم مقاطعة تامّة شـاملة، فـلا يتزوجـون منهـم ولا يزوّجوهـم، ولا يبيعوهـم شـيئاً ولا يبتاعون منهـم ونحو ذلك، وكتبوا بذلك صحيفـة ووضعوها في جوف الكعبـة، فانحاز بنو هاشم وبنو عبدالمطلب ومن معهم من المسلمين إلى شـعب أبـي طالب، واسـتمر الحصـار عليهم لمـدة ثلاث سـنوات، ثـم فـك الله عز وجل عنهم ذلك

بتلف الصحيفة، وقيام نفر من الشرفاء بدعوة إلى فكّه.

وفاة أبي طالب وخديجة

وفي السنة العاشرة من بعد البعثة الشريفة المباركة، وبعد فك الحصار توفي حامي الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وكافله أبو طالب، وبعده بأيام قلائل توفيت شريكة حياته وأنيسته في الحياة زوجته العظيمة خديجة بنت خويلد، ومثّل فقدهما مصيبة عظيمة للمسلمين، وسمي العام عام الحزن، وفي هذا العام العاشر بعد البعثة الشريفة كان الإسراء والمعراج، الحدث العظيم الذي وجد فيه الرسول الأعظم الأكرم ﷺ السلوى لفقده أعظم ناصرين له في مكة المكرمة قبل الهجرة، قول الله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ

بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

الهجرة إلى الطائف

وفي نفس العام هاجر إلى الطائف بحثاً عن قاعدة جديدة أكثر أمناً لانطلاقة الرسالة وانتشارها وتمكنها، وكسر الحصار المفروض عليها من قريش الباغية الطاغية في مكة، وكان في رفقته ابنه بالتبني الوفي زيد بن حارثة، إلّا أنّه لم يجد استجابة وأعواناً في هذه المدينة المجاورة لمكة المكرمة، والمتأثرة بأجوائها، وعلى العكس من ذلك، فقد أغروا به سفهاءهم وعبيدهم الذين بالغوا في إيذائه وإيلامه، فجلس إلى جذع شجرة

١- الإسراء: ١

وهو دامي، فنادى ربه بقوله: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني؟! إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي**»[1].

الهجرة إلى المدينة المنورة

وفي موسم الحج حيث كان يعرض نفسه على القبائل، التقى بجماعة (ستة رجال) من يثرب من الخزرج من بني عفراء فآمنوا به، وعادوا إلى يثرب (المدينة المنورة) ونشروا الدين الجديد فيها، وفي العام التالي، وهو العام الحادي عشر بعد البعثة الشريفة، قدم وفد من الأوس والخزرج،

١- بحار الأنوار، جزء ١٩، صفحة ٧

وهم اثنا عشر رجلاً، التقوا سرّاً برسول الله ﷺ في العقبة وبايعوه بيعة العقبة الأولى، وأرسل معهم مصعب بن عمير، وكان في العشرين من عمره تقريباً لكي يتولى مسؤولية التبليغ والتثقيف، وفي السنة التالية وهي السنة الثانية عشر بعد البعثة الشريفة قدم وفد كبير من المسلمين من يثرب، وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتين، والتقوا مع الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وبايعوه بيعة العقبة الثانية على النصرة، وجعل عليهم اثني عشر نقيباً، منهم: تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ليكونوا على قومهم، وقد نشروا الدين الإسلامي الحنيف في يثرب، ومهدوا الطريق إلى هجرة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ عليهم إليها، وقد بدأت الهجرة الجماعية للمسلمين إلى يثرب، ثم هاجر

الرسول ﷺ بعد أن كادت به قريش لتقتله علانية، إذ دخلها اليأس من قدرتها على القضاء على دينه وإيقاف مدّ دعوته الجارف مع بقائه حياً، فأخبره الله ﷻ بذلك، وأمره بالهجرة إلى يثرب، فامتثل أمر ربه فهاجر، ودخل المدينة، بتاريخ: ١ ربيع الأول ١هـ وجعل هجرته مبدأً للتاريخ الإسلامي.

تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة

بعد الهجرة الشريفة المباركة إلى المدينة المنورة غيّر الرسول الأعظم الأكرم ﷺ اسم يثرب إلى طيبة، وشرع في تأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة وبناء نظامها السياسي والاجتماعي والثقافي والديني الذي تحكمه قوانين السماء والشريعة الإسلامية وقيمها ومبادئها، فبنى مسجده الشريف وجعله مركزاً

للعبادة ولإدارة نشاطه وحكومته، وآخى بين المهاجرين والأنصارلتبنى العلاقة بين المسلمين على أساس الدين والقيم، وإزالة الفوارق الطبقية والعرقية والقبلية من بينهم، ووضع صحيفة لتنظيم علاقة القبائل مع بعضهم البعض، تضمنت الخطوط العامة العريضة لأول نظام إداري وحكومي إسلامي، ويحفظ حقوق الجميع، ويرسخ دعائم الأمن في المجتمع والدولة، واتسق في ظله جميع المكونات تحت حكم الإسلام وقوانينه وقيادة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وأمضى معاهدة مع بطون اليهود تضمن حرية الدين والعقيدة والضمير، وتحفظ دعائم الأمن والاستقرار في الدولة تحت قيادة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وتوالى نزول القرآن الكريم بالمعارف

الحقة وبيان الأحكام الشرعية، ثم بادر إلى وضع الترتيبات العسكرية اللازمة للدفاع عن الدولة الإسلامية الفتية والرسالة الإلهية وحفظ أمنها الخارجي، وقد استهدفتها قوتان بالشر، وهما قريش وحلفائها من خارج المدينة، واليهود مع حلفائهم المنافقين من داخل المدينة، وقد بعث الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بالسرايا، وخاض الحروب والمعارك الضارية، وقدم الشهداء من أجل بلوغ أهداف الرسالة.

صلح الحديبية وفتح مكة

في السنة السادسة للهجرة الشريفة عقد صلح الحديبية مع قريش، وقد نص ميثاق الصلح على هدنة مدتها عشر سنين، وإفساح المجال لكل من يريد الدخول في عهد محمد صلى الله عليه وآله أو في

عهد قريش، وأن يعود الرسول ﷺ إلى المدينة ولا يدخل مكة للعمرة في ذلك العام، على أن يدخلها وتخلّى له لمدة ثلاثة أيام في العام التالي، وبعد هذا الصلح الذي سمّاه القرآن الكريم فتحاً، قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾[1] دخل الناس أفواجاً في الدين الإسلامي الحنيف، وبعث في ظلّه الرسائل والسفراء إلى حكّام وملوك الدول الكبرى آنذاك، مثل: قيصر ملك الروم، وكسرى ملك الفرس، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس حاكم مصر، وزعماء القبائل والحاضرات في الجزيرة العربية وغيرهم.

١- الفتح: ١-٢

وبتاريخ: ٢٠ رمضان ٨ هـ تمكن من فتح مكة المكرمة وتصفية قواعد الشرك في شبه الجزيرة العربية، وبسط الإسلام سيطرته على الجزيرة برمتها، وذلك بعد أن نقضت قريش بنود صلح الحديبية بالإعتداء على ولاة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ.

ثالثاً: أهم المعارك التي خاضها الرسول

خاض الرسول الأعظم الأكرم ﷺ العديد من المعارك في حياته الشريفة، دفاعاً عن الدولة الإسلامية والرسالة الإلهية، ومن أجل بلوغ الأهداف الربانية للرسالة الإلهية، وأهم تلك المعارك، هي:

معركة بدر الكبرى

ضد قريش (رمضان ٢هـ) انتصر فيها المسلمون انتصاراً ساحقاً رغم قلة عددهم وضعف إمكانياتهم.

معركة أحد

ضد قريش (شوال ٣هـ) انتصر فيها المسلمون في أول الأمر، ثم هزموا بسبب الطمع ومخالفة توجيهات النبي ﷺ، واستشهد حمزة بن عبدالمطلب، وأصيب الرسول ﷺ بإصابات بليغة.

غزوة بني النضير من اليهود

(ربيع الأول ٤هـ) لإجلائهم عن المدينة بسبب خيانتهم ونقضهم العهد وغدرهم بالرسول ﷺ

ومحاولة قتله.

غزوة الأحزاب (الخندق)

ضد قريش وحلفائها (شوال ٥هـ) وقد تجمعت الأحزاب للهجوم على المدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل، لكنهم تفاجؤوا بالخندق الذي حفره المسلمون للدفاع عن المدينة، ولم يكن حفر الخنادق من أساليب الدفاع المألوفة لهم، وبقوا محاصرين للمدينة ما يقرب من شهرين وهم عاجزين عن اقتحامها، ثم فروا هاربين بعد أن عصفت بهم ريح عاتية باردة، وقد قتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بطل قريش وصنديدها عمرو ابن عبد ود عن طريق المبارزة.

غزوة بني قريظة من اليهود

(ذي القعدة ٥هـ) بسبب خيانتهم العهد وغدرهم بالمسلمين وتآمرهم مع قوى الأحزاب التي حاصرت المدينة فعاقبهم الرسول الأعظم الأكرم ﷺ بسوء عملهم وقضى عليهم تماماً.

غزوة خيبر ضد اليهود

(جمادى الآخرة ٧هـ) وكان قائد الفتح فيها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد عقد الرسول الأعظم الأكرم ﷺ معهم صلحاً بعد استسلامهم.

معركة مؤتة ضد الروم

(جمادي الأولى/ ٨هـ) بسبب اعتداءاتهم المتكررة على المسلمين وقتلهم غدراً، وهُزم المسلمون فيها بسبب عدم التناسب العددي

المفرط بين جيش الروم (٢٠٠ ألف) وبين جيش المسلمين (٣ آلاف) وقتل القادة الثلاثة: زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب (الطيار) وعبدالله بن رواحة.

غزوة حنين ضد قبيلتي هوازن وثقيف

(شوال ٨ هـ) وانتصر فيها المسلمون انتصاراً باهراً.

غزوة تبوك ضد الروم

(رجب ٩ هـ) رداً على محاولتهم الهجوم على الجزيرة العربية لإسقاط الدولة الإسلامية الفتية والقضاء على الإسلام الحنيف، وهي الغزوة الوحيدة التي لم يخرج فيها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مع الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لأنه

خشي قيام المنافقين بعمل تخريبي في المدينة، وقد دلّت على ذلك الأمارات، فاستخلف الإمام علي عليه السلام على المدينة وخرج، وقال للإمام علي عليه السلام: «أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»[1] وحديث المنزلة متواتر، ولم يحدث قتال في هذه الغزوة، بسبب انسحاب جيش الروم.

تعبئة جيش أسامة

أعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله جيشاً ضخماً ضمّ فيه شيوخ المهاجرين والأنصار وكبار الصحابة ما عدا الإمام عليَّ بن أبي طالب عليه السلام وأمّر على الجيش الإسلامي القائد الشاب أسامة بن زيد بن حارثة، وكان في العشرين من عمره،

١- تاريخ الطبري، جزء ٢، صفحة ٣٦٨

مما يدل على أهمية الكفاءة في القيادة، وعقد اللواء بنفسه لأسامة ابن زيد، وقال: «جهزوا (أنفذوا) جيش أسامة، لعن الله من تخلف عنه»[1] إلّا أنّ الجيش لم ينفذ ولم يذهب في مهمته على خلاف رغبة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وإصراره وتشديده على ضرورة إنفاذ الجيش، فقد تقاعس المسلمون وخالفوا الرسول بحجة أن الرسول ﷺ يحتضر!!!

وفاة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ

حجّ الرسول الأعظم الأكرم ﷺ حجة الوداع في العام العاشر للهجرة الشريفة، وبعد أن أتم الحج قفل راجعاً إلى المدينة المنورة، وفي الطريق بالقرب من غدير خم، بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٠ هـ

١- الملل والنحل، جزء ١، صفحة ٢٣

نزل عليه الوحي الإلهي يأمره بتعيين الوصي بعده على الرسالة والأمّة، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1] فجمع المسلمين وخطب فيهم خطبة طويلة، قال فيها: أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه (قالها ثلاثاً) ثم قال: اللهم وال من والاه، وعادِ من عاداه وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، وأخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب. وبعد هذا البلاغ العظيم، نزل قول الله تعالى:

١- المائدة: ٦٧

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1] فكان كمال الدين وإتمام النعمة الإلهية العظمى على الناس بإمامة أهل البيت عليهم السلام.

بتاريخ: ٢٨ صفر ١١هـ (٦٣٢م) توفي الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وله من العمر ثلاث وستون (٦٣) سنة، وقد أراد أن يكتب للمسلمين وصية تعصمهم من الإختلاف والضلال، فتنازعوا بشأن بشأنها عنده، فغضب فقال: «قوموا عني، لا ينبغي عندي التنازع» ولم يكتب الوصية.

١- المائدة: ٣

قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]

بيان المفردات

الرسالة والرسول

أصل الرَّسْل الانبعاث على التؤدة (التمهّل) والرفق، فيقال ترسَّل في قراءته: تمهَل فيها ولم يعجل.

١- الأنبياء: ١٠٧

والرسالة: القول المتحمّل.

والرسول: المبعوث أومتحمّل القول والرسالة، والجمع: الرسل.

والرسول في الاصطلاح: من اصطفاه الله تبارك وتعالى لحمل دعوته إلى الناس بشيراً ونذيراً.

وقيل عن الفرق بين الرسول والنبي: أن الرسول هو من بعث وأمر بالتبليغ، والنبي من بعث سواء أمر بالتبليغ أم لم يؤمر، وقيل: أن الرسول هو من ينزل عليه الملك (جبرئيل) بالوحي فيراه ويكلمه، والنبي هو من يرى في المنام ويوحى إليه فيه أو يسمع الكلام ولا يرى الملك، وقيل غير ذلك، وعليه: فالنبي أعم من الرسول، أي: كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، والرسول أفضل وأعلى درجة ومرتبة ومنزلة ومكانة عند الله تبارك

وتعالى من النبي غير الرسول.

ورسل الله: الملائكة والأنبياء عليهم السلام

والإرسال: البعث والإرخاء، ويقابله: الإمساك، ويقال: في الإنسان وفي الأشياء، في المحبوب وفي المكروه، وفي التسخير، مثل: الرياح والمطر، وفي الاختيار، مثل: البشر، ويطلق الإرسال أيضاً على التخلية وترك المنع.

والاسترسال: الاستمرار في الشيء والانبساط والاستئناس والاطمئنان إلى الآخر، والثقة به فيما يحدث به، وأصله السكون والثبات.

والرَسل (بفتح الراء): ما يسترسل في السير والتتابع، واللبن الكثير المتتابع الدر ونحوه، وجاؤوا أرسالاً: جاؤوا أفواجاً وفرقاً متتابعين فوجاً بعد فوج.

والرِسل (بكسر الراء): بالرفق والتؤدة والتمهل، فيقال: ترسل في راية: تأنى وأثأر.

الرحمة

رقة في القلب تقتضي الإحسان إلى المرحوم والتفضل عليه، أي: أن الرحمة تنطوي على معنيين: الرقة والإحسان، وقد تستخدم في الرقة المجردة، وقد تستخدم في الاحسان المجرد، وإذا نسبت الرحمة إلى الله سبحانه وتعالى، مثل: رحم الله زيداً، فالمراد بها التفضل والاحسان المجرّد عن الرقة؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى منزّه عن انفعال الرقة، وعليه قيل: الرحمة من الله سبحانه وتعالى إنعام وإفضال، ومن الإنسان رقة وتعطف.

وقيل: إن صفة الرحمة من صفات الذات الإلهية المقدسة، وهي من أعم صفاتها وأوسعها،

وقد أراد الله سبحانه وتعالى منذ الأزل وبمقتضى كماله الذاتي أن يرحم عباده، وقيل: هي من صفات الأفعال بمعنى أن الله ﷻ قادرٌ على أن يعطي عباده ما لا يستحقون من النعم والثواب ويدفع عنهم ما يستحقون من الشر والعقاب.

وتطلق الرحمة أيضاً على إرادة فعل الخير، وعلى الإيمان والعافية والرزق والعفو والنصر ونحو ذلك.

وقيل أن الفرق بين الرحمة والرأفة: أن الرحمة تعني إيصال الخير والمسرة إلى الشخص، والرأفة تعني دفع الشر والمضرة عنه.

وقيل: أن الرحمة قد تتحول إلى محبة بالتكرار والتقاء الروح مع الروح، وأن الشعور بالرحمة يختلف باختلاف القيم العليا التي يؤمن بها

الشخص الراحم، فإن كان يؤمن بالقيم المادية البرجماتية كانت الرحمة حسيّة ومتقطعة، وإن كان يؤمن بالقيم الروحية كانت الرحمة أشمل وأوسع وأثبت وأرسخ.

والراحم: فاعل الرحمة، والجمع: الرحماء.

والرحيم: دائم الرحمة.

والمرحوم: الذي تتوجه إليه الرحمة وتقع عليه.

والرحمن الرحيم: اسمان مشتقان من الرحمة، وهما من أسماء الله الحسنى، ومعناهما:

أ. الرحمن: صيغة مبالغة، ومعناه: الذي وسع كل شيء رحمة، أو البالغ في الرحمة غايتها التي يقصر عنها كل من سواه.

ب. الرحيم: صيغة تدل على الثبات والبقاء،

ومعناه: الذي كثرت رحمته، أو عظيم الرحمة، أو ذو الرحمة الثابتة الباقية.

وقيل: لا يطلق لفظ الرحمن إلّا على الله سبحانه وتعالى؛ لأن معناه لا يصح إلّا له ويستخدم لفظ الرحيم لله سبحانه وتعالى ولغيره.

وقيل: الله رحمن الدنيا ورحيم الآخرة؛ لأنّ رحمته وإحسانه في الدنيا يعمّان المؤمنين والكافرين، ورحمته وإحسانه في الآخرة يختصان بالمؤمنين، وأنه يعاقب الكافرين ويعذبهم، قول الله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[1]

١- الأعراف: ١٥٦

وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام: «الرحمن اسم خاص بصفة عامة، والرحيم اسم عام بصفة خاصة»[1] ومعناه: أن الرحمن اسم علم خاص على الذات الإلهية المقدسة فلا يطلق على غير الله سبحانه وتعالى، لكن صفة الرحمة فيه تعم المؤمنين والكافرين، والرحيم اسم عام يطلق على الله سبحانه وتعالى وعلى غيره لكن صفة الرحمة فيه تخص المؤمنين.

وفي الحديث القدسي: «**رحمتي تغلب على غضبي**» أي: أن تعلق إرادتي بإيصال الرحمة أكثر من تعلقها بإيصال العقوبة.

العالَم

اسم للفلك (السماء والأرض) وما يحويه من

١- مجمع البيان، جزء ١، صفحة ٢١

الموجودات والمخلوقات أو مجموع ما هو موجود في الزمان والمكان، ويشمل الخلق كله أو كل ما سوى الله سبحانه وتعالى من الموجودات الجسمانية والروحانية، والمادية والمجردة، والعالم بهذا المعنى واحد حقيقة وليس بمتعدد. وقيل: أصله اسم لما يُعلَم به، مثل: الخاتم اسم لما يختم به، وسمى بذلك؛ لأنه يدل على صانعه وهو الله سبحانه وتعالى، وعليه: فقد أحالنا الله جلّ جلاله عليه لمعرفة وحدانيته، قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[1] والجمع: العوالم والعالمون.

وقد يطلق العالم على جملة موجودات متجانسة ذات صفات مشتركة أو متمايزة

١- الأعراف: ١٨٥

بأفرادها أو ذات زمان ومكان مشتركين أو من جنس واحد، فيقال: عالم الإنسان وعالم الجن وعالم الملائكة وعالم الطبيعة وعالم الحيوان وعالم النبات وعالم الغيب وعالم الدنيا وعالم البرزخ وعالم الحشر وعالم اليوم وعالم الأسس وعالم القيم وعالم الروح وعالم الفكر وعالم الأدب وعالم العقل وعالم السياسة والعالم العربي والعالم الغربي ونحو ذلك، ويسمى العالم بالمعنى الخاص.

والعالم بالمعنى الخاص لا يمنح التعدد، وهذا في غاية الوضوح، وهناك جملة من المعاني الخاصة يحسن الإشارة إليها والتعريف بها، منها:

أ. **العالم الخارجي:** هو مجموع الأشياء الخارجية (اللا أنا) التي يمكن إدراكها

بالحواس، ويقابله: العالم الداخلي (الأنا) وهو مجموع الأحوال النفسية المدركة بالشعور.

ب. **عالم المقال (عالم المعقولات):** هو جملة المعاني أو الأجناس والأنواع والأصناف المنطقية التي تدخل أو يرعاها الفكر في تأليف الحكم أو الاستدلال على قضية ما، وقد يطلق على ما يتصل بالذهن أو الفكر من حاجيات ومُثُل ومبادئ.

ج. **العالم السفلي:** هو عالم المادة والطبيعة، ويُسمّى عالم الكون والفساد وعالم الملك والشهادة، ويقابله: العالم العلوي وهو عالم الملكوت الأعلى، ويسمى عالم النفوس والعقول المجردة وعالم الغيب.

د. **عالم القدس:** هو عالم المعاني الإلهية المقدسة، أو عالم الصفات الإلهية العليا والأسماء الإلهية الحسنى والكمالات الإلهية.

وقد استخدم القرآن الكريم والأحاديث الشريفة المعنيين العام والخاص للعالم:

- **المعنى العام:** قول الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾[١]
- **المعنى الخاص:** قول الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٢] للعالمين: للناس، وفي الحديث

١- الشعراء: ٢٣-٢٤

٢- الفرقان: ١

الشريف عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: **«رب العالمين هم الجماعات من كل مخلوق من الجمادات والحيوانات»**[1]

وقيل: أنّ المعنى الخاص مشتق من العلم أو من العلامة؛ لأنّ كلّ جنس له ميزة (فصل) تمُيّزُه عن غيره من الأجناس، فهوله علامة، أو هو سبب العلم به، فلا يختلط بغيره.

ويطلق العالم أيضاً على مجموع دول وشعوب الأرض، فيقال: دول العالم وشعوب العالم وسكان العالم ونحو ذلك.

والعالمان: الكون، ويسمى: العالم الكبير. والإنسان يسمى العالم الصغير، قيل: لأنه مخلوق على هيئة العالم الكبير؛ ولأن فيه قوى متضادة

١- نور الثقلين، جزء ١، صفحة ١٧

الأفعال متباينة الأعمال كالقوى التي يتألف منها العالم الكبير.

والعالمي: المنسوب إلى العالم، مثل: الميثاق العالمي لحقوق الإنسان. والعالمية: مذهب من يقدّمون حُبّ الإنسانية وقيمها ومبادئها ومصالحها العامة على حُبّ ما سواها، مثل: القومية والوطنية والطائفية ونحوها وقيمها ومبادئها ومصالحها الضيقة.

المعنى الإجمالي والمضامين العامة للآية

قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] أي: ما أرسلناك يا محمد إلاّ بالرحمة الكاملة البالغة للعالمين كافة الجن والإنس، المؤمنين والكافرين، ولجميع شعوب الأرض،

١- الأنبياء: ١٠٧

الأولين والآخرين على طول التاريخ وعرض الجغرافيا في جميع أحوالهم إلى انقضاء العالم ونهاية التاريخ على وجه الأرض.

فالتعريف في لفظ ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ يفيد الاستغراق لكُلّ ما يصدق عليه اسم العالم، وذلك برسالتك السمحة وما فيها من مقوّمات الرحمة للخلق كلهم، مثل: الاعتدال والوسطية والشمول والرفق والعدل مع الجميع، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1] فالآية الكريمة المباركة تدعو المؤمنين إلى القسط والعدل مع جميع الناس المؤمنين والكافرين،

١- المائدة: ٨

الموافقين والمخالفين، الأصدقاء والأعداء، في الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وتحثّهم على ذلك وترغبهم فيه وتشوقهم إليه وتعدّه من مقتضيات صدق الإيمان واليقين وكمالهما، ولغلق الباب تماماً أمام جميع المعاذير والمبررات والأهواء النفسية والشيطانية، مثل: العداوة والخصومة واختلاف الدين والمذهب والنزاعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القبلية والوطنية والقومية ونحوها، لتجاوز الحق والعدل والحقوق والوقوع في الجور والظلم وانتهاك حقوق الإنسان والحرمات والمقدسات ونحوها، وتُحذّر من عاقبة ذلك السيئة ومغبته غير المحمودة على المخالفين في الدارين الدنيا والآخرة، وتنبّه إلى أنّ الله ﷻ يعلم بحقائق النيات والأعمال، فلا

يمكـن الكذب عليـه وخداعه بالمعاذيـر الباطلة والمبررات الكاذبة ونحوها، وأنه يحاسب الإنسان ويجاريه علـى أعمالـه الصالحـة والسيئة جزاءً موافقـاً لها على ما هي عليه فـي الحقيقة والواقع، وعليـه: فرسـالته وشـريعته هـي أوسـع الرسـالات والشـرائع الأرضيـة والسـماوية رحمـة بالنـاس، وأحرصهـا علـى صلاحهـم وخيرهـم وسـعادتهم ومصالحهم الحقيقية في دورة الحياة الكاملة.

الأوجه المختلفة لكون الرسول رحمة

أنـت رحمـة للعالمين برسـالتك ودينك الذي يهـدي إلى الحـق وإلى الصراط المسـتقيم وإلى نهـج الاعتـدال القويـم، والطريقـة المثلـى، وهـي الطريقـة الوسـطى، وإلـى مـا فيـه صـلاح النـاس وخيرهـم ومصلحتهـم الحقيقيـة الموافقـة لأصل

خلقهم وفطرتهم والتي تحقق غاية وجودها في دورة الحياة الكاملة العرضية في المكان والجغرافيا والطولية في الزمان والتاريخ ولما فيه نجاتهم من الشقاء الحقيقي، ويوصلهم إلى كمالهم الممكن المقدّر لهم واللائق بهم، ويحقِّق لهم السعادة الحقيقية الكاملة التي هي غاية مطلوبهم من وراء جميع أفعالهم وتصرفاتهم وتحركاتهم في الحياة.

وأنت رحمة للعالمين بسيرتك العطرة المباركة وأخلاقك الفاضلة وأعمالك الصالحة والآثار الحسنة الفكرية والعملية والروحية بشكل طبيعي وراء قيامك بالدعوة وسيرتك العطرة وإنجازاتك العملية التي تركت آثارها في واقع الحياة شاء الناس ذلك أم لم يشاؤوا.

ثم بركاتك المعنوية على الناس، قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[1]؛ أي: لا يعذّب الله عزّ وجلّ المشركين من أهل مكة وإن كانوا مستحقين للعذاب بكفرهم وعنادهم وأعمالهم السيئة وأنت بين أظهرهم تكريماً لك وتعظيماً لشأنك؛ ولأنه مخالف لمقتضى الحكمة الإلهية البالغة التي توجب تكريم الأولياء الصالحين وتعظيم شأنهم وإظهار فضلهم بين الناس ليعرفوهم ويقتدوا بهم، فببركة وجودك بينهم سلّمهم الله عزّ وجلّ من العذاب المستحق لهم، وعليه: جعل وجوده في مكانٍ ما مانعاً من نزول العذاب على أهله وسبباً لنزول الخير والبركة عليهم إعلاماً منه جلّ جلاله بكرامته صلّى الله عليه وآله عنده جلّ جلاله،

١- الأنفال: ٣٣

وفي الحديث الشريف: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[1] وفي حديث آخر: «قيل لرسول الله ﷺ أدع على المشركين، قال: «**إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً**»[2]

وتنكير لفظ «**رحمة**» في الآية الكريمة يفيد التعظيم، وقال ابن عاشور: أن انتصاب «**رحمة**» على أنه حال من ضمير المخاطب (يعني الرسول) يجعله وصفاً من أوصافه فإذا انضم إلى ذلك انحصار الموصوف في هذه الصفة، صار من قصر الموصوف على الصفة، ففيه إيماء لطيف إلى أنّ الرسول اتحّد بالرحمة وانحصر فيها، ومن المعلوم أنّ عنوان الرسولية ملازم له في سائر أحواله، فصار وجوده رحمة، وسائر أكوانه

١- التفسير المبين، صفحة ٤٣٢

٢- تفسير الرازي، جزء ٨، صفحة ١٩٣

رحمـة، ووقـوع الوصـف مصدر يفيـد المبالغة في هـذا الاتحاد بحيث تكون الرحمـة صفة متمكنة من إرساله.[1]

والفرق بين المؤمنين والكافرين في الاسـتفادة مـن هـذه الرحمـة المتمكنـة مـن إرسـاله، أن المؤمنيـن آمنوا بـه وقبلوا دعوته واتبعـوه واقتدوا به ونصروه وعزّروه، أي: عرفوا النعمة وشـكروها وقاموا بحقها فنالوا رحمة الدنيا والآخرة.

أمّـا الكافـرون فكذّبـوه وأنكـروا دعوتـه ورسـالته وخالفـوه وخذلـوه وحاربـوه وبدّلـوا نعمـة الله كفـراً وجحـوداً وظلمـاً وطغيانـاً وعدوانـاً؛ عنـاداً منهـم وغروراً واستبكاراً على الحق وأهله، ولم تنفع معهم المعجـزات الباهـرات، والبينـات الواضحـات،

١- تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، جزء ٧، صفحة ١٦٧

والحجج والبراهين النيّرات الساطعات، والنصائح النبوية الصادقة والمواعظ المؤثرة البالغة، فنالوا بعض الرحمة في الدنيا، مثل: الآثار الحسنة المترتبة بشكل طبيعي على الدعوة الإلهية والسيرة المحمدية العطرة والبركات المعنوية لوجوده الشريف المبارك التي تشمل المؤمنين والكافرين، مثل: منع نزول العذاب عليهم لكنّهم خسروا رحمة الآخرة تماماً، وكانوا من الأشقياء الهالكين المعذّبين في نار جهنم وبئس المصير والورد المورود، وذلك هو الخسران المبين.

الرسالة رحمة في الدين والدنيا

وكانت الرسالة الإلهية والدعوة المحمدية رحمة للناس جميعاً في الدين والدنيا:

أ. **في الديـن (وهـو الأكثر أهميـة):** لأنـه بعـث بالديـن الإلهـي الحق الذي ينقـذ الجميع، وكان النـاس في جاهليـة وضـلال وفسـاد الأخـلاق وقبيـح الأعمـال وانتشـار الظلـم والجـور والفجـور والخيانـات ونحـو ذلـك، حيـث كان يعـم الشـرك وعبـادة الأصنـام وهيمنـة الخرافـات والعـادات والتقاليـد السيئة البالية، وكانت الشعوب المتحضرة، مثـل: الـروم وفـارس، يعانـون مـن التفـاوت الطبقي الفاحش وظلم الحكام المستبدين وجورهـم، مـع يـأس المصلحيـن وجسـامة تضحياتهـم وكثرتهـا، ولـم يكن هنـاك ديـن سـماوي صحيح ينهض بمسـؤولية التغيير ويُصلِـح أحوال النـاس الخاصة والعامة في

أمور الدين والدنيا والآخرة الفكرية والروحية والأخلاقية والسلوكية، الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها، ويؤدي دور الرسالة الإلهية المطلوب في الهداية والإصلاح والإرشاد، ولم يكن هناك مصلح رباني قوي وموثوق به.

وكان أهل الكتاب اليهود والنصارى في حيرة من أمرهم وضياع؛ لطول انقطاع الوحي عنهم وتحريف كتبهم السماوية المنزلة التوراة والإنجيل، فدخلت فيها التناقضات والخرافات والمنكرات التي لا تتناسب مع جلال الله وكماله وساحة قدسه وعظمة رسالته، ولم تعد تصلح لهداية الناس وإرشادهم وإنقاذهم من ظلمات الجهل والضلال ومتاهة الضياع وإبعادهم

عـن الشـرور والفسـاد والأعمـال السـيئة والجرائـم والمنكرات في العقيدة والأخلاق والسلوك.

ووقـع بين أهـل الكتـاب الاختـلاف، وتحولت اليهوديـة إلى ديـن قومي ضيّق الأفـق والمصالح، يخـدم جماعـة قليلـة مـن النـاس، يزعمـون أنهم شـعب الله المختـار، ويرتكبـون صنـوف الجرائـم والشـرور باسـم الله والديـن مـن أجـل مصالحهـم الضيّقة.

وتحوّلـت المسـيحية إلـى رهبانيـة مفرطـة معزولـة عـن واقـع الحيـاة، وإطلاق أيـدي الحكام المسـتبدين الظلمـة فـي تدبيـر شـؤون النـاس بالظلـم والجـور والباطـل والتحكـم فـي مصائرهم باسـم الله والدين بغيـروجه حق، علـى قاعدة «ما لقيصـرلقيصـر، ومـا لله لله» أي: تقسـيم الحـق في

الناس بين الله وبين القيصر، وجاء في العهد الجديد: «**لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة لأنه ليس سلطان إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله، حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونة، فإن الحكام ليسوا خوفاً للأعمال الصالحة بل للشريرة**»(١) وفي ذلك إساءة بالغة لله سبحانه وتعالى وللدين الإلهي الحق وللحقيقة، بنسبة الجرائم والرذائل والمنكرات التي يأتي بها الحكام المستبدون الظلمة إليه ﷻ، فتسقط حرمة الدين الإلهي وقدسيته ورموزه في النفوس، وتعطي المبررات العملية للمعصية والخروج على الدين الإلهي الحنيف والاستهانة بتعاليمه وأحكامه والمقدسات الشرعية.

١- رسالة بولس الرسول إلى أهل الرومية، الإصحاح الثالث عشر: ١-٤

وبذلك صار الدين الإلهي ألعوبة بأيدي مجموعة قليلة من الفاسدين المارقين من رجال الكنيسة والحكام المستبدين الظلمة، يتحكمون فيه بحسب أهوائهم ومصالحهم كما يشاؤون، فضاعت معالم الدين الإلهي الحق وحدوده، وانقلبت التعاليم الدينية من تعاليم إلهية مقدسة إلى تعاليم وضعية بشرية تافهة وجائرة وظالمة.

مع التنبيه إلى أن رسالة بولس الرسول تصلح لأن يُستدلّ بها على إنحصار الحاكمية في الله سبحانه وتعالى، ووجوب طاعة أئمة الحق وحرمة الخروج عليهم، على غرار قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ

مِنكُمْ﴾[1]، إلاّ أنّ الواقع هو فهمهم بالشكل الذي سلف ذكره وبيانه، وهو نفس الأمر الذي وقعت فيه طائفة من المسلمين الذين أوجبوا طاعة الحكام المستبدين الظلمة، وحرمة مخالفتهم والخروج عليهم، مخالفين في ذلك ضروريات العقل والدين الحنيف.

وفي ظل جميع ما سبق ذكره وغيره، فقد وقع فراغ ديني ورسالي كبير، ولم يعد في الإمكان لطالب الدين الإلهي الحق الوصول إليه وتحصيله، فبعث الله تبارك وتعالى الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين في الوقت المناسب؛ ليبين للناس معالم الدين الإلهي الحق وحدوده، ودعاهم إليه بالحكمة والموعظة

١- النساء: ٥٩

الحسنة بعد أن بيّنه لهم وأقام الحجة عليه وكشف لهم عن سبيل الهداية والرشاد والصلاح والخير والسعادة.

فمن آمن به وصدّقه وقَبِل منه واقتدى به اهتدى وفاز في الدارين الدنيا والآخرة، ومن كذّبه وكفر برسالته وخالفه فقد ضلّ وخسر خسران مبيناً وشقى وهلك في الدارين الدنيا والآخرة، وهذا المصير الأسود البائس الذي يصير إليه هؤلاء الجهلة الحمقى المعاندين لا يخدش في عموم الرحمة؛ لأنه لحق بهم بسبب سوء اختيارهم، وخروجهم بمحض إرادتهم عن دائرة فيض الرحمة الخاصة، وهي قبول الهداية والإيمان بعد قيام الحجة والبيان والعمل بمقتضاهما، ولأنهم لا يحرمون من فيض الرحمة العامة التي ينالونها

بمقتضى الآثار الطبيعية المرتبة على وجود الرسالة والرسول أراد الكافرون ذلك أم لم يريدوا.

ب. **في الدنيا:** وأما عن كون الرسالة المحمدية رحمة للناس جميعاً في الدنيا، فذلك لأنه نشر بينهم العلم والمعرفة والقيم السماوية العليا والشريعة السمحة، وأتى إليهم بوسائل وأساليب الحياة الطيبة والحضارة الإنسانية الراقية المتوازنة، وقضى على الفتن الجاهلية والصراعات والحروب القبلية ونحوها، وعلى العادات والتقاليد الجاهلية البالية ومظاهر الذل والهوان والتخلف والظلم والتفاوت الطبقي والعرقي في المجتمع، وصان الحقوق وكرامة الإنسان وكافة الحرمات

والمقدسات، يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ وَأَمِيناً عَلَى التَّنْزِيلِ، وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ**»[1].

وقول فاطمة الزهراء عليها السلام: «**وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ**

١- نهج البلاغة، خطبة ٢٦: من خطبة له عليه السلام وفيها يصف حاله قبل البعثة ثم يصف حاله قبل البيعة له.

صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالّتِي»

بحث حول الحاجة إلى النبوة

تعلّقت الإرادة الإلهية أصالةً وبصورة مباشرة في خلق الإنسان بكماله وسعادته؛ لأنّ إرادة الله سبحانه وتعالى ليست عابثة أو جزافية، قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[2] فالله سبحانه وتعالى يريد دائماً ما يناسب صفاته الكمالية وتقتضيه حكمته البالغة، فإذا لم تقتض صفاته الكمالية وحكمته البالغة فعلاً ما، فلا يصدر منه ذلك الفعل إطلاقاً.

١- الذاريات: ٥٦

٢- المؤمنون: ١١٥

طريق كمال الإنسان وسعادته

والطريق الوحيد إلى كمال الإنسان وسعادته هو المعرفة بالله ذي الجلال والإكرام وطاعته وعبادته وسلوك طريق عشقه ومحبته والتخلق بأخلاقه واكتساب صفات كماله، صفات الجمال وصفات الجلال، والفناء فيه والبقاء به.

وسلوك هذا الطريق يتوقف على إرادة الإنسان واختياره، قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1] فقد ميّز الله تبارك وتعالى الإنسان من بين جميع المخلوقات والموجودات بميزتين: العقل، وحرية الإرادة والاختيار، وهما من الكمالات الوجودية، ومورداً لتحميل المسؤولية. وجعل له طريقين في الحياة: طريق

١- البقرة: ٢٥٦

الهداية وطريق الضلال، قول الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[١]، وقول الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[٢] وذلك لأن ما يلزم عن الاختيار هو القدرة على ممارسة الأفعال الحسنة الباطنية مثل: الاعتقاد بالتوحيد والنبوة والإمامة والمعاد، والظاهرية مثل: الصلاة والصيام والحج والزكاة وسائر العبادات والطاعات التي تؤهله للصعود إلى الملأ الملكوتي الأعلى، وتوصله إلى كماله وتُحقّق له سعادته الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، وأيضاً القدرة على ممارسة الأفعال القبيحة الباطنية مثل: الشرك والكفر بالنبوة والإمامة والمعاد، والظاهرية مثل: الزنا

١- البلد: ١٠

٢- الشمس: ٧-١٠

وشرب الخمر وممارسة الفجور والمعاصي وترك العبادات والطاعات، وهي ما تؤهله للهبوط إلى الحضيض والدرك الأسفل للشيطنة والحيوانية (عالم الشياطين والظلمة والشرور)، وتؤدي به إلى الانحطاط والنقص والانسلاخ من الإنسانية، وإلى الهلاك والشقاء الأبدي الكامل.

وهذا الأمر يدل على توجه الإرادة الإلهية الكاملة والتامة لإعداد الإنسان إلى مهمة خطيرة متميزة تتناسب مع هذه الميزة، العقل وحرية الإرادة والاختيار، والنعمة الإلهية الجليلة على الإنسان والمهمة الخطيرة هي رفع الإنسان إلى مستوى تكليم الله ذي الجلال والاكرام وتلقي الخطاب منه، والفناء فيه والبقاء به، والاغتباط والابتهاج به، وهي لذة روحية ليس مثلها ولا بعدها لذة على

الإطلاق، وتمثّل أعلى مراتب الكمال الإنساني بل أعلى مراتب الكمال الممكن التي يمكن أن يبلغها المخلوق، وهي غاية الطالبين والعشاق العارفين بالله ذي الجلال والإكرام، وهي ممكنة للإنسان في الدارين الدنيا والاخرة.

أ. **في الدنيا:** لخصوص الأنبياء والمرسلين الكرام عليهم السلام، قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[1]

ب. **في الآخرة:** للأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام ولخواص المؤمنين، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

١- النساء: ١٦٤

﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١) أي: هناك من لا يكلمهم الله ﷻ في يوم القيامة ولا ينظر إليهم بالرحمة والإحسان واللطف والبر، بل يهملهم ويعرض عنهم ولا يعتد بهم، سخطاً منه وغضباً عليهم، ويعذبهم بذنوبهم في نار جنهم، وهناك في المقابل من يكلمهم الله ﷻ بغير سفير ولا وسيط، تشريفاً عالياً يختص به أولياءه وعباده المخلصين مما يجلب لهم البهجة والسرور.

وليت شعري أية لذة أعظم من هذه اللذة وأفخر؟! وينظر إليهم نظرة رحمة وإحسان ولطف وبر برضاه عنهم وحبه لهم وعنايته الفائقة بهم، ويجازيهم من نعم الجنة المادية والمعنوية

١- آل عمران: ٧٧

الجزاء الأوفى، وأية نعمة أعظم من هذه النعمة، يقول العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرزاي: «أن واحدة من أعظم المواهب الإلهية في الآخرة أن يكلّم الله المؤمنين تلطفاً بهم، أي إن المؤمنين سينالون في الآخرة نفس المنزلة التي نالها أنبياء الله في الدنيا، وسيلتذون بما التذ به الأنبياء من تكليم إلهي»[1] ويقول: «أن من يقترب من الله ويدنو من ساحة قربه تشمله مجموعة من النعم الإلهية المعنوية، فإذا ازداد اقتراباً كلّمه الله، وإن دنا أكثر نظر إليه الله نظرة الرحمة، وإن اقترب أكثر طهّره الله من آثار ذنوبه، وأخيراً ينجو من العذاب الأليم وتغمره نعم الله»[2]

١- تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، جزء ١، صفحة ٣١٩

٢- تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، جزء ٢، صفحة ٣٤٠

مقومات طريقَي الهداية والضلال

والطريق الوحيد الذي يوصل الإنسان إلى معرفة الله ذي الجلال والاكرام وطاعته وعبادته، وإلى كماله الممكن المقدّر له واللائق به، وإلى سعادته الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة هو طريق الهداية، ويقوم على ما يأتي:

أ. العلم بالمعارف الإلهية الحقة، المعرفة بالله ذي الجلال والإكرام، وبالمبدأ والمعاد والطريق، وبحقائق الحياة والسنن، والروابط مع سائر المخلوقات والموجودات، وبالمنافع والمضار الموافقة لأصل الخلقة والفطرة وغاية الخلق، ودرجاتها ومقاديرها وغير ذلك.

ب. الأعمال الصالحة من العبادات

والطاعات وأفعال الخير والبر والإحسان، الموافقة لمقتضيات العلم بالمعارف الإلهية الحقة.

أما طريق الضلال الذي يهدي إليه الشيطان، فيقوم على ما يلي:

أ. اتباع الأهواء والوساوس الشيطانية والأوهام والخرافات والخيالات الباطلة التي ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان، ولا أساس لها في الواقع ولا حقيقة لها في العقل والمنطق.

ب. الأعمال السيئة الظاهرة والباطنة، من الذنوب والمعاصي والآثام والخطايا والجرائم والجنايات والأخلاق الذميمة والخصال القبيحة والعقائد الباطلة والأفكار المنحرفة. وتؤدي بالإنسان للسقوط

إلى الحضيض الأسفل في عالم الحيوانية والشيطنة والشرور المظلمة وإلى التحلّل والفساد والانحطاط والنقص والانسلاخ من الإنسانية، وإلى الشقاء الحقيقي الكامل والهلاك الفعلي والخسران المبين والعذاب المؤلم في الدارين الدنيا والآخرة.

شروط الاختيار الواعي

ومما سبق يثبت لنا بأن الاختيار الواعي من الإنسان لما فيه صلاحه وكماله وخيره ومصلحته وسعادته الحقيقية يجب أن يتوفر على شروط عديدة، منها:

أ. القدرة على ممارسة العمل أو الاختيار وتفعيله، وتوفير الظروف والأجواء الخارجية المناسبة له، مع التنبيه إلى أنّ العمل أو

الاختيار قد يكون مقصوداً لنفسه أو لغيره.

ب. المعرفة الصحيحة بالحاجات الإنسانية الفردية والمجتمعية الموافقة لأصل الخلق والتكوين وغاية الخلق، وبالأعمال الصالحة والسيئة حقيقةً وفعلاً وبنتائجها.

ج. المعرفة بهدف وجود الإنسان وغاية خلقه والطرق الموصلة إلى كمال الإنسان وسعادته وتحقيق غاية وجوده، وبالعقبات والعراقيل والمزالق والانحرافات التي تواجه الإنسان في حياته، والطريقة المثلى والأساليب الناجعة والوسائل الفعالة لتذليلها والتغلب عليها.

الوسائل الإلهية لهداية الإنسان

ومن أجل هداية الإنسان:

أ. بعث الله تبارك وتعالى الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام وأيدهم بما يثبت صدق نبوتهم ورسالتهم من المعجزات الباهرات والبينات الواضحات والحجج النيرات الساطعات، ونصب الأدلة والبراهين العقلية من أجل تعليم الناس المعارف الإلهية الحقة وحقائق الحياة والسنن والطريق الصحيح للحياة من كل أبعادها وجوانبها، والتكامل الحقيقي للإنسان، وإرشاد الناس إلى الوظائف الفردية والمجتمعية المادية والمعنوية الدنيوية والأخروية التي توافق فطرتهم

وأصل خلقتهم وتكوينهم، وفيها صلاحهم وخيرهم وكمالهم ومصلحتهم الحقيقية في دور الحياة الكاملة العرضية في المكان والجغرافيا، والطولية في الزمان والتاريخ، وتحقق سعادتهم الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة وممارسة دور القيادة الرشيدة الناصحة المؤهلة من جميع الجوانب الفكرية والروحية والعملية، والقضاء بين الناس والفصل في الخصومات وحلّ المشكلات والمعضلات التي تواجه الناس كافة في حياتهم في جميع الشؤون والأحوال والظروف.

ب. فرض التكاليف الشرعية الإلهية على الناس، أعني التكاليف التي توافق قدراتهم

وأصل خلقهم وتكوينهم وفطرتهم، وفيها صلاحهم وخيرهم ومصلحتهم وسعادتهم الحقيقية، وحثهم عليها وشوّقهم إليها وحذّرهم من معصيتها ومخالفتها، ووفّر ما يلزم تكويناً وتشريعاً للعمل بها وتطبيقها، ولا يبقى إلا أن يختارها الإنسان ويعمل بها بمحض إرادته لمنافاة الإكراه للتكليف.

ترك وسائل الهداية نقض لغاية الخلق

وبناء على ماسبق، يعتبر ترك الله جلّ جلاله لإرسال الرسل؛ نقض لغرض خلق الإنسان وغاية وجوده ومخالف لمقتضى الحكمة، والله سبحانه وتعالى منزّه عن ذلك، قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾[1]،

١- الأنعام: ٩١

وقول الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1] والحكيم بطبيعة الحال أو بما هو حكيم لا ينقض غايته.

وكون ترك الله ﷻ لإرسال الرسل نقض لغرض خلق الإنسان ومخالف لمقتضى الحكمة؛ لأنّ الإنسان لايستطيع من تلقاء نفسه وبالاعتماد على عقله وفطرته وقدراته الذاتية؛ أن يعرف جميع المستلزمات المادية والمعنوية والمعارف والتشريعات والقيم الضرورية التي تكفل له توفير جميع المصالح المعتمدة الفردية والمجتمعية، المادية والمعنوية، القريبة والبعيدة، الدنيوية والأخروية للوصول إلى كماله اللائق به والمقدّر

١- النساء: ١٦٥

له، والحصول على سعادته الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، وأن يعمل بمقتضى ما يعلم على خلاف أهوائه ورغباته وشهواته ونزواته، وقد ثبت بالتجربة التاريخية والمعاصرة:

أ. تفاوت المجتمعات في قدرتها على تنظيم نفسها وسن القوانين والتشريعات الرئيسية والفرعية المناسبة لها من جميع الوجوه، وفرضها والعمل بها، بدليل إجراء التعديلات باستمرار على القوانين وتفشي الجريمة.

ب. أنّ الناس غير قادرين بحكم العقل والمنطق على وضع التشريعات التي تكفل المصالح المعنوية والأخروية رغم حاجة الإنسان الوجودية الضرورية إليها، وتقدمها

في الأهمية على الحاجات المادية والدنيوية؛ وذلك بسبب خروج المصالح المعنوية والأخروية عن دائرة الحس والتجربة وقصور المعرفة العقلية المستقلة عن الوحي عن إدراكها، وعليه: فإنّ الذي يكفل المصالح المعنوية والأخروية هو الوحي والتشريعات الإلهية، وترك الله ﷻ للوحي وإرسال الرسل؛ يترتب عليه فساد الإنسان وإلحاق أشد الأضرار به، وفيه نقض لغرض خلق الإنسان الذي تعلّقت الإرادة الإلهية أصالةً ومباشرةً بكماله وسعادته، وهو مخالف للحكمة قطعاً لما فيه من العبثية واللغو، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

تأكيد القرآن على هدفية الخلق

وقد أكّد القران الكريم على هدفية الخلق والوجود في آيات قرآنية عديدة، منها: قول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا

١- المؤمنون: ١١٥-١١٦

٢- الحجر: ٨٥

٣- النحل: ٣

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾[1]

المضامين العامة للآيات الكريمة

وتتضمن الآيات الكريمة المباركة النقاط الأساسية التالية:

أ. التأكيد على الهدفية في خلق العالم والإنسان وجميع ما في العالم من الموجودات والكائنات، الجمادات والنباتات والحيوانات، أي: خلقوا لهدف عظيم وغاية راجحة متلبسين بالحق والحكمة، لا أثر فيها للباطل والعبثية واللغو، وفي ذلك دليل على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وعظيم وكمال قدرته، وسعة رحمته وعلمه المحيط، وحكمته

١- ص: ٢٧

وحسن تدبيره وكمالاته لما فيه من الجلال والإبداع والإحكام وعجائب الصنع، فلا يقدر عليه غيره.

ب. إن الله سبحانه وتعالى منزّه عن العبثية واللغو الباطل؛ لأنها نقيض الحكمة البالغة والكمالات الإلهية، فصدورها عن الله مستحيل عقلاً؛ ولأن لله عزّ وجلّ الملك المطلق ويحكم بما يشاء، فلا يحكم إلا بالحق؛ لأنه حق بالذات (حق مطلق)، ومن كانت هذه صفته، فإنه لا يعبث في فعله ولا يلهو ولا يلعب؛ لأنّ الحق بما هو حق لا يصدر عنه إلّا حق. ولأنه لا ربّ معه، فَيُبْطِل حكمه، فله السلطة والسيطرة المطلقة على العالم بأسره، ويمسك تماماً بأزمّة الأمور فيه، فلا

سبيل إلى الفساد والعبث إليه.

ج. إن الهدفية في خلق العالم والإنسان وسائر الموجودات والكائنات تقتضي حتمية البعث والحساب والجزاء الموافق على الأعمال، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، أي يثيب المحسن ويعاقب المسيء، لا أن يحيوا ويأكلوا ويشربوا ويتمتعوا بلذات الحياة الدنيا كالأنعام ثم يموتون وينتهي كل شيء من غير غاية باقية وراء خلقهم وإسكانهم دار الحياة الدنيا، فيمضي المحسن بإحسانه دون ثواب ويمضي المسيء بإساءته دون عقاب. وذلك لأنّ الإنسان لديه القابلية للخلود بروحه، وأن فساده بالموت يتنافى مع كرامته ومع

العدالـة والحكمة الإلهيـة؛ ولأنّ ترك الجزاء على الأعمـال يترتب عليه التشـجيع على المعصيـة ومخالفـة القانـون والجريمـة والفسـاد، وهو عين العبثية واللغو والباطل، ونقيـض الحكمة والرحمـة الإلهية، وعليه: فبمنطـق الهدفيـة والحـق فـي الخلـق، وبمقتضـى الحكمـة والعدالـة والرحمـة الإلهيـة؛ يجـب ضـرورة وتعييناً حصـول البعـث والحسـاب والجزاء علـى الأعمال. أضف إلى ذلك: أن ممارسة الإنسان الفطرية للحيـاة، مثـل: التنظيـم والتشـريع والجـزاء وتحمّـل المسـؤوليات العامّـة والخاصـة، يـدل على أنّ الاعتقاد بالهدفية من خواص الفطـرة الإنسـانية، ولا تتـمُّ هـذه الحالـة ولا

تستقيم إلّا بالاعتقاد بأنّ وراء الحياة الدنيا حياة أخرى للحساب والجزاء، وإلّا كانت الحياة هادفة في عالم لا هدف له ولا فائدة فيه، وقد وجد محض الصدفة وبلا قصد!!

د. أنّ الاعتقاد بعبثية الخلق وأنه وجد صدفة بلا حكمة ولا فائدة ولا قصد ونحو ذلك من الهنات والترهات والشنئات التي تحيل بين الإنسان وبين العدالة وتحمل المسؤولية بصدق وإخلاص، وتخلق الأرضية إلى الظلم والاستبداد والفساد في الأرض والصراعات والحروب الظالمة الدامية من أجل السيطرة والثروة والتفوق ونحو ذلك من الأوهام الشيطانية، وتحويل الدنيا إلى دار مظلمة رهيبة موحشة، إذن

فذلك الاعتقاد: ما هو في الحقيقة والواقع إلا الوهم والظن الباطل الذي يعتقدهُ الكافرون بالتوحيد والمعاد والنبوة بدون دليل أو برهان صحيح؛ لأنّ لا شيء في العالم إلا وهو ينطق ويدلُّ عليه، ولو كانت في العالم شائبة من العبث والباطل لفسد ولما ثبت واستمر صامداً على نظامه المحكم طوال الدهر المديد.

قاعدة اللطف تقتضي بعث الأنبياء

لما ثبت بالعقل والتجربة عجز الإنسان ونقصه الذاتي عن وضع التشريعات التي تكفل مصالحه الفردية والمجتمعية، المادية والمعنوية، القريبة والبعيدة، الدنيوية والأخروية، وأنه قد يغرق في عالم الدنيا والمادة والأهواء والخيالات والخرافات

والشهوات والملذات الحسية والمصالح العاجلة، ويجانب الحق والخير والعدل والفضيلة، وينحدر إلى حضيض الدرك الأسفل للشيطنة والحيوانية، ويتصف بالخسة والدناءة والحقارة والهمجية والرذيلة والفجور، ويعرف في الجريمة والجنايات والخطايا والآثام والمعاصي والذنوب والتخريب والتدمير والفساد، مما يترتب عليه إلحاق أشد الأضرار المادية والمعنوية بالإنسان في حياته ومعاده، كما يشهد بذلك واقع المجتمعات المعاصرة في ظل الفلسفات الضالة، مثل: الماركسية والوجودية والبرجماتية، والسياسات الوضعية الجائرة، مثل: الاشتراكية والرأسمالية والليبرالية ونحوها. مع أنّ الانسان هو أفضل المخلوقات وخلاصة الوجود وجوهره، فقد

رأى الحكماء والمتكلّمون بأنّ الله سبحانه وتعالى بما هو كامل كمالاً مطلقاً وحكيماً، فإنه يجب عليه بحكم العقل والمنطق وجوب تفضل وكرم وبر وإحسان، لا بإلزام ملزم وحساب يحاسب؛ لأنه لا يُسأل عمّا يفعل، أن يكون لطيفاً بعباده ورحيماً بهم، قول الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾[1]، وأن يوصل إليهم المنافع ويدفع عنهم المضار، ويُسهّل لهم سُبُلَ الحياة والنجاة والرخاء، وعمل كل ما يتوقف عليه تحقق غرض الخلقة وصونها من العبث واللغو والباطل، قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ١٩ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا

1- الأنعام: ٥٤

﴿لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1]، أي: أنّ الله تبارك وتعالى رفيق بعباده واسع اللطف بهم، رحيم في التعامل معهم جميعاً المؤمنين والكافرين، كثير الإحسان بهم، يعمهم ببره وإحسانه ولا يعاجل مسيئهم بالعقوبة، فلا يخلو أحد منهم من برّه وإحسانه، فأصل البرّ والإحسان الإلهي عام في حق جميع العباد المؤمنين والكافرين، مثل: الإحسان إليهم بالحياة والعقل والفهم والإرادة والقدرات والرزق وتوفير أسباب العيش ودفع البليّات ونحو ذلك، وقد بلغ برّه بهم وإحسانه إليهم إلى حدّ لا يبلغه تصور أحد منهم، فهو يرزق من يشاء من النعم المادية والمعنوية على مقتضى رحمته وبمقدار ما يُصلِح أحوالهم وحياتهم الدنيوية والأخروية.

١- الشورى: ١٩-٢٠

لأنه قوي قادر لا يعجزه فعل شيء ممكن، وهو غالب على أمره، محيط بكل شيء علماً وقدرة، عزيز لا يمنعه مانع من تحقيق إرادته و إنفاذ قدرته، فهو يفعل كل ما يريد وأين ومتى يريد.

وقد شاء الله ﷻ بمقتضى حكمته البالغة ورحمته الواسعة: أنّ كل من كان من عباده يعمل الصالحات من الطاعات والعبادات ويكافح الظالمين والمفسدين ويناضلهم، يريد بسعيه وبعمله وجه الله سبحانه وتعالى ورضوانه، و إحقاق الحق و إقامة العدل والقسط وصلاح الناس وزيادة ثواب الآخرة، فإن الله تبارك وتعالى يهبه القوة والنشاط، ويمدّه بعونه وتوفيقه وتسديده، ويسهّل له سُبُلَ الخير والصلاح والطاعات والسعادات، ويؤتيه نصيبه ورزقه المقسوم له في

الدنيا، لا ينقص منه شيء، ويكون أكثر ابتهاجاً وغبطة وسعادة في الحياة من غيره، ثم يزيد في بره به وفضله عليه وإحسانه إليه في يوم القيامة، فيكثر له من ثواب الآخرة ويضاعفه له أضعافاً كثيرة، أي: يفوز بخير الدنيا والآخرة.

وفي المقابل: من عمل لنفسه وللدنيا في نفسها، وكانت مقصوده وغاية مطلوبه، ويريد استغلال نعم الله تبارك وتعالى عليه وتوظيفها للحصول على المزيد من المنافع ومتاع الدنيا الفانية وزينتها وزخرفها ولذاتها الزائلة، فإن الله ﷻ يؤتيه منها ما يقيم به الحجة عليه ولا ينافي الحكمة البالغة، أي: يؤتيه بعض ما يريده كما يريد الله ﷻ لا كما يريد هو، ثم لا يكون له نصيب من ثواب الآخرة؛ لأنه قصر همّه وغايته

في الدنيا ولم يعمل للآخرة، فيضيع نصيبه من الآخرة، قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[1]

وما سبق يدل على أمور مهمة عديدة، منها:

- أنّ الآخرة أشرف، ومقدمة في الفضل والأهمية والأولوية على الدنيا.
- لا بد للحصول على منافع الدنيا والآخرة من العمل والبذل وتحمل المتاعب والمشاق.
- أنّ طلّاب الدنيا لا يصلون إلى كل مايريدون في الدنيا وطلّاب الآخرة لا يحرمون نصيبهم

١- الأحقاف: ٢٠

من الدنيا ولا ينقص منهم شيء.

- أنّ طالب الآخرة يزداد في مطلوبه وطالب الدنيا يعطي بعض مطلوبه، لا كلّه.

- أنّ طالب الآخرة يكون حاله دائماً في الترقي والتزايد والتكامل والدوام، وطالب الدنيا يكون حاله دائماً بين النقصان والفساد والبطلان، وعليه: فالأفضل للإنسان بحسب العقل والمنطق أن يعمل للآخرة ويفضّلها على الحياة الدنيا.

مقتضيات اللطف الإلهي

واللطف الإلهي بالعباد والرحمة بهم يتطلبان أموراً عديدة من الله سبحانه وتعالى، منها:

أ. بيان التكاليف والوظائف الشرعية الفردية

والمجتمعية، وإعطاء القدرة لدى العباد على الطاعة وترك المعصية، أي: عدم التكليف فوق الوسع والطاقة، وإكمال العقل ونصب الأدلة والحجج والبراهين وإيضاح المعالم ورسم الحدود ونحو ذلك مما يحتاجه الإنسان من أجل الهداية والإيمان وتحقيق الغاية.

ب. أن يرسل الرسل عليهم السلام مبشرين ومنذرين، ويؤيدهم بما يثبت صدق نبوتهم ورسالتهم من المعجزات والبينات والبراهين، ليعرّفوا الناس على ربهم ذي الجلال والإكرام ليحبوه ويتعرضوا للطفه وكرمه وبرّه وإحسانه ويشكروه، ويعرّفوهم أنفسهم، فإنّه «من عرف نفسه فقد عرف ربه»،

ويعرّفوهم على المبدأ والمعاد والطريق، ويأمروهم بالمعروف والطيبات وينهوهم عن المنكر والخبائث؛ ليجتازوا حدود الغريزة والطبيعة والمادة إلى عالم الروح والعقل والغيب والنور والطهارة، ويرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم وخيرهم ومصلحتهم وكمالهم وسعادتهم من الأعمال الصالحة التي وجدوا من أجلها والسبيل إليها؛ ليسلكوا طريق العشق والمحبة والطاعة ويبلغوا القمة في الخير والفضيلة والصلاح والكمال والابتهاج والغبطة والسعادة؛ لأنّه العالم بجميع ذلك.

ج. أن يجعل الثواب على طاعته والعقاب على معصيته؛ ليكون ذلك أدعى للمتابعة،

أي: التقريب إلى الطاعة ومواقعتها، والتبعيد عن المعصية وتجنبها، وذلك من حيث يعلم العبد أو لا يعلم، ومن حيث يريد أو لا يريد؛ لأنّ الله تبارك وتعالى هو أعلم بما يصلح الإنسان وأرحم به من نفسه، فإذا علم الله ﷻ بأن العبد لا يختار الطاعة إلا مع الترهيب والترغيب والوعد والوعيد، أو عند فعل يفعله الله ﷻ به، مثل: المرض والفقر والشدة ونحوها، أو الصحة والسلامة والغنى والرخاء ونحوها، فإن الواجب بمقتضى الحكمة والرحمة أن يفعل الله ﷻ به ذلك بمقتضى علمه من أجل بلوغ غاية الخلقة، وهي كمال الإنسان وسعادته، وصوناً لها عن العبث واللغو والباطل

بشرط أن لا يبلغ الأمر حدّ الإلجاء؛ لمنافاة الإلجاء لحقيقة التكليف الذي يقوم على الاختيار، ولا تكليف بدون اختيار، قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2]، أي: وما أرسلنا في مدينة من نبي كريم لهداية الناس إلى سبيل الرشاد، فلم يؤمن أهلها به استكباراً على الحق وعناداً وتعصباً إلا أخذناهم بألوان المصائب والمحن المادية والمعنوية، الجسمية والروحية، برجاء تنبيههم من غفلتهم وجهلهم؛ ليكفّوا عن

١- الأعراف: ٩٤

٢- الأعراف: ١٦٨

عنادهم وتعصبهم واستكبارهم ويعودوا إلى عقولهم ورشدهم ويتضرعوا إلى ربهم ﷻ؛ لكشف البلاء عنهم، ويتوبوا عما كانوا عليه من الكفر والضلال والمعصية وتكذيب الأنبياء عليهم السلام ويؤمنوا بالدين الإلهي الحق ويعملوا به، فتكتب لهم بذلك النجاة من الهلاك والشقاء الأبدي، ويكونوا من أهل السعادة والنعيم في الآخرة.

فقد ثبت بالتجربة أنّ الإنسان ما دام في النعمة والسعة، فإنه قد يستغني بها وتشغله عن التوجه للمنعم وشكره، ويتوجه بدلاً من ذلك إلى الطغيان والفساد والمعصية، فإذا سلبت منه النعمة أحسّ بالفقر والحاجة والذلة والخطر، وتنبّه من الغفلة والجهل والتجأ إلى من بيده رفع

الضرر وكشف البلاء عنه، وهو الله سبحانه وتعالى فتضرع إليه، فسيكون في ذلك هدايته إلى الحق الذي خلق من أجله، والتمسك بدين الله الحق وسلك طريق الكمال والخير والصلاح والسعادة.

وتُنبّه الآية الثانية إلى أنّ الناس يختلفون وليسوا صنفاً واحداً، فهناك من يصلحهم الفقر والمرض والشدة، ويفسدهم الغنى والصحة والسعة، وفي المقابل هناك من يصلحهم الغنى والصحة والسعة، ويفسدهم الفقر والمرض والشدة، والله سبحانه وتعالى يختار الإبتلاء للناس وفق علمه وبمقتضى حكمته ورحمته ما يناسبهم ويصلحهم ويقيم الحجة عليهم.

ولو أنّ الله سبحانه وتعالى ترك الناس وشأنهم؛ ولم يبعث فيهم الأنبياء ويرسل إليهم الرسل

الكرام عليهم السلام لهدايتهم، ولم يكلّفهم بالوظائف الشرعية الفردية والمجتمعية، ولم يبتليهم لتنبيههم وإرجاعهم إلى الحق وسبل الرشاد، لحرمهم من فيض نعمة الهداية مع قدرته على ذلك، وحيث لا مانع يمنعه منه، مع شدة حاجة الناس إليها، وتوقف صلاحهم وسعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة عليها، وتمثل غاية خلقهم ووجودهم في الحياة. ولم يسمح للعقل الذي هو أفضل نعمة أنعم بها عليهم أن يؤدي وظيفته ويقوم بدوره في تحمّل مسؤولية الإرشاد والتوجيه والهداية؛ لأنّ العقل لا يستطيع أن يؤدي دوره في ذلك بالشكل الأمثل وعلى الوجه الأكمل إلا بمساندة الوحي والإيمان. وقد يتحوّل ما يتمتع به الإنسان من ذكاء خارق ومتميز في ظل غياب

الوحي والتنزيل إلى وبال ونقمة على الإنسان حين يكون منقاداً إلى قوة الغضب والشهوة، وعدم وضوح الرؤية والغاية والطريق، فيتحوّل إلى أداة للجريمة وفرض الهيمنة والسيطرة، وإلى التفنّن في أساليب الفساد والتحلّل والفجور والانحطاط من غير رادع من دين ولا وازع من ضمير، فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الحرث والنسل، وذلك كلّه:

أ. خلاف الحكمة لما فيه من العبثية واللغو والباطل؛ ولأنّه لا يوصف بالحكمة إلّا الذي يدعو إلى الخير والصلاح ويفعلها وينهى عن الشر والفساد ويتجنبهما.

ب. فيه نقض واضح وبيّن لغرض خلق الإنسان الذي تعلّقت الإرادة الإلهية حين

خلقه أصالة ومباشرة بكماله وسعادته، وهو وحده المرافق للحكمة والرحمة التي كتبها الله على نفسه.

وبناءً على ماسبق: لا يتحقق الغرض الإلهي من خلق الإنسان إلّا بإرسال الرسل بالهدى ودين الحق مبشرين ومنذرين، ويسمي علماء الكلام ماسبق من الاستدلال: قاعدة اللطف.

الحياة الاجتماعية والحاجة إلى الوحي

ومن جهة ثانية: فإنّ الإنسان اجتماعي بالطبع، ويتوقف وصوله إلى كماله المقدّر له واللائق به وتحصيل السعادة الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة على الحياة الاجتماعية ولايمكنه الحصول على ذلك بدونها.

وحياة الإنسان الاجتماعية تختلف عن الحياة الاجتماعية لغيره من الحيوانات؛ لأنّ الحياة الاجتماعية للإنسان تقوم على الفكر والقيم إلى جانب الغريزة التي تقوم عليها وحدها الحياة الاجتماعية لغير الإنسان من الحيوانات.

وإن كان الفكر والقيم يوحّد بين الناس وتسمو بهم، فإنّ القوى الغريزية، مثل: الغضب والشهوة وتعارض المصالح وحب التسلط والرئاسة ونحوها تفرّق بينهم، وقد تهوي بهم إلى الحضيض والدرك الأسفل للحيوانية والشيطنة، وهذا يتطلب تدخل طرف خارجي موضوعي حكيم ونزيه ينظم حياة الناس ويعالج الإختلافات بينهم معالجة موضوعية عادلة؛ لأن ما به الاختلاف والنزاع وهي النفس لا يكون به الإتفاق والحل، ويجب أن تتوفر

في المعالجة شروط عديدة، منها:

أ. أن تكون موافقة للعقل والمنطق وأصل الخلقة والفطرة، وتكوين الإنسان الذي هو من جوهرين الروح والجسد.

ب. المحافظة على الحياة الاجتماعية والأمن والاستقرار فيها، والعمل على تنميتها وتطويرها وازدهارها.

ج. إيجاد التوازن بين المصالح الفردية والمجتمعية، وإشباع جميع الحاجات الفردية والمجتمعية، المادية والمعنوية، القريبة والبعيدة، الدنيوية والأخروية، وصيانة كافة الحقوق الطبيعية والحريات الأساسية والمكتسبات الحضارية على كافة الأصعدة ومختلف الميادين الثقافية

والعلميـة والاقتصاديـة والاجتماعيـة والسياسية ونحوها.

وقـد رفع الله عَزَّوَجَلَّ الاختلاف بيـن الناس وعالجه بالنبـوة والوحـي والتشـريع، وهـو الأمـر الـذي تتوفر فيـه جميع الشـروط سـالفة الذكر، قـول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1]

وتتضمن الآية المباركة النقاط التالية:

١. كان الناس لعشرة قرون بين آدم ونوح عليهما السلام

١- البقرة: ٢١٣

أمة واحـدة متفقون على الفطـرة والتوحيد، ثـم حدثـت تطـورات فـي المجتمعـات البشـرية وتعقيـدات، وتعارضـت المصالح والإرادات فاختلفـوا فيمـا بينهـم، وحدثت بينهـم المنازعـات والصراعـات علـى الأمورالدنيويـة وظهـرت الأرضيـة والأجـواء المناسـبة للإختلافـات الدينيـة، وهـذا أمـر طبيعـي تقتضيـه الفطـرة وأصـل الخلقـة وتكويـن الإنسـان مـن جوهريـن: الـروح والجسد.

٢. لحـلّ الإختلافـات ومعالجـة المنازعـات بيـن النـاس والفصـل فيهـا بعـث الله ﷻ الأنبياء الكرام عليهم السلام بوجهين:

أ. مبشـرين بما سينعم الله تبارك وتعالى به

على المؤمنين الصالحين المطيعين من الرضوان والجنة.

ب. منذرين بما سيعاقب الله ﷻ به الكافرين والمنافقين والمفسدين العاصين من السخط والعذاب.

وتعتبر صفتا البشارة والإنذار أدعى لمتابعة الطاعة وترك المعصية.

وأنزل الله ﷻ مع الأنبياء الكرام عليهم السلام الكتب السماوية التي تتضمن ما يحتاجه الناس من المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة والتشريعات السمحة والعلوم المختلفة؛ لتقوم على أساسها الهداية إلى الحق ومعالجة الاختلافات على أساس العدل

والفضيلة والسمو بالناس من حدود الغريزة والمادة والطبيعة إلى فضاء الروح والعقل والفضيلة، ويقيموا الحجة التامة عليهم.

٣. لم يتبع جميع الناس الأنبياء الكرام عليهم السلام ويأخذوا بما أرشدوهم إليه من الحق والعدل والفضيلة والعلم، بل وخالفهم البعض وحاربهم بعد قيام الحجة على صدقهم وصواب ما جاؤوا به وصلاحه، وظهر المنافقون الذين اختلفوا مع المؤمنين فيما أنزلت به الكتب وجاءت به سنن الأنبياء الكرام عليهم السلام مع أنه مما لا يصح ولا ينبغي الاختلاف فيه لغاية وضوحه ولموافقته للعقل والفطرة وقيام الحجة عليه، ولكونه

أساس صلاح المجتمع والأفراد جميعاً، وكان الأولى بهم الاجتماع عليه، فكان اختلافهم بغياً منهم على الحق وحسداً لأهله، طمعاً منهم في الدنيا ومغانمها ومنافعها الزائلة وطلباً للرئاسة والزعامة، وحرصاً منهم على مصالحهم الخاصة بدافع الأنانية والإثرة وحب الذات، فاختلّت بسببهم الوحدة الدينية، وظهرت الأحزاب والطوائف والانقسامات والصراعات بين أتباع الدين الإلهي الواحد، وأصبح ما أنزل لإزالة الاختلاف سبباً لاستحكامه! وما سبق يدلّ على أنّ الاختلاف ينقسم إلى قسمين:

أ. الاختلاف في أمور الدنيا، وهو اختلاف

طبيعي يُعالج بالتشريعات والقضاء والقيادة والسلطة التنفيذية.

ب. الاختلاف في أمر الدين، وهو اختلاف يستند إلى بغي المشركين والمنافقين وحسدهم وتعصبهم وظلمهم، ومخالف للعقل والمنطق والفطرة والطبع السليم والمصالح العامة، وهو مذموم ومدان في العقل والشرع.

٤. في ظل فتنة الاختلاف في الدين الإلهي الحنيف، فإنّ الله تبارك وتعالى لا يتخلّى عن عباده المؤمنين الصالحين أصحاب النوايا الصافية الخالصة لله سبحانه وتعالى والقلوب السليمة الطاهرة الذين يطلبون الحق ويبحثون عنه بصدق وإخلاص،

ولايخذلهم، بل يقف إلى جانبهم، فيؤيدهم بروح من عنده ويهديهم سبل السلام، ولما اختلف فيه من الحق وإلى صراط مستقيم، ويثبتهم وينصرهم بالحجة والبرهان على كلّ من خالفهم وعارضهم تفضلاً منه وإحساناً لهم؛ لأنهم مؤهلون للهداية ويستحقونها بصدقهم وإخلاصهم وأخلاقهم الفاضلة وخصالهم الحميدة وأعمالهم الصالحة، وهذا منه ﷻ موافق لمقتضيات الحكمة والرحمة التي كتبها على نفسه، قال تعالى: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

١- البقرة: ٢١٣

ونخلص مما سبق إلى ضرورة الوحي والنبوة بحكم العقل والمنطق، فمن صدّق الأنبياء الكرام عليهم السلام وآمن بهم واتّبعهم واقتدى بهم، فقد اهتدى وسلك طريق الحق والنجاة والكمال والسعادة، ومن كذبهم وكفر بدينهم ورسالتهم وخالفهم، فقد ضلّ وسلك طريق الباطل والنقص والتحلل والفساد والانحطاط والهلاك الفعلي والشقاء الأبدي الكامل والخسران المبين.

نتائج مهمة تترتب على حركة الأنبياء

وقد ترتبت على حركة الأنبياء الكرام عليهم السلام في المسيرة الإنسانية التاريخية النتائج المهمة النوعية التالية:

١. خروج الإنسانية من سلطة الغريزة إلى سلطة العقل، ومن منطق القوة إلى منطق

القيم والمبادئ ومرجعية النظام والقانون.

٢. خروج المجتمعات الإنسانية من التكوين الحيواني البيولوجي إلى التكوين الفكري والعقلي والروحي.

٣. خروج العلاقات الإنسانية من دائرة المصالح المادية الضيقة إلى فضاء الفكر والمعاني والقيم الروحية والأخلاقية الرحب، التي تشكل قاعدة ثابتة لوحدة الإنسانية وتعاونها وتكاملها والمصالح المشتركة في دورة الحياة الكاملة العرضية في المكان والجغرافيا والطولية في الزمان والجغرافيا، والطريق إلى كمالها اللائق بها والمقدّر لها العلمي والمعرفي والتكنولوجي والتربوي والحضاري.

٤. إخراج دفائن العقول من العلوم والمعارف الحقة، ومساعدة العقل على تأدية دوره ووظيفته في الإرشاد والتوجيه والتحكم والضبط على طريق الاعتدال والوسطية، حيث توجد الكثير من الحقائق والمعارف الحقة البعيدة والعميقة والدقيقة جداً التي يستطيع العقل الإنساني إدراكها، لكنّه قد يغفل عنها بسبب الإنهماك في الأمور المادية والمصالح العاجلة أو بسبب التربية المنحرفة أو قصور التجربة ونحو ذلك، فيأتي الأنبياء الكرام عليهم السلام فيبينوها للناس ويرشدوهم إليها، ويحلّوا ما تدور حولها من مشتبهات ومغالطات فيدركها الناس ويعرفوها ويؤمنوا بها ويعملوا بمقتضاها.

فالعقل يعجزعن تأدية دوره والقيام بوظيفته في الإرشاد والتوجيه والهداية بالشكل الأمثل وعلى الوجه الأكمل إلا بمساندة الوحي، وبدونه قد يتحول إلى وبال ونقمة على الإنسان والإنسانية حينما ينقاد لقوة الشهوة والغضب، فيتحول إلى أداة للجريمة والفتن في وسائل وأشكال وصور الفساد في ظل غياب الوحي كما تشهد بذلك التجربة التاريخية والمعاصرة. وبهذا ندرك حجم مشاركة الأنبياء الكرام عليهم السلام الفعّالة والجوهرية في التقدم العلمي والفكري والروحي والأخلاقي والتشريعي، وترشيد المسيرة التاريخية الحضارية للبشرية وازدهارها، ولولاهم لما وصلت

البشرية إلى ما وصلت إليه من التقدم والازدهار والرشد على كافة الأصعدة وفي مختلف الميادين، يقول الإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام: **«فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَه، ووَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَه؛ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه، ويُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِه، ويَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، ويُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، ويُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ»**[1]

بحث روائي مختصر

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن المعرفة: **من صنع مَن هي؟ فأجاب: من صنع الله ليس للعباد فيها صنع.**[2]

١- نهج البلاغة، الخطبة ١٠

٢- الكافي، جزء ١، صفحة ١٦٣

وعن صفوان بن يحيى، قال: سألت الرضا عليه السلام عن المعرفة: **هل للعباد فيها صنع؟** قال: **لا. قلت: لهم فيها أجر؟** قال: **نعم، تطول عليهم بالمعرفة وتطول عليهم بالثواب.**[١]

عن عبد الأعلى، قال: **قلت للإمام الصادق** عليه السلام**: هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟** قال: لا قلت: **فهل كلّفوا المعرفة؟** قال: **لا؛ لأنّ على الله البيان، لا يكلّف الله العباد إلّا وسعها، ولايُكلّف نفساً إلّا ما أتاها.**[٢]

تتضمن الأحاديث الشريفة نقاطاً مهمة عديدة، منها:

١. أن الإنسان والملائكة والجن وهم الكائنات

١- تحف العقول، صفحة ٤٤٤

٢- المحاسن، جزء ١، صفحة ٤٣١

العاقلة ليسوا عالمين بالذات وإنما عالمين بالغير، أي: لديهم القابلية والقدرة على التعقل واكتساب المعرفة، وأنّ العلم والمعرفة يأتيانهم من الغير، وأنّ العالم بالذات هو الله وحده لاشريك له، وقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1]

ولأنّ العباد عالمون بالغير، فعلمهم محدود وله أدوات وله طرق، مثل: الحواس الخمس والاستدال العقلي والشهود القلبي والوحي، فبعض العلوم يحصلون عليها عن طريق الحواس الخمس، وبعضها عن طريق الاستدلال العقلي، وبعضها عن طريق

١- البقرة: ٣٢

الكشف والشهود القلبي، وبعضها عن طريق الوحي، وتفاوت الكائنات العاقلة في القابلية والاستعداد للمعرفة من جهة النوع والعمق والكم، ولهذا علم آدم عليه السلام من شأن الأسماء ما لم تعلمه الملائكة، قول الله تعالى: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[1].

٢. أنّ بعض المعارف والحقائق لا سبيل للإنسان إلى تحصيلها، ولم يكلفوا

١- البقرة: ٣١-٣٣

بتحصيلها؛ لأن تحصيلها فوق وسعهم وطاقتهم، والله سبحانه وتعالى لا يكلّف فوق الوسع والطاقة، وقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[1]، ومن المعارف التي لا سبيل للإنسان لتحصيلها: المعرفة بالذات الإلهية، والمعرفة المطلقة بالصفات الإلهية العليا والأسماء الحسنى والأفعال الحكيمة والكمالات الإلهية؛ لأنّها مطلقة وعقل الإنسان محدود، ويستحيل أن يحيط المحدود بالمطلق علماً ومعرفة.

٣. بعض المعارف لا يدركها العقل أو لا يحيط بها علماً ومعرفة ابتداءً أو من تلقاء

١- البقرة: ٢٨٦

نفسه، ولكنه يستطيع إدراكها ومعرفتها بمساعدة الوحي والتنزيل، مثل: المعرفة الحقيقية العالية الكاملة الممكنة في حق المخلوقين بالله ذي الجلال والإكرام، أي: بصفاته وأسمائه وأفعاله وكمالاته، والمعرفة الممكنة بالعرش والكرسي والقلم والجنة والنار وأحوالها والصراط والبرزخ والملائكة ونحو ذلك.

٤. هناك معارف وحقائق يستطيع الإنسان إداراكها ومعرفتها ابتداءً ومن تلقاء نفسه عن طريق الحسّ والتجربة أو عن طريق الاستدلال العقلي، مثل: العلوم الطبيعية والإنسانية والمنطق والرياضيات واللغويات ونحوها.

مصادر الرحمة في الرسالة المحمدية

الرحمة في الرسالة المحمدية ثابتة ومعلومة ومصادرها عديدة، أذكر منها:

أولاً: أنها أنزلت بمقتضى الرحمة الإلهية

قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[2]

أي: أنّ الرسالة المحمدية العظيمة هي من

١- الأنبياء: ١٠٧

٢- آل عمران: ١٥٩

مظاهر وتجليات رحمة الله سبحانه وتعالى العامة والكاملة لكافة الناس المؤمنين والكافرين، وفي الحديث النبوي الشريف: «**إنما أنا رحمة مهداة**»[1]، وذلك يدل على أمور عديدة، منها:

١. فضل الله العظيم على النبي الكريم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وعلى الناس كافة المؤمنين والكافرين، إذ منّ عليهم وتفضّل وتحنّن بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

٢. أن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله يتحلى بأخلاق فاضلة كريمة، قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وبأكمل الصفات الممكنة لمخلوق، وأنه مفطور

١- التفسير المبين، صفحة ٤٣٢

٢- القلم: ٤

على الرحمة، وتظهر في جميع أحواله وسلوكه ومواقفه وتصرفاته.

٣. أنّ لوجود النبي الكريم ﷺ آثار حسنة على جميع الناس، آثار تترتب تلقائياً على مجرد وجوده المبارك، مثل: قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾[1]، وآثار تترتب على عمله ونشاطه وجهاده المبارك في مختلف الميادين على كافة الأصعدة الفكرية والروحية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية وغيرها.

٤. أن الرسالة المحمدية العظيمة فيها المظهريّة التامّة الكاملة للرحمة الإلهية

١- الأنفال: ٣٣

ولصفات كماله وجلاله، ولأخلاق النبي محمد صلى الله عليه وآله ولصفات كماله وعظمته ورحمته التي يقود بها الناس ويربيهم التربية الحقيقية الكاملة الشاملة لجميع الجوانب الفكرية والروحية والأخلاقية والسلوكية، ويمثل لهم القدوة الحسنة والمثل الأعلى، قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

٥. أنّ الرحمة والبرّ بالناس والإحسان إليهم والتودد إليهم من صفات الله، وأمسها حاجة بالناس. أنّ الملكية المطلقة التامة والسلطة الكاملة والربوبية العظمى والتفرّد

١- الأحزاب: ٢١

في التدبير التام، كلها لا تقوم على السطوة والجبروت في المقام الأول، وإنما على الرحمة الواسعة الشاملة والشفقة التامة بالخلق والتودد إليهم والإحسان لهم والبر بهم، وإرادة صلاحهم وخيرهم وكمالهم وسعادتهم الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة، مما يدفع الإنسان للاستغراق التام في العبودية لله ذي الجلال والإكرام وسلوك طريق العشق والمحبة والطاعة والتسليم المطلق له والانقطاع التام إليه عن غيره ونزع ولاية غيره من قلبه، الأمر الذي لا تتم حقيقة الإيمان الكامل إلا به، قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ

﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ويجاهد نفسه غاية المجاهدة ولا يطلب لنفسه شيئاً سوى ما يريده الله سبحانه وتعالى له.

وقد وصف الله نفسه بالرحمة التي هو مصدرها الوحيد، فكل رحمة في غيره، فأصلها من فيضه. وكتب الرحمة على نفسه، أي: فرضها وأوجبها على نفسه فرض وإيجاب تفضّل وكرم وبرّ وإحسان، لا بإلزام لازم ولا بحساب محاسب، وأثبتها قضاءً حتماً على نفسه؛ لأن ذاته المقدسة غني وفيض مطلق ملؤها الرحمة، وسواه فقير محتاج إليه في وجوده وصفاته وأفعاله وكمالاته، ومحتاج إلى فيضه ورحمته.

١- البقرة: ٢٥٦

ومن أسماء الله الحسنى: الرحمن الرحيم:

أ. **الرحمن:** صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة وبلوغ الغاية في الرحمة الواسعة العامة المطلقة التي تعم المؤمنين والكافرين.

ب. **الرحيم:** صيغة تدلّ على الثبات والبقاء والديمومة والعظمة وهي تخصّ المؤمنين.

وهذا يعني: إفاضة النعم التكوينية والتشريعية على العباد، وإنزال الخير إليهم والإحسان والبرّبهم، ورفع حاجة كل محتاج، وإعانة كل ضعيف، وإيصال الموجودات إلى كمالها اللائق بها والمقدر لها بحسب قابلياتها واستعداداتها التكوينية والإرادية، وهذا يتطلب أمور عديدة من الله ﷻ بخصوص الإنسان،

منها: إرسال الرسل وإنزال الكتب ونصب الأدلة لهداية الناس، وأن لايعاجل المسيئين بالعقوبة على أعمالهم السيئة ويقبل توبتهم ويعفو عنهم ويغفر لهم، قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]، وأن يخاطبهم على قدر عقولهم ويكلّفهم على قدر الوسع والطاقة، ويأتي بكل ما يلزم لصلاحهم وكمالهم وسعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة، ويلبي جميع احتياجاتهم المادية والمعنوية، الفردية والمجتمعية، الدنيوية والأخروية.

١- الأنعام: ٥٤

ج. أن يبعث الناس بعد الموت ليجازيهم على أعمالهم جزاءاً وفاقاً، أي: موافقاً لأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فيثيب المحسن ويعاقب المسيء. وذلك لقابلية الإنسان للخلود فيلبسه لباس حياة جديدة أبدية أشرف وأوسع وأعلى مرتبة وأعظم فضلاً، وقيل: لولا الوعد والوعيد وخوف العذاب في يوم القيامة لمال الكثير من الناس إلى المعصية والجريمة والرذيلة وترك الطاعة والفضيلة، فصار التهديد بعذاب يوم القيامة من أعظم أسباب الرحمة، وتركه مخالف للحكمة، وفيه نقض لغاية خلق الإنسان التي تعلّقت بها الإرادة الإلهية حين خلق الإنسان،

وهـي إيصال الإنسـان إلى كمالـه وتحصيل سعادته الحقيقية الكاملة.

وقد انعكسـت الرحمـة الإلهية على شـخصية الرسـول العظيـم صلى الله عليه وآله فكان مظهـراً للرحمة الإلهية ورحمة للعالمين، وتعامل مع الناس على أسـاس الرحمـة، قـول الله تعالـى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[١]، وقول الله تعالـى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٢] وهـذا يعني ضرورة أن يتحلّى المؤمنـون بالرحمـة وحسـن المعاملـة مع

١- آل عمران: ١٥٩

٢- التوبة: ١٢٨

الآخرين والرأفة بهم؛ لأنّ الإيمان من تجلّيات الرحمة الإلهية ولايمكن أن ينفصل أو يتخلّف عنها، وقد وصف الله تعالى المؤمنين بالتراحم، قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾[1]، أي: يوصي المؤمنين بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه، والاستقامة على الصراط المستقيم ونهج الاعتدال القويم والطريقة الوسطى، والصبر على الطاعة لله ﷻ وترك المعاصي الظاهرة والباطنة - معاصي القلب - والصبر على ما يصيبهم من البلايا والمصائب والمحن طلباً لمرضاة الله ذي الجلال والإكرام.

ويوصي بعضهم بعضاً كذلك بالرحمة والمودة

١- البلد: ١٧

وحسن الخلق والشفقة على خلق الله وعباده والإحسان إليهم والبرّ بهم ومساعدتهم على قضاء حوائجهم وحفظ مصالحهم الدينية والدنيوية، خاصة ذوي الفقر والحاجة والمسكنة، والتعاطف مع المظلومين والضعفاء ونصرتهم، والتعاون على تحقيق العدالة الاجتماعية والحياة الكريمة الطيبة لجميع الناس وتحرير الضعفاء من الذلّ والعبودية، والأمر بالمعروف وسلوك طريق الخير والنهي عن المنكر وسلوك طريق الشر، وإيجاد الترابط والتلاحم والتعاون والتماسك بين الناس لتلبية كافة احتياجات المجتمع وتحقيق الأمن والاستقرار والتقدم والازدهار ومواجهة المصاعب والكوارث والمشاكل والأزمات والتغلّب عليها وقهرها والاستمرار في مسيرة التقدم والتحضّر.

وقد خصّ الله تبارك وتعالى التواصي بالصبر والتواصي بالرحمة - التراحم - بالذكر من بين جميع أوصاف المؤمنين الحميدة التي هي تجلّيات جمال الله وجلاله، وهي كثيرة جداً؛ لأنّ الصبر والرحمة هما أشرف صفاتهم بعد أصل الإيمان واليقين، فالصبر هو الطريق إلى الطاعة والأعمال الصالحة وترك المعاصي والذنوب والجرائم الظاهرة والباطنة، والوصول إلى قمة الخير والصلاح والكمال والفضيلة والسعادة، أي: الكمال التربوي، وفيه تعظيم كبير لأمر الله سبحانه وتعالى، والتراحم هو الطريق إلى صلاح المجتمع ورقيه وازدهاره، أي: الكمال الحضاري، والكمال التربوي والكمال الحضاري هما غاية الخلق للإنسان وهدف المسيرة الاجتماعية التاريخية

للبشرية.

وفي الحديث النبوي الشريف: «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى» ارحمُوا من في الارض يرحمكم من في السماء**»[1].

وفيه أيضاً: «**من لا يَرحم لا يُرحم ومن لا يَغفر لا يُغفر له ومن لا يتب لا يتوب الله عليه**»[2]

وفيه كذلك: «**من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمهُ الله يوم القيامة**»[3]

وما سبق من الحديث عن تجلّيات الرحمة الإلهية في الرسالة المحمدية يدلُّ على أمور عديدة، منها:

١- كنز العمال، الحديث: ٥٩٦٩

٢- كنز العمال، الحديث: ٥٩٦٦

٣- كنز العمال، الحديث: ١٥٦١٤

أ. إنّ اتباع الرسالة المحمدية ودين محمد ﷺ يوصل الإنسان إلى كماله الحقيقي المعرفي والتربوي والحضاري، ويحقق للإنسان السعادة والطمأنينة والسكينة والابتهاج والغبطة في الدارين الدنيا والآخرة.

ب. إنّ الرسالة المحمدية والشريعة الإسلامية السماوية السمحة وكل ماجاء به الرسول الأعظم الأكرم ﷺ من المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة ودعى إليه من الأعمال الصالحة موافقة للعقل والمنطق والفطرة السليمة وأصل الخلقة والتكوين، وفيها صلاح الأفراد والمجتمعات ومصالحهم الحقيقية الدنيوية في دورة الحياة الكاملة العرضية في المكان والجغرافيا، والطولية

في الزمان والتاريخ ومصلحتهم الأخروية، وهي أوسع رحمة بالناس من جميع الأديان والشرائع السماوية السابقة والأرضية.

أمّا الأديان الأرضية: فذلك في غاية الوضوح والمنطق؛ لأنّ الرسالة المحمدية من ربٍّ رحيم عالم حكيم، والإنسان عاجز بذاته عن أن يأتي بالتشريعات التي تكفل جميع مصالحه الفردية والمجتمعية، المادية والمعنوية، القريبة والبعيدة، الدنيوية والأخروية، وهو أمر ثابت بالعقل والتجربة وسبق بيانهُ وإثباته.

وأمّا الأديان السماوية السابقة: فمع أنها مملوءة بالرحمة والرأفة والشفقة على الناس؛ لأنها من تجليات رحمة الله ذي

الجلال والاكرام، قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وقول الله تعالى: على لسان نوح عليه السلام ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾[2] ومثلها على ألسن غيره من الأنبياء الكرام عليهم السلام، لكن الرسالة المحمدية الخاتمة للرسالات السماوية هي أتمّ الرسالات وأكملها وأشملها وأظهرها لرحمة الله الواسعة التي تتجلى فيها أكثر من غيرها من الرسالات السماوية، وهي

١- الأنعام: ١٥٤

٢- هود: ٢٨

نهائيـة وثابتـة وغيـر قابلـة للنسـخ التغييـر والتبديـل وعالميـة وعامة لكلّ البشـر على طـول التاريخ وعـرض الجغرافيا حتى نهاية التاريخ وانقضاء الحياة الإنسانية على وجه الأرض.

ثانياً: المقومات الأساسية الجوهرية في الرسالة

تمتعت الرسالة المحمدية بمجموعة من المقومات الأساسية الجوهرية التي تتجلى فيها الرحمة بالناس، منها:

المقوم الأول: الاستقامة

قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[2]

معنى المستقيم والاستقامة

١- الأنعام: ١٥٣

٢- الفاتحة: ٦-٧

المستقيم: الذي لا عوج فيه ولا تعاريج.

والخط المستقيم: هو الخط الأقرب بين نقطتين.

والاستقامة: أصلها قام. وقيام الإنسان يمثل أعدل حالاته التي تمكنه من عامة أعماله، كما يمثّل شخصيته بماله من مختلف الشؤون، ثم استعير في كل شي لأعدل حالاته التي يتمكن فيها من بسط آثاره وأعماله، وتعني: الاعتدال في الأمر في مقابل الانحراف والاعوجاج، وطلب القيام من الشيء واستدعاء ظهور عامة آثاره ومنافعه، مثل: استقامة الطريق التي تعني استوائه ووضوحه بحيث لا يضل سالكه ولا يتردد ولا يتحير، وبه شبه طريق المحق؛ لأنه يكون أقرب إلى المقصود.

واستقام الشيء: اعتدل واستوى.

واستقام فلان: لزم المنهج المستقيم الواضح الذي لا عوج فيه وثبت عليه في جميع شؤون حياته موفيّاً حقه بتمامه وكماله بحيث لا يترك شيئاً منه مع قدرته واستطاعته عليه، وهي كلمة جامعة لكل ما يتعلق بالعلم والعمل به وبجميع الفضائل والكمالات.

الأفكار الرئيسية والمضامين العامة للآيات

تتضمن الآيات الكريمة المباركة النقاط الرئيسية التالية:

النقطة الأولى: الدين الإسلامي هو الدين الإلهي الحق

إنّ الدين الإسلامي الحنيف، هو الدين الإلهي

الحق المعتدل السهل الوحيد الذي لا يقبل الله ﷻ من العباد غيره، وهو الدين الوحيد الجامع لأصول الخير والصلاح والرحمة والفلاح والكمال والسعادة للإنسان، وهو الصراط المستقيم الواضح جداً في الحياة لا اختلاف بين أجزائه؛ لأنه وحدة واحدة في غاية التماسك والانسجام والتناغم والتكامل والتعاضد بين أجزائه كما تقتضيه وتفرضه حقيقة الاستقامة وواقعها، ولا اختلاف بين سالكيه؛ لأنه يمثل الأساس الواقعي والفكري والروحي والقيمي والتشريعي المتين الراسخ الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل لوحدتهم الدينية والمدنية، ولا يتخلّف في هداية سالكيه وإيصالهم إلى هدفهم الأقصى ومقصودهم الأسمى وغاية مطلوبهم؛ ولأن الله تبارك وتعالى هو

الهادي لسالكيه ومؤيدهم ومسددهم ومعينهم على سلوكه، قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وموافق للعقل والمنطق ولأصل الخلقة والتكوين تمام الموافقة، ويحقق العدل والأمن والاستقرار والفضيلة والتنمية المستدامة والازدهار، ويخلق الألفة والمحبة والمودة والتعاطف بين الناس والتعاون على البرّ والإحسان وعمل الخير والصالحات، والتناصر على الحق والعدل ولا يضل سالكوه ولا يشقون، بل يصلوا إلى مقصودهم وغاية مطلوبهم في الدارين الدنيا والآخرة، وينالون ما طلبوا من النعم المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، فأية نعمة أجلُّ من هذه النعمة ؟! وأية رحمة أوسع من هذه الرحمة ؟! وهذا يدلّ على

١- العنكبوت: ٦٩

أنّ الله تبارك وتعالى قد قرر لنوع الإنسـان في أصل خلقته و إرادة تكوينه سبيلاً واحداً يسلكه من أجل الوصـول إليه ونيـل كرامته، فيجـب بحكم العقل والمنطق والفطرة والطبع السليم اتباعه والعمل به جملـةً وتفصيلاً، والثبـات عليه أبداً وعدم التفرّق عنه باتباع الطرق الملتوية والمتعرضة من الأديان المختلفة الوضعية الباطلة والسماوية المنسوخة والمنحرفـة التـي تبعـده عـن مـراده الحقيقـي ومقصوده الوجودي وغاية مطلوبه.

النقطة الثانية: الالتزام بالدين الإلهي

تترتـب علـى اتبـاع الديـن الإسـلامي الحنيف والصراط المستقيم نتائج إيجابية محمودة كثيرة كثـرة لا حصر لها ولا نهاية، مثل: الهداية والتقوى، فالتقـوى الحقيقيـة الكاملة لا تحصل إلا بسـلوك

الديـن الإلهي الحق والصراط المسـتقيم، وليس بالـورود من أي طريق كان، قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1] وهوممتلئ بالنور والأنس والسكينة والوقار، وفيه صيانة كرامة الإنسـان وحقوقـه الطبيعيـة والمكتسـبة، وحفـظ مصالحـه الحقيقية الفردية والمجتمعية، المادية والمعنويـة، القريبة والبعيدة، الدنيوية والأخروية، وفيه نجاة الإنسـان من الهلاك والشـقاء، وإيصاله تدريجياً إلـى كمالـه وسـعادته، ويوصلـه إلـى الله ذي الجلال والإكـرام، والفناء فيه والبقاء به والفوز برضوانـه وثوابـه الجزيـل والنعيـم المقيـم فـي دار رحمته وكرامته.

١- آل عمران: ٨٥

نتائج سلبية تترتب على مخالفة الدين الالهي

وفي المقابل: تترتب على مخالفة الدين الإلهي الحنيف والخروج عن الصراط المستقيم والتفرق عنه نتائج سلبية وخيمة مذمومة فردية ومجتمعية، مادية ومعنوية، قريبة وبعيدة، مباشرة وغير مباشرة، دنيوية وأخروية عديدة، منها:

النتيجة الأولى: الضيق النفسي الشديد في الحياة العملية والشعور بالحسرة والندامة والشقاء والتعب والابتعاد عن الراحة النفسية والطمأنينة الروحية والسعادة الحقيقية، قول الله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ

حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾[1]، أي: من اتبع هدى الله ودينه الحق وعمل به، وهو عين العقل والفطرة، فلا يضلّ طريقه ولا هدفه ولا مقصوده ولا غايته في الحياة، بل يصل إلى مطلوبه وتحسن عاقبته ولا تضيق نفسه ولا خوف عليه، فهو في سلامة وعافية، ولا يصيبه الحزن والغم من أمور الحياة، ولا يشقى في الدنيا والآخرة؛ لأنه في الدنيا يرضى بما قسم الله له من الرزق وبما قضى له وعليه، ويثق بالله ﷻ ويتوكّل عليه في أموره كلّها، فينزل الله تبارك وتعالى السكينة والطمأنية على قلبه، ويلبسه لباس الوقار والهيبة، ويجعل الراحة في نفسه، فلا يشعر بالضيق والخيبة واليأس ونحو ذلك، وفي الآخرة ينال رضوان الله

١- طه: ١٢٣-١٢٦

العظيم، ويفوز بجنته ونعيمه الأبدي المقيم فيها على قاعدة ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾[1].

وفي المقابل: من أعرض عن طاعة الله ﷻ واتباع دعوته، وعن ذكره وكتابه الذي يهدي إلى جميع الفضائل والكمالات والمطالب العالية، وعن الاتصال به والانقطاع إليه عن كل شيء غيره، فإنه يعيش في الدنيا عيشة حيوانية مستغرقاً في الأهواء الشيطانية والشهوات الحيوانية، وإشباع حاجات الجسد، والحرص على مصالحه الشخصية عاصياً مجرماً بعيداً عن أنوار الحقائق وأشواق ورغائب الروح، أعمى لا يهتدي إلى سبل النجاة والهداية والخير والصلاح والسعادة والفلاح، وهي معيشة ضيقة

١- الرحمن: ٦٠

الأفق ثقيلة الحمل يمتلي صاحبها بالضيق النفسي والحزن والقلق والاضطراب وعدم القناعة والخوف من المستقبل ونفاذ الإمكانيات وحلول المصائب ونزول العوارض، مثل: الموت والمرض والعاهات والفقر والكيد والفشل في المساعي وفراق الحبيب ونحو ذلك، وذلك كلّه ينشأ عن النقائص المعنوية والفقر الروحي، وللأسباب التالية:

أسباب الضيق النفسي والعملي لغير المؤمن

أ. لأنه لا يؤمن بالأسباب الطبيعية المباشرة، فلا يؤمن بالله ﷻ ولا بعالم الغيب، فإذا لم يتمكن من الأسباب الطبيعية لتحصيل المطلوب، فإنه يشعر باليأس والإحباط والخوف، ويمتلئ بالهموم والغموم

والأحـزان والآلام، خاصـة وأنّ المـوت والحيـاة، والصحـة والمـرض، والنجـاح والفشـل، والنصروالهزيمـة ونحو ذلك كلّها ليسـت بيده مطلقـاً، ولا تتوقف على مجرد إرادتـه وعملـه، علـى خـلاف مـا يتوهمـه الجهلـة والحمقى مثل قـارون وأمثاله، قول الله تعالـى: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، أي: يتوهم الحمقـى والجهلة غروراً منهم واستكباراً على خلاف الحقيقة والواقـع، أن مـا يحصلـون عليـه مـن النعـم والخير والمكاسـب؛ إنما هو بسبب علمهم ومواهبهـم وخبرتهـم وجهودهـم وحسـن

١- الزمر: ٤٩

تدبيرهم وحدهم، وأن ليس لله ﷻ ولا لغيره يد ولا مشيئة فيها، وعليه: فلهم كامل الحق والصلاحية في التصرف فيها بحرية مطلقة كما يشاؤون وكما يرغبون وكما يحلو لهم في الحق والباطل بدون مراقبة أو محاسبة من أحد، متجاهلون أنّ الموجودات كلها هي من خلق الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له وخاضعة بالمطلق لإرادته وتدبيره، لايخرج شيء منها عن ذلك، وهو وحده المتحكم فيها لا غيره، ولا يقدر أحد غير الله سبحانه وتعالى على أن يوجد شيئاً من لا شيء، ومتجاهلون أيضاً، أنهم ماكانوا ليحصلوا على شيء مما حصلوا عليه لو كانوا لوحدهم ولم يشاركهم غيرهم في

الحياة الاجتماعية، وعليه: فكل ما حصلوا عليه هو من فضل الله تبارك وتعالى وفضل الحياة الاجتماعية، أي: أن لأفراد المجتمع دور جوهري ورئيسي في حصولهم عليه، وما كانوا ليحصلوا على ما حصلوا عليه لولا وجودهم مع غيرهم في المجتمع.

ب. لأنّ مطامع الحياة الدنيا لا حصر لها، والنفس لا تشبع، فكلّما حصل الإنسان على شيء وحقق أمنية من أمانيه في الحياة طمع في الأكثر وزادت رغبته فيه وتعلّق قلبه بتحصيله بدون نهاية أو توقف، وتحقيق المطالب والرغبات ليس بالتمني، وإنما بالسعي والجد والعمل والتضحية، وكلّما كبر الشيء المطلوب

واتسع احتاج إلى جد وسعي وعمل وتضحية أكبر وأضخم، وليست النتائج بيده وحده وتتوقف على كدحه وعمله وسعيه وتضحياته، حيث تتداخل إرادات الآخرين ورغباتهم وتضيحاتهم مع إرادته ورغبته وتضحياته، وفوقهم جميعاً تقف إرادة القدر العليا، فلا يضمن النجاح والظفر بما يريد، فيكون دائماً في كبد وكد وغم وحنق وضيق صدر ومشقة دائمة، ويلهث وراء ما يريد، ويستولي عليه الخوف والحرص والجشع والشح حتى ينتهي عمره وهو في مشقة وضيق، ولم يحقق ما يريد، ثم يكون في ضيق وعذاب بعد الموت في عالم البرزخ وعالم القيامة، وهو عذاب أشد

وأقسى أضعافاً مضاعفة مما كان يعانيه من عذاب وألم وضيق في عالم الدنيا على قاعدة: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾[1] فهذا هو الجزاء العادل لكل من يخالف الحقائق والفطرة والسنن والمنطق ويتجاوز حدّ العبودية لله ﷻ ويكفر بها ويتمرد عليها ويترك العمل بمقتضاها فالجزاء دائماً من جنس العمل.

ج. لأنّ الاستغراق في عالم المادة والطبيعة وحاجات الجسد، وتجاهل عالم الغيب والملكوت وحاجات ومطالب ورغائب الروح، مخالف للفطرة وأصل الخلقة، والتكوين من جوهرين الروح والجسد،

١- الشورى: ٤٠

ويترتب عليه بالضرورة الضيق والحرج، أي: إنّ تجاهل عالم الغيب والروح وأفضل متطلباتهما سبباً للضيق والغم والخوف بشكل طبيعي وحتمي.

د. لأنّ مخالفة الدين الإلهي الحنيف، والخروج عن الصراط المستقيم، تترتب عليه مخالفة الحقائق والسنن والمنطق والعمل بالباطل، ومخالفة العدل والعمل بالظلم، ومخالفة الصلاح والعمل بالفساد، ومخالفة الفضائل والعمل بالرذائل، ومخالفة السلوك المستقيم والعمل الصالح والصواب والعمل بالسلوك المنحرف والعمل السيء والخطأ، ونحو ذلك من المصائب والحماقات والجهالات مما

يترتب عليه بشكل حتمي الضيق والغم والحزن والمشاكل العظيمة.

تضاعف المشكلة في الحالة الاجتماعية

الجدير بالذكر: إنّ الكارثة تكون أكبر وأكثر خطورة حينما يُبنى المجتمع على نسيان الله سبحانه وتعالى والآخرة، وتجاهل القيم الروحية والأخلاقية العليا والمبادئ الإنسانية السامية، والإعراض عن الدين الإلهي الحق، والرجوع إلى الأديان الوضعية والفلسفات الباطلة والسياسات البرجمانية الخبيثة، والاعتماد على القيم والمصالح المادية ونحو ذلك، فيعم الفساد والظلم، ويظهر الخوف من الآخرين، وتضعف الثقة بهم، وتتفاقم الصراعات والحروب والمنافسات غير الشريفة، وتستخدم كل أدوات

الغدر، وتتسارع وتيرة السباق المحموم على التسلّح، وتتسع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتتسع مساحة التفاوت الطبقي، وتنتشر الجريمة ويكثر الخراب، ونحو ذلك من الكوارث والمصائب والجهالات والحماقات ومظاهر التحلل والانحطاط، مما يهدّد وجود الإنسانية وقيمها.

النتيجة الثانية: الضلال والتفرّق في الدين الإلهي الحق يميناً وشمالاً بغير هدى ولا إمام مبين، والانقسام إلى أحزاب وطوائف ضالة يقودها الشيطان الرجيم، عدو الإنسان اللدود وخصمه المبين، والفراعنة المتجبرون والطواغيت الضالون، وتتناحر فيما بينها وتتقاتل على مصالح الدنيا الفانية باسم الإله والدين،

ويذهب ضحيتها خلق كثير.. فما سبل الضلال في الحقيقة والواقع إلا مجرد أهواء ووساوس وإغواءات شيطانية، ونوازع ورغبات نفسية مرضية، وخيالات باطلة، لا ضابط يضبطها، ولا نظام يحكمها ويجتمع عليه أهلها، ولا مرشد عدل صالح عليها، ولا توافق العقل والمنطق والحقائق والسنن، وتخالف الفطرة وأصل الخلقة والتكوين والطبع السليم، وتقوم على تبديل الدين الإلهي الحق، وتغيير الحقائق الثابتة الواضحة والسنن الراسخة ونحو ذلك، فيضيع الضالون بخروجهم عن الصراط المستقيم واتباعهم سبل الضلال، الوحدة الدينية والمدنية، ويصيبهم الضعف والوهن وينالهم الخذلان الإلهي، ويتورطون في الجرائم والجنايات، مثل: قتل الأبرياء وتعذيبهم

والإساءة إليهم والظلم والفساد والفجور والخيانة والتحلل والرذيلة والحروب الدامية والصراعات العبثية والمنافسات غير الشريفة ونحوها، وتكثر بينهم المشاكل حتى ينتهي بهم المطاف إلى الفشل الحضاري التام والانحطاط والشقاء الكامل والهلاك الفعلي، وذلك هو الخسران المبين.

النتيجة الثالثة: التعرض لغضب الله عزّ وجلّ وسخطه الذي لا تقوم له السماوات والأرض لشدة عظمته وخطره وجلاله، ثم ينالهم العذاب الأخروي الشديد، قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ

﴿فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا﴾[1]، أي: لقد قصصنا عليك من أخبار الحوادث وأحوال الأمم الماضية ما فيه تبصرة لك، ودروساً وعبرة وعظة لقومك، وتصديقاً لدينك ورسالتك، وأنزلنا عليك القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، عطية نفيسة ومنحة جزيلة من عندنا فيه كل ما يحتاجه الناس من المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة والتشريعات السمحة العادلة التي تشهد العقول النيرة السليمة بصحتها وحسنها وكمالها، والدعوة إلى فعل الخيرات وعمل الصالحات، وكل ما يحتاجه الناس للهداية وتحصيل السعادة في الدارين الدنيا والآخرة، وفيه الحجة البالغة التامة على صدق نبوتك ورسالتك، والأمر الذي يوجب

١- طه: ٩٩-١٠١

القبول به والتسليم له فكلّ من أهمل التفكير والتبصر، وكذّبك وأعرض عن دينك وعن القرآن المجيد، وكفر بهما وتهاون بأمرهما ولم يؤمن وخالفهما وترك العمل بموجبهما، فإنّ ذلك يجرّه إلى متاهات وأزمات ومشاكل تحمله أعباء ثقيلة، وإثماً عظيماً لا يمكن تصوره، يشترك في ذلك الأفراد والمجتمعات والأمم، وله عقوبة ثقيلة يستحقها خالداً مؤبداً فيها، في نار جهنم في يوم القيامة جزاءً موافقاً على عناده واستكباره وكفره وأخلاقه القبيحة وأعماله السيئة، وبئس الحمل الثقيل الذي احتطبوه وحملوه على ظهورهم، وبئس العاقبة السيئة التي انتهوا إليها وهم ذاهبون إلى لقاء الله وحسابه وجزائه، وبئس الورد الذي وردوه في يوم الخلود وهو يوم القيامة،

وعليه: فالحقيقة الثابتة الواضحة أن الإنسان إذا ضل الصراط المستقيم والنهج القويم فليس له إلا طريق يوصله إلى عذاب الحريق في نار جهنم!!

النقطة الثالثة: البراءة من الطواغيت

إنّ الاتباع للدين الإلهي الحق والصراط المستقيم من أعلى مراتب الإنسانية، ويحتاج إلى الصدق في الإيمان والإخلاص في النية والانقطاع إلى الله ذي الجلال والاكرام عن كل شيء غيره، والبراءة من ولاية غيره المنقطعين عنه من الطواغيت الضالين والفراعنة المتجبرين والمستكبرين الطغاة والمترفين الفاسقين والانتهازيين النفعيين ونحوهم، قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] فلا تحصل حقيقة الإيمان ويكمل إلا بالبراءة من الطواغيت والفراعنة ومن لفّ لفهم وسلك طريقهم في الحياة.

وفي المقابل: الإعراض عن الدين الإلهي الحق والصراط المستقيم، يستند دائماً وأبداً وبشكل مطلق إلى الجهل والبغي والظلم والحسد واتباع الأهواء والوساوس والإغواءات الشيطانية والأوهام والجهالات والحماقات والخرافات والخيالات الباطلة والغرق في الشبهات والمغالطات ومخالفة الفطرة والطبع السليم والعقل والمنطق والحقائق الثابتة الواضحة والسنن الكونية

١- البقرة: ٢٥٦

والتاريخية؛ بسبب العناد والاستكبار والتعصّب الجاهلي الأعمى للتراث والعرق القبلي والقومي وضعف المنطق وذهاب نور العقل؛ بسبب التعلق بعالم الطبيعة والمادة والغرق في ظلماتها والإخلاد إلى الأرض، والاغترار بزينتها وزخارفها الزائلة، والحرص على المصالح الدنيوية العاجلة الفانية الخاصة والشخصية والعائلية والحزبية والطائفية ونحوها، والوقوف عندها وعدم تجاوزها وتعدّيها، وتجاهل القيم والمبادئ والمصالح العامة، ونحو ذلك من الصفات القبيحة والخصال الذميمة غير المنطقية وغير الإنسانية.

النقطة الرابعة: الفوز بالجنة

لكل ماسبق ذكره: فإنّ الله ﷻ يوصي الإنسان باتباع الإسلام الحنيف والتمسك بالصراط

المستقيم؛ لأنه السبيل الوحيد الذي يوصل الإنسان إلى الصلاح والفلاح وحفظ مصالحه الحقيقية في دورة الحياة الكاملة العرضية على امتداد المكان والجغرافيا، والطولية على امتداد الزمان والتاريخ، وفوزه بالآمال الطيبة الحسنة، والابتهاج بالمسرّات التي يطلبها.

ويوصله إلى كماله الممكن اللائق به والمقدّر له بحسب قابلياته واستعداداته الجسمية والفكرية والنفسية والروحية التي منحه الله تبارك وتعالى إياها وأنعم بها عليه، والحصول على سعادته الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، والنجاة من الهلاك العظيم والشقاء الحقيقي الكامل في الدارين الدنيا والآخرة والفوز بالرضوان الإلهي العظيم والنعيم الأبدي المقيم

في جنة الخلد والفردوس الأعلى في الآخرة والدين الإلهي الحنيف والصراط المستقيم هو سبيل الأولياء الكاملين الصالحين المفلحين من الأنبياء والأوصياء المطهرين والصديقين والشهداء والمؤمنين الخالصين، أصحاب العقول الكاملة والقلوب الصافية والنفوس الطاهرة والنيات الحسنة الخالصة، السالمين من غضب الله ﴿عز وجل﴾ وسخطه الذين منّ الله تبارك وتعالى عليهم بنعمة التوحيد والهداية لولايته وولاية أوليائه، وكتب الإيمان في قلوبهم وثبّتهم عليه وأيّدهم بروح منه وسدّد خطاهم لما يتمتعون به من الصدق والإخلاص والأخلاق الفاضلة، وما يقومون به من المسؤوليات الإنسانية الجسام والأعمال الصالحة وفعل الخيرات، قول الله

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[1]، وصرف عنهم المجرمين من الطواغيت الضالين والفراعنة والطغاة المستكبرين والمترفين الفاسقين والانتهازيين والنفعيين المارقين عن الدين والحق والصواب وأمثالهم المنحرفين الذين غرقوا في عالم الدنيا والمادة والمصالح الدنيوية الفانية الشخصية والخاصة، ونسوا الله سبحانه وتعالى والآخرة والحقائق والسنن، وتجاهلوا القيم العليا والمبادئ السامية، وخالفوها وتركوها ولم يعملوا بها، وعملوا عن جهل وحماقة وضلال وعناد واستكبار وتعصب، وتورطوا في الذنوب الكبيرة والصغيرة والمعاصي والآثام والخطايا والجرائم والجنايات العامة والخاصة، فتدنست نفوسهم وانطمرت

١- العنكبوت: ٦٩

فطرتهم وأظلمت قلوبهم وأنطفأت أنوار عقولهم، فلا يهتدون إلى حق أو خير أو صواب أو فضيلة، ولا يستفيدون من نصيحة صادقة أو موعظة بالغة مؤثرة، قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[1] فلا فائدة ترجى منهم ولا خير فيهم، فهم مصدر الجهل والضلال والشرور والفساد والجرائم ضد الإنسانية في الأرض ولهم في الآخرة عذاب شديد.

سبيل الهداية سبيل واحد

وبناءً على ما سبق: فإنّ السبيل الذي يسلكه الناس في الحياة ليس سبيلاً واحداً، وإنما هي سُبُل شتى عديدة متشعبة ومتطرفة، وسبيل الهداية سبيل واحد من بين جميع السبل التي

١- الملك: ١٠

يسلكها الناس في الحياة؛ لأنّ الحق لا يكون إلّا واحداً لا يقبل الكثرة والتعدد، وكل سبيل سواه فهو باطل محض، ووحدة سبيل الهداية تدلّ على وحدة الهدف منه، ووحدة الداعين إليه وعصمتهم، ويسلكه المؤمنون الصالحون الخالصون، المؤمنون بآيات الله سبحانه وتعالى وبيناته، أما سُبُل الضلال فهي كثيرة عديدة متشعبة ومتنوعة لا حصر لها ولا عدّ ولا نهاية؛ لأن ما سوى الحق كثير وكل كثير باطل، وهي تعم الأديان السماوية المحرّفة، مثل: اليهودية والنصرانية والمجوسية، والأديان الوضعية، مثل: البوذية والهندوسية والزرادشتية، والفلسفات والسياسات الضالة الباطلة، مثل: الماركسية والوجودية والعلمانية والبرجماتية والليبرالية

والاشتراكية والرأسمالية وغيرها من الملل والنحل والضلالات والفلسفات والسياسات، وفي الحديث النبوي الشريف: عن ابن مسعود قال: خط رسول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: هذا سبيل الله مستقيماً، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: وهذه السبل ليس منها سبيل إلّا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[1][2]، ويسلك سبل الضلال على تعددها وتنوعها، الضالون الفاسقون الكافرون بآيات الله سبحانه وتعالى وبيّناته، الخاسرون لأنفسهم وأهاليهم، الهاوون إلى حضيض الدرك الأسفل للشيطنة

١- الأنعام: ١٥٣

٢- مستدرك الوسائل، جزء ٢، صفحة ٣١٨

والحيوانية.

وسبيل الهداية الذي يقوم على العلم والعمل سبيل خالص نيرمؤنس نظيف ظاهراً وباطناً من الشرك والظلم والجور والضلال والفساد، أمّا سُبُل الضلال فهي مشوبة بشوائب الذنوب والمعاصي والآثام والخطايا والجرائم والجنايات، ومظلمة وموحشة ومليئة بجميع الشرور والآفات الفكرية والروحية والنفسية والسلوكية الفردية والمجتمعية، المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، وعليه: فسبيل الهداية يحفظ سالكيه وينجيهم، وسُبُل الضلال تُضَيِّع سالكيها وتهلكهم وتشقيهم فليس نعمة أعظم من نعمة الإيمان والهداية، وليس نقمة أشد على الإنسان والإنسانية من الكفر والضلال.

النقطة الخامسة: الرجوع إلى الله

أن لا سبيل أمام الإنسان عموماً والحائر خصوصاً للهداية والاستقامة والنجاة من الهلكة والشقاء إلا بالإيمان الصادق والتقوى والإخلاص في النية، والتجرّد والموضوعية والنزاهة في البحث عن الحقيقة والعمل بها، والتبصّر في حقائق الأمور والعواقب وفي البينات والحجج والبراهين والأوامر والنواهي الإلهية والورع عن المحارم وعن انتهاك الحقوق والحرمات والمقدسات، والرجوع إلى الله رب العالمين في كل الأمور والشؤون والظروف والأحوال والانقطاع إليه عن كل شيء غيره، والثقة به وبوعده ووعيده والتوكل عليه والتسليم إليه. والاعتماد على الحقائق والسنن والمنطق السليم في الحياة، وأن يحب لغيره

من الناس ما يحبه لنفسه، وأن يتحلّى بالفضائل والصفات الجميلة والخصال الحسنة الحميدة، ويسلك طريق الصلاح والمصلحين، ويتجنب طريق الفساد والمفسدين؛ ليقبله الله سبحانه وتعالى ويقبل عمله ويؤيده ويسدده ويوفقه ويحسن عاقبته ويدخله مع الصالحين، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

المقوّم الثاني: الاعتدال والوسطية

قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]

1- التوبة: ١١٩

2- البقرة: ١٤٣

معنى العدل والاعتدال والعدالة

العـدل: التسـوية بين الشـيئين، والقسـط على السواء، والمساواة والإنصاف في المكافأة إن خيراً فخير وإن شـراً فشـر، ويقابله: الظلـم، وهو التعدي علـى حقـوق الآخريـن وتجـاوز الحد، والإحسـان وهو أن يقابل الخير بأكثر منه، والشر بأقل منه.

ويطلـق العـدل علـى الاسـتقامة والميـل إلـى الحق، والأمر المتوسـط بين الداني والعالي، وبين الإفـراط والتفريـط، والقصـد فـي الأمـور والإنسـان الصالح.

وفـلان عـدل: مسـتقيم وصالح، يجعل الشـهوة والغضـب تحـت سـلطة العقـل والديـن، ويراعي حـدود الشـرع كلهـا فـي جميـع شـؤونه الخاصـة والعامة ومقبول الشهادة.

والعدل أيضاً: المثل والنظير، والقيمة والفدية.

والعدل: من أسماء الله الحسنى، ومعناه: ذو العدل، وهو مصدر أقيم مقام الأصل، وقد وُصِفَ الله سبحانه وتعالى به للمبالغة ولكثرة عدله؛ ولأنه لا يجور في الحكم، ويضع كل شيء في موضعه الذي ينبغي أن يوضع فيه، كما يشهد بذلك خلق السماوات والأرض وخلق جميع الكائنات.

والعدل في علم الكلام: العلوم المتعلقة بتنزيه الذات الإلهية المقدسة عن فعل القبيح والإخلال بالواجب، حيث انقسم المتكلمون إلى قسمين:

أ. **العدلية:** قالوا بأن بعض الأفعال حسنة بالذات، مثل: الصدق والوفاء بالعهد والعدل في الحكم، وبعضها قبيح بالذات،

مثل: الكذب والخيانة والظلم، والواجب على الله سبحانه وتعالى بما هو كامل وحكيم مطلق أن يفعل الأفعال الحسنة بالذات، ويترك الأفعال القبيحة بالذات، لا بإلزام ملزم ولا بحساب محاسب، وإنما يكون حسن الشيء داعياً لفعله، وقبحه داعياً لتركه.

ب. **غير العدلية:** قالوا لا حسن إلا ما حسّنه الشرع ولا قبيح إلّا ما قبّحه الشرع، وأنّ الله ﷻ يفعل ما يشاء؛ لأنّه لا حسن ولا قبيح في حقه، وأنه لا يُسأل عما يفعل.

والعدل والمعادلة: لفظ يقتضي معنى المساواة.

وقيل عن الفرق بين العَدل (بفتح العين) والعِدل (بكسر العين):

أ. العَدل (بفتح العين) يستعمل فيما يدرك بالبصيرة، مثل: العدل في القانون والأحكام ونحوها.

ب. العِدل (بكسر العين) يستعمل فيما يدرك بالحواس، مثل: العدل في الوزن والكيل والعدد ونحو ذلك.

وينقسم العدل إلى قسمين:

أ. **عدل مطلق:** وهو العدل الذي يقتضي العقل حسنه، وهو ثابت لا يتغيّر بتغيّر الزمان والمكان ولا يوصف بالاعتداء بوجه، مثل: الإحسان إلى من أحسن إليك.

ب. **عدل نسبي:** وهو العدل الذي يعرف كونه عدلاً بغيره، مثل: الشرع والقانون، ويمكن أن يتغير بتغير الزمان والمكان، مثل: حركة

الصيد في يوم السبت والقصاص والتعزير والعقوبات الجنائية ونحوها.

والعدول: الميل، فيقال: عدل عن الطريق، أي: مال عنه وانصرف عنه.

والعدلية: العدول عن الحق إلى الباطل، أو الشك في الحق.

وبربهم يعدلون: يجعلون له عديلاً أو نظيراً يعادله، وقيل: يعدلون بأفعاله عنه، بأن ينسبونها إلى غيره، أو يعدلون بعبادتهم عنه، أي: يميلون بها عنه.

وعادَلَ بين الأمرين: نظر أيهما أرجح.

وعادل الأمر: ارتبك فيه، فلا يميل برأيه إلى أحد طرفي الترجيح: النفي أو الاثبات.

والعـادل: الـذي يضـع كل شـيء فـي موضعـه، والـذي لا يتعدّى على حقوق الآخرين، والإنسـان الصالح المستقيم الملازم للتقوى.

والفريضة العادلة: القسمة على السهام المذكورة فـي الكتاب والسـنة من غيـر جـور، والفريضة غير المنسـوخة، وما اتفق عليه المسـلمون، والفريضة الواجبة، وتقابلها: النافلة.

والعديـل: المثيل والنظير والمسـاوي في الوزن والعـدد وسـنوات العمـر ونحو ذلـك، ويطلق على زوج أخت الزوجة.

والاعتـدال: الاسـتقامة والتوسـط بيـن حاليـن، كم أو كيف أو تناسـب، مثل: الاعتدال في الدين والتفكيـر، والاعتـدال فـي الحـرارة، والاعتدال في الطول ونحو ذلك، ويطلق على يومين في السـنة،

أول يـوم فـي الربيـع، وأول يـوم فـي الخريـف، إذ يعتدل بهما الليل والنهار.

والعدالـة: الاسـتقامة والاعتـدال والتوسـط بين العالي والداني وبين الإفراط والتفريط.

والعدالة شـرعاً: الصلاح والاستقامة على طريق الحـق والديـن وملازمة التقـوى، والبعد عن كل ما هـو محظور شـرعاً باجتناب الكـذب، والبعد عن الأفعال الخسيسة والدنيئة ونحو ذلك.

والعدالة في الفلسفة: المبدأ المثالي أو الطبيعي أو الوضعـي الـذي يحـدّد معنـى الحـق، ويجـب احترامه وتطبيقه، وله صور مختلفة عديدة، منها:

أ. إذا كانت العدالة متعلقة بالشـيء المطابق للحـق، دلّـت علـى الصـواب والاسـتقامة والمساواة.

ب. إذا كانت العدالة متعلقة بالفاعل، دلّت على إحدى الفضائل الرئيسية الأربع في قوى النفس: الحكمة في القوة الناطقة، والشجاعة في القوة الغضبية، والعفة في القوة الشهوية، والعدالة (المتوسط) في جميع القوى، وهي من أهم كمالات النفس البشرية.

وتنقسم فضيلة العدالة إلى قسمين:

أ. **العدالة الفردية:** وهي ملكة (هيئة) راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال المطابقة للحق بتلقائية، وجوهرها الاعتدال والتوسط والاستقامة والتوازن والامتناع عن القبيح، والبعد عن الإخلال بالواجبات ونحو ذلك.

ب. **العدالة الاجتماعية:** وهي قاعدة عملية موضوعية لضبط علاقات الناس فيما بينهم، أي: ببعضهم البعض، وتعني: احترام حقوق الآخرين الطبيعية والوضعية والمكتسبة، مثل: حق الحياة، وحرية التعبير، وكفاية الأجور، وضمان الخدمات الأساسية كالتعلّم والصحة ونحوهما، وإعطاء كل ذي حق حقه والتقيد بالصالح العام وهي قاعدة شاملة لجميع الواجبات.

كما تنقسم العدالة الاجتماعية إلى قسمين:

أ. **عدالة المعارضة:** وهي تنظم علاقات الأفراد ببعضهم البعض، وتتعلّق بتبادل المنافع والمصالح على أساس المساواة والانصاف، مثل: البيع والشراء.

ب. عدالة التوزيع (القسمة): وتنظم علاقات الدولة بالأفراد، وتتعلّق بتوزيع الثروة والوظائف ونحوها بحسب الاستحقاق بحيث تكون نسبة كل واحد كنسبة غيره ممّن هم في مرتبته، ووضع الشخص المناسب في المكان (الموضع) المناسب الذي ينبغي أن يوضع فيه، بدل المحسوبية والقبلية ونحوها.

العلاقة بين العدالة والمحبة: العدالة توجب التقيد بالحق، والمحبة توجب الإحسان، والإنسان لا يحتاج إلى العدالة إلا إذا فاته شرف المحبة والإحسان، ولوكان الناس متحابين؛ لتناصفوا ولم يقع بينهم خلاف، وعليه فواجبات العدالة أضيق من واجبات المحبة، والمحبة

أساس الأفعال العادلة.

معنى الوسط والوسطية

الوسط: القسم الذي يقع بين طرفين متساويا القدر، ويقال: فيما له طرفان مذمومان، مثل: الحكمة وسط بين الجربزة والبله، والشجاعة وسط بين التهور والجبن، والكرم وسط بين التبذير والبخل، ونحو ذلك، فالوسط هو أبعد نقطة عن الطرفين المذمومين.

وقد يقال فيما له طرف محمود وآخر مذموم، مثل: الوسط بين الشريف والخسيس، وبين العالي والداني، وبين الجيد والرديء، ونحو ذلك.

ويطلق على المعتدل والخيار من كل شيء والصلاح والعدل والاستواء والاستقامة، وفلان

من وسط قومه: من خيارهم، أو وسط بين العالي والداني، أو بين الغني والفقير ونحو ذلك.

وقيل: إن أضيف الوسط إلى ما هو متصل كالأجسام، أو ما هو منفصل كالأعداد يكون معياراً لتعيين الطرفين، وإنْ أضيف إلى المعنويات يكون معياراً لتمييز مرتبتي الإفراط والتفريط.

والوسط: ظرف بمعنى: بين، مثل: وسط الدار، ووسط القوم.

والوسط: المجال والبئية مثل: الوسط الفني والوسط الإعلامي والوسط السياسي، ونحو ذلك.

الوسط عند علماء المنطق: الحدّ الأوسط الذي يربط الحدّ الأكبر بالحد الأصغر في القياس، مثل: الإنسان في القياس التالي:

كل إنسان فان – محمد إنسان = محمد فان

والأوسط: الأعدل والأفضل من كل شيء.

وفلان أوسط قومه: أفضلهم وأعدلهم.

والوسطية: الاعتدال والاستقامة والصلاح.

والوسيط: المتوسط بين الشيئين لتقريب أحدهما من الآخر، والمتوسط بين الخصمين أو المتعاقدين أو المتابعين ونحو ذلك، والمعتدل بين شيئين، والذي يقوم بالوساطة أو يصلح لتحقيقها.

والوساطة: عمل الوسيط، والشيء الذي يتم به الانتقال من طرف إلى آخر، مثل: توسط الحواس بين العقل والعالم الخارجي، وتوسّط الشفيع بين الشافع والمشفوع له، والتوسّط بين الشيء الذي تبدأ منه والشيء الذي تنتهي إليه، فيكون علّة للثاني أو شرطاً من شروط حدوثه.

معنى الشهادة والشهيد

الشهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة بالبصر أو البصيرة، وقد يقال لمجرد الحضور، مثل: شهد الشهر. وقيل: الشهود أولى للحضور المجرّد، والشهادة أولى للحضور مع المشاهدة.

والمشهد: المحضر من الناس أو من غيرهم.

ومشاهد الحجج: مواطنه الشريفة التي تحضرها الملائكة والأبرار من الناس، وقيل: مواضع أداء المناسك.

والشهادة: القتل في سبيل الله ﷻ وإخبار المرء بما رأى أو إقراره بما علم عن يقين حصل له بمشاهدة بصرية، مثل: الشهادة على حادث عاينه أو بمشاهدة بصيرة، مثل: الشهادة على التوحيد والنبوة.

ويطلق على ما يستشهد به في إثبات الأمر، وعلى مجموع ما تدركه الحواس الخمس، فيقال: شهادة الحواس. ويقال للحكم، مثل: شهد شاهد من أهلها. وللإقرار، مثل: شاهدين على أنفسهم بالكفر. والشهادة البيّنة: أقوال الشهود أمام الجهة القضائية. وشهد الله أنّه لا إله إلا هو: إيجاد ما يدلُّ على وحدانيته، وقيل: بَيَنَ وأعَلَمَ.

ونقد الشهادات: قواعد تمحيص الأخبار لمعرفة ما يتطرق إليها من الكذب والتوهم والتلبيس والتصنع.

وعالم الشهادة: عالم المادة والطبيعة، ويقابله: عالم الغيب.

والشاهد والشهيد: الحاضر، والذي يؤدي الشهادة، والدليل الذي يستشهد به في إثبات

الأمر، والجزئي الذي تثبت به القاعدة العامة.

وشواهد الحق: حقائق الأكوان.

وشواهد الأشياء: اختلاف الأكوان باختلاف الأحوال والأوصاف والأفعال.

والشهيد: الذي يشاهد الشيء، والذي يُقتل في سبيل الله ﷻ مع إمام عادل، سميّ بذلك؛ لأنّ ملائكة الرحمة تشهده، وقيل: لأنه يشهد ما أعدّه الله تبارك وتعالى له من الكرامة، وقيل: لأنّ الله ﷻ وملائكته شهود له في الجنة، وقيل: لأنه ممن يُستشهد (تطلب شهادته) في يوم القيامة من النبي على الأمم، وقيل: لأنه لم يمت فكأنه شاهد، أي: حاضر، وقيل: لقيامه بشهادة الحق في الله سبحانه وتعالى حق قيامها حتى قتل وغير ذلك.

ويقال للمحتضر لحضور الملائكة أياه أو لأنه يشهد في تلك الحالة ما أعدّه الله ﷻ له.

والشهيد: من أسماء الله الحسنى، ومعناه: العليم الحاضر الذي لا يغيب عنه شيء، وقيل: إذا اعتبر العلم مطلقاً فهو العليم، وإذا أُضيف العلم إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير، وإذا أضيف العلم إلى عالم الطبيعة والمادة والأمور الظاهرة فهو الشهيد، هو الذي يشهد على الخلق في يوم القيامة بما علم وشاهد منهم.

والشواهد: الحواس الخمس، سُمّيت بذلك؛ لأنها تشهد ما تدركه.

واليوم المشهود: يوم القيامة، وقيل: يوم الجمعة أو يوم عرفة، سميّ بذلك؛ لأنّ الناس يشهدونه، أي: يحضرونه أو لأنه شاهد لكل من شهده.

والتشـهد: النطق بالشهادة: أشـهد ألّا إله إلّا الله وأشـهد أنّ محمـداً رسـول الله ﷺ، واسـماً للذكـر المعروف الذي يُقرأ في الصلاة.

الأفكار الرئيسية والمضامين العامة للآية

تتضمـن الآيـة المباركـة العديـد مـن النقـاط الرئيسية، منها:

١. أنّ الله تبـارك وتعالـى قـد امتـنّ وأنعـم علـى الأمة الإسـلامية المباركة بالهداية، وجعلها أمّة وسـطاً خيـاراً كامليـن معتدلين في كل أمـور الديـن الحنيـف والدنيا، فـي العقيدة والأخـلاق والشـريعة والتدبيـر ونحـو ذلـك، بعيـداً عـن التطرف بجميع صوره وأشـكاله وأنواعـه، بعيـداً عـن التشـدد والتهـاون، وبعيداً عن الإفـراط (الزيادة على المطلوب

في الأمر) والتفريط (النقص في المطلوب في الأمر) في أمور الدين والدنيا والآخرة؛ لأن التشدد والتهاون، والإفراط والتفريط ونحوهما، ميل عن الحق والجادة والصراط المستقيم إلى الباطل والانحراف، فهو قبيح وشر ومذموم، فلا مادية صرفة، ولا روحانية صرفة، و إنما جمع الله ﷻ لهم بين الحقين والكمالين والسعادتين المادية والروحية؛ لأن الإنسان هو مجموع الروح والجسد، وليس روح محض أو جسد محض. فيلبوا مطالب الروح ومطالب الجسد، ويصونوا جميع الحقوق الإنسانية فقد أباح الله تبارك وتعالى لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والمساكن والملابس والمفالح

ونحوها، وحرّم عليهم الخبائث والإسراف في الشهوات والملذات الحسية ونحو ذلك، ودعاهم إلى الحق والخير والعدل والإحسان والمحبة والرأفة والرفق واللين ونحو ذلك، فلهم من الدين أكمله وأتمه، ومن الأخلاق أفضلها، ومن الشريعة أوسعها وأكثرها سماحة واعتدالاً، ومن الأعمال أصلحها، ومن الأفعال أطيبها وأكثرها خيرية ونفعاً للناس، فهم الأمة الوسط والعدل والخيار والصلاح والاستقامة، التي يقاس بها كل طرف وكل حال لكل أمة سواها: على طول التاريخ وعرض الجغرافيا.

وتدلّ الآية الكريمة المباركة: إنّ الأمة المسلمة إذا عملت بالدين الإسلامي

الحنيف وطبّقت منهجه فإنها سوف تكون حجة على كافة الأمم، وتثبت بأن الإنسان في مقدوره أن يعيش الحياة الاجتماعية وأن يقيم حضارة إنسانية راقية ومزدهرة تقوم على معايير فكرية وروحية، وعلى التوازن والوسطية والاعتدال، فلا تناقض بين العلم والتكنولوجيا وبين الإيمان والتقوى، ولا بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، فيمكن إيجاد التوازن بين متطلباتهما، وسلوك الطريق الوسط الذي يقوم على التوازن بدون إفراط ولا تفريط.

إلّا أنّ المؤسف جداً أنّ الأمة المسلمة خانت الأمانة وتخلّفت عن الدين الإسلامي الحنيف، وأقامت أنظمة دكتاتورية تتحكم

فيها حكومات مستبدة فاسدة ظالمة، ولم تتحمّل المسؤولية الملقات على عاتقها، وأعطت صورة في غاية السوء عن الدين الإسلامي الحنيف وعن نفسها للآخرين، بما صارت إليه من الانحراف والفساد والتحلّل والانحطاط والضعف والوهن والتخلف والتبعية وانتشار التطرف والتشدد والإرهاب في ظل الانحراف عن الدين الإسلامي الحنيف، وبتشجيع من الأنظمة الدكتاتورية والحكومات المستبدة؛ لأغراض سياسية وطائفية مقيتة.

٢. إنّ أفعال الله سبحانه وتعالى كلّها منوطة بحكم وغايات حكيمة محكمة، وأنّ الغاية

من جعل الأمة الإسلامية أمة وسطاً خياراً كاملين معتدلين، هي:

أ. ليسبقوا الأمم الإنسانية كلها على طول التاريخ وعرض الجغرافيا باعتدالهم وتوسطهم واستقامتهم في الأمور كلها، أمور الدين والدنيا والآخرة، ليكونوا قدوة وأسوة حسنة للناس في العقيدة، ومناهج التفكيروالبحث، وفي الأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، والتمدن والحضارة والازدهار في مناحي الحياة المختلفة كلها الفكرية، والعملية، والمادية، والروحية؛ لأنّ ما هداهم الله ﷻ إليه هو الحقيقة الثابتة والطريق الصحيح إلى الكمال الإنساني

المعرفـي، والتربـوي، والحضـاري، ومنهج الاعتدال القويم، الذي تتحصل به السـعادة الحقيقيـة الكاملة لكل من عمل به في الدارين الدنيا والآخرة.

ب. ليكونوا شـهوداً على كافـة الناس والأمم أتباع سـائر الأديان السـماوية المنسـوخة المنحرفـة، والوضعيـة، والفلسـفات، والسياسات الأرضية الباطلة والمنحرفة، وأتباعهـا مـن الملحديـن والعلمانييـن والبرجماتييـن والعبثييـن والمفرطيـن في الماديـة أو الروحانيـة ونحوهم، بأنهم خرجـوا عـن جـادة الاعتـدال والوسـطية والاسـتقامة والحـق والخيـر والفضيلـة فيما يكونـون عليه من الإفـراط والتفريط

وأعمالهم الضالة المنحرفة المخالفة للحق والعدل والخير والفضيلة والحقوق الإنسانية. وذلك لما يتمتع به المسلمون من العلم والمعرفة، ولما هم عليه من الاعتدال والوسطية والاستقامة، ولحكمهم بالعدل والقسط وتنزّههم عن الظلم والكذب، ولايكون غيرهم حاكماً وشاهداً عليهم؛ لأنه يفتقر لما يتمتعون هم به.

وطبعاً هذا الكلام ينطبق على الأمة المسلمة حينما تطبّق وتعمل بالإسلام الحنيف، ولا ينطبق على الأجلاف من الحكام المستبدين الظلمة، والمتطرفين الإرهابيين، ولا على العصاة الفسقة من أبناء المسلمين.

ولأنّ الأفراد في كل المجتمعات ينقسمون بحسب معاييرها إلى ثلاثة أقسام، وهي:

- **الفرد العالي الشريف:** الذي يتمتع بالاستقامة التامة والصلاح الكامل، ويتحلّى بالفضائل العالية، وبالمبدئية الكاملة، ويمثّل عصارة الحياة الاجتماعية وخلاصتها وبغيتها النهائية، وهم بطبيعة الحال قليلون في كل المجتمعات.

- **الفرد الداني الخسيس:** المنحرف الذي يتصف بالرذائل والخصال القبيحة، الذي لا داعي باطني له يدعوه إلى رعاية الحقوق والواجبات والأصول الاجتماعية العامة، ولا رادع داخلي له يردعه عن اقتحام الذنوب والمعاصي والآثام والخطايا والجرائم

والجنايات التي يأتي بها ويواقعها من غير اكتراث ولا مبالات، فلا يقوم بما يجب عليه من المسؤوليات والواجبات الاجتماعية، ولا يتحقق فيه الحد الأدنى من آمال وأماني المجتمع في أفراده والمنتسبين إليه، وهم بطبيعة الحال كذلك قليلون في كل المجتمعات.

- **الفرد المتوسط بين العالي والداني، وبين الشريف والخسيس:** وهم الغالبية في جميع المجتمعات، الذين يعتمد عليهم فيها، وتقوم بهم بنيتها، ويمثلون وجهها المشرق ونور معارفها وتربيتها وحضارتها، وتتحقق فيهم وبهم مقاصدها ومآربها، وتظهر فيهم وتتجلّى آثارها الحسنة

ومحامدها، وهؤلاء هم الذين يُشهد لهم بالعدالة وتقبل شهادتهم في القضاء في المجتمعات الإسلامية وفق الشريعة الإسلامية السمحة، وفيهم تتمثل الوسطية والاعتدال والاستقامة بالمقياس العام في الأمة والمجتمع، وبهم تتمثل القدوة الحسنة وتتجلى وتظهر في الأمّة الإسلامية لسائر الأقوام والأمم والشعوب، والشهادة عليها بالتطرف والميل نحو طرفي الإفراط والتفريط في العقيدة والفكر والأخلاق والسلوك والأفعال والمواقف والعلاقات.

وقيل: أمّة وسطاً بين الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وبين الناس في التبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة، ويشهدون

عليهم برسالة النبي محمد ﷺ الكاملة الخاتمة، كما وصلت إليهم وأخذوها بصورة علمية دقيقة محكمة من الكتاب والسنة، وأقاموا الحجة عليهم بالبلاغ، أي: أنه قد بلغتهم الرسالة كما هي عليه بأمانة تامة وموضوعية كاملة ونزاهة غير متناهية، كما يشهدون بما يحصل لهم من العلم اليقيني القاطع والرؤية بالبصيرة النافذة للأنبياء السابقين الكرام عليهم السلام على أممهم الجاحدين المنكرين لتبليغهم إياهم، بأنهم قد بلغوهم بما أمرهم الله سبحانه وتعالى بتبليغه إليهم.

وهذا يفرض على الأمة الإسلامية أن تحافظ على الرسالة الإسلامية المحمدية كما هي

عليه، وتأخذها من مصادرها كما أمرت به، وتصونها من التحريف والتغيير والتبديل، وأن تعمل بها وتطبقها في جميع الأحوال والشؤون، ثم تتحمل مسؤولية وأمانة التبليغ بها بالحكمة والموعظة الحسنة إلى سائر الأمم والشعوب والأقوام.

ولن تنجح الأمة المسلمة في حمل هذه المسؤولية والأمانة وتأدية هذا الواجب الإلهي والإنساني إلا إذا تحلّت بالوسطية والاعتدال والاستقامة والتقوى، وتمثلت فيها القدوة الحسنة واقعاً بحق وحقيقة في العلم والمعرفة، والتربية والحضارة، بحيث تكسب ثقة الأمم واحترامها وتقديرها؛ لأنّ العالي لا يأخذ من الداني، والقوي لا يأخذ

من الضعيف، والنيّر لا يأخذ من المظلم، وبذلك يتجسد لنا حجم تفريط الأمة المسلمة في الأمانة الإلهية، والمسؤولية التاريخية الإنسانية بإهمالها الرسالة الإسلامية، ولما صارت إليه من الضعف والتخلّف والفساد والانحلال والانحطاط، فبدلاً من خدمة الرسالة الإسلامية ونشرها والتبليغ بها أساءت إليها وظلمتها غاية الإساءة والظلم، وسوف تسأل عن ذلك، ويُسأل طواغيتها وفراعنتها عن ذلك، ويؤاخذون عليه في يوم القيامة أشد المؤاخذة، ويعاقبون عليه أشد العقوبة في نار جهنم.

وقيل بحق: أنّ المراد بالأمّة الوسط هم الأئمة

المطهرون من أهل البيت العصمة عليهم السلام؛ لأنّ لهم كامل العلم والمعرفة بالدين الإلهي الحق، والاستقامة التامة على الصراط المستقيم ونهج الاعتدال القويم والطريقة الوسطى المثلى في الدين، دون غيرهم من سائر المسلمين السابقين بالخيرات والمتوسطين في الإيمان والعلم والعمل، والمقصرين، قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾(1)، ويمثل الأئمة المعصومون المطهرون عليهم السلام القدوة الحسنة لجميع الناس بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله

١- فاطر: ٣٢

والحجة البالغة عليهم في العمل بالدين وتطبيقه، وهم الواسطة بين الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وبين الناس في التبليغ بالرسالة والقيام على العمل بها وتطبيقها، وهم الشهداء لله سبحانه وتعالى على الناس، يقول العلّامة العارف السيد السبزواري: «أنّ المراد بالشهادة في الآية الشريفة ليست الشهادة الجسمانية - تحمّلاً وأداءً - بل الشهادة الحضورية المعنوية على أعمال الجوارح والجوانح، إحاطة حضورية من الله تعالى في مقام التحمّل في الدنيا، وفي مقام الأداء في الآخرة ويستلزم ذلك إحاطة الشاهد إحاطة معنوية من قبل الله تعالى، ولا يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة

كل أحد مع كل ماهم عليه، فمثل هذه الشهادة تختص بالأقل من أمة محمد صلى الله عليه وآله، فالشهادة مما تختلف باختلاف العوالم، وإن الشهادة على الأمور الظاهرية الدنيوية شيء، وهي بالنسبة إلى النشأة الآخرة شيء آخر»[1]

إذ لا بد في أداء الشهادة النوعية في الآخرة، من أن يكون تحمّلها في الدنيا بعرض أعمال العباد على الشاهد لله سبحانه وتعالى من قبله، بحيث يعلم الشاهد بحقيقتها كما هي عليه من صحتها وفسادها، جيدها ورديئها، في الظاهر (الصورة) والباطن (الإخلاص) ونحو ذلك؛ ليكون أداءه لها عن علم ويقين ناجم عن مشاهدة لحقيقة العمل

١- مواهب الرحمن، العلّامة السبزواري، جزء ٢، صفحة ١١٦

وليس لمجرد صورته وظاهره، وإلا لا يتحقق التحمل في الدنيا حقيقة، فلا يترتب الأداء عليه في النشأة الآخرة، وفي الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه وسمائه»[1]، وفي الحديث أيضاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «فرسول الله صلى الله عليه وآله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه»[2].

ولأنّ قبول شهادة الفرد في الدنيا تحتاج إلى قيود وشروط في الشريعة الإسلامية السمحة العادلة، فلا يصح أن يقبل الله سبحانه وتعالى الشهادة في النشأة الأخرى على النوع الإنساني

١- الكافي، جزء ١، صفحة ٢٥١

٢- شواهد التنزيل، جزء ١، صفحة ١١٩

كله بجميع شعوبه وأممه وأجناسه، وعلى جميع أعمالهم الظاهرية والباطنية، السرية والعلنية، وهو أمر ليس في وسع الإنسان العادي القيام به؛ لأنه خارج حواسه الظاهرة وطاقته، وأن يقبلها من كل واحد من المسلمين من دون قيد أو شرط، وهي شهادة هدفها إبطال ما يعتذر به العبد لتتم عليه الحجة وليتميّز بها الأخيار من الأشرار، ويترتب عليها الخلود في نعيم الجنة أو الخلود في عذاب نار جهنم.

وفي الآية الكريمة تنويه إلى شرف هذه الشهادة وعظمتها، حتى أنّ الله ﷻ وهو العليم بكل شيء، والمحيط به علماً وقدرة، لا يقضي إلّا بعد حصول هذه الشهادة، وتعتبر التزكية أصل في الشهادة، ومن المفروض أن يكون الإحتجاج بهذه الشهادة

أشد موثقاً وأعظم حجة، وفي الأمة بطبيعة الحال من لا تجوز شهادته في الدنيا على حزمة بقل أو على صاع من تمر، فكيف يطلب الله سبحانه وتعالى منه الشهادة على الأمم، وعلى حقائق أعمالهم الظاهرية والباطنية في يوم القيامة ويقبلها منه؟!

أضف إلى ذلك: انتشار التطرف والتشدد والإرهاب الفكري والأمني والسياسي بين قطاع ليس بالقليل من المسلمين، وتفشي الأنظمة الدكتاتورية والحكومات المستبدة والحكام الظلمة في العالم الإسلامي، وظهور التحلل الأخلاقي، والفساد والإنحطاط الحضاري، والضعف والتخلف والتبعية للغير ونحو ذلك من الحالات المخالفة لمقاصد الشريعة وأهدافها

وغاياتها، وللصورة النورانية الحقيقية التي ينبغي أن يكون عليها المسلمون بما هم مسلمون حقيقة وواقعاً.

وهذا يدلُّ قطعاً على أنّ المراد بالأمّة الوسط التي جعلها شهيدة على الناس، ليست الأمّة المسلمة ككل، وإنما هم قسم خاص فيها، تولى الله تبارك وتعالى أمرهم، وكشف لهم بنفسه عن حقائق أعمال العباد، وأوقفهم عليها، وأحاطهم بها علماً، ومكَّنهم من تشخيصها على حقيقتها وكما هي عليه في الواقع في الظاهر والباطن؛ ليحتج بشهادتهم على خلقه غداً في يوم القيامة في جملة الشهود من الملائكة وأعضاء الجسم وغير ذلك، يقول العلّامة الطباطبائي: «وهذه الكرامة بالشهادة تخصّ الأولياء الطاهرين دون

العدول من أهل الإيمان، فضلاً عن من دونهم الأجلاف وفراعنة الأمة»[1]، والآية الكريمة دليل على عصمتهم، ومن قال بأنّ المراد كل الأمة المسلمة، ذهب إلى القول بحجية إجماع الأمة؛ لأنها معصومة، ويستحيل أن تجتمع على الخطأ، كما استدل الفقهاء بالآية الكريمة على اشتراط العدالة في الشهادة والحكم والفتوى.

الجدير بالذكر: أنّ من ذهب إلى القول بأنّ المراد بالأمة الوسط في الآية الكريمة موضوع البحث هم الأئمة المطهرون من أهل البيت عليهم السلام لا ينفي حقيقة كون أنّ الأمّة الإسلامية المحمدية هي خير أمّة أخرجت للناس، وأنها أشرف الأمم وأعظمها درجة، قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

١- مختصر الميزان، صفحة ٣٣

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] وهذه الخيرية ترتبط بالرسالة الإسلامية والشريعة بجميع خصائصها، وفيها تشريف للرسول الأعظم الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الذي صنعها بجهاده، ويمثل القدوة الحسنة فيها والسراج المنير لظلامها.

وهو الأمر الذي لا ينفي، بل يعزّز لذات السبب وجود صنف خاص متميز ورائع ولامع في داخل الأمة، هم أشرف الأمة وأعظمها وعلة عظمتها وشرفها، وهم العلة بعد الرسول الأعظم الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لما تتمتع به من الخصائص والشرف والعظمة، كما هو الحال في تشريف النوع الإنساني رغم وجود المفسدين وسفاكي الدماء بغير وجه حق،

١- آل عمران: ١١٠

قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، وعلة ذلك: وجود صنف خاص راقي ومتميز يتحلّى بالكمالات المطلوبة، ويتحقق بوجودهم غاية الخلق والمقصود بالذات ومباشرة في الإرادة الإلهية، في الحديث الشريف عن قتادة في تفسيرها، قال: «كان في علم الله أنه سيكون من الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنوا الجنة»[2]

وبخصوص الجعل، يمكن تقسيم الجعل في القرآن الكريم وبحسب دور الإنسان واختياره فيه إلى ثلاثة أقسام، وهي:

١- البقرة: ٣٠

٢- زبدة التفسير، محمد سليمان الأشقر، صفحة ٦

أ. **الجعل التكويني:** وهو الجعل الذي لا اختيار ولا دور للعباد فيه، مثل: قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾[1]

ب. **الجعل الاجتماعي:** وهو جعل وسط، فيه الجانب التكويني، وفيه الاختيار من جانب العباد إجمالاً، مثل: قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[2]

ج. **الجعل التفضيلي الرتبي:** وهو الجعل الذي يكون تمام سببه كمال العبد في نفسه في ما بينه وبين الله سبحانه وتعالى، مثل: قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[3]، وقول الله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى

١- الإسراء: ١٢

٢- الحجرات: ١٣

٣- السجدة: ٢٤

إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[2]، هو بدون شك من الصنف الثالث (التفضيلي الرتبي) وهو من أجّل المقامات وأعلى الرتب وأرفع الدرجات؛ لأنه يتطلب الاعتدال في قوى النفس، والوسطية في العقيدة والمنهج والأخلاق، والاستقامة في السلوك والمواقف والعلاقات، وتحصيل سائر الكمالات للنوع الإنساني، وكلها مقتبسة من عند الرسول الأعظم الأكرم ﷺ والاقتداء به؛ لأنه النموذج الأكمل في جميع ذلك. وهذا

١- البقرة: ١٢٤

٢- البقرة: ١٤٣

يستلزم أن لا يكون المراد جميع الأمة، وإنما صنف خاص منها، الذين هم تحت ولاية الله ﷻ ونعمته وهدايته الخاصة.

وفي وجه آخر لتفسير الآية الكريمة، قال العلّامة العارف السيد السبزواري: «أنّ الشهادة ليست قولية فقط، بل يحتمل أن تكون تكوينية أيضاً، والمراد من الأخيرة هي: أنّ أمّة الإسلام بالمعنى المتقدم هي بنفسها تكويناً تكون بارزة بحقائقها ومعارفها وأحكامها، وتشهد على جميع الأمم والأديان، كما تشهد الجوهرة النفيسة بين جملة الأحجار، أن ليس للأخيرة شأن مقابلها، أو شهادة المؤمن الكامل الإيمان والمعرفة بنفسه على سائر الأفراد بأن ليس

لهم شأن، وأنه على الصراط المستقيم، وأنّ ما سواه على غير الصراط، فيكون ما ورد في الآية الشريفة من القضايا الفطرية»[1].

٣. أنّ الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله هو القدوة الحسنة للأئمة المطهرين عليهم السلام وللأمة أجمعين، قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، وهو يختص بالشهادة عليهم أجمعين غداً في يوم القيامة بين يدي الله العزيز الجبّار بما بلغهم وبيّن إليهم من المعارف الإلهية الحقة، والأخلاق الفاضلة، وأحكام الشريعة، وسائر العلوم والمعارف، وسبل

١- مواهب الرحمن، العلامة السبزواري، جزء٢، صفحة ١٢٢

٢- الأحزاب: ٢١

التطهير والتزكية وأقام الحجة عليهم فيه، وبما كان منهم من القبول والرد، والانقياد والتمرد، والاستقامة والانحراف، وبحقائق أعمالهم الصالحة والطالحة، الظاهرية والباطنية، السرية والعلنية، ونحو ذلك، قول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾[1]؛ لأنه المثال الانموذج الأكمل للوسطية والاعتدال والاستقامة والجامع لكل الكمالات للنوع الإنساني، وأن وسطية الأمة واعتدالها واستقامتها قبس من فيضه ونور إشعاعه؛ لاتباعها له وأخذها منه واقتدائها به، وليس لها شيء من ذلك بدونه، وإذا أهملت وقصرت وخالفت

١- النساء: ٤١

ولم تعمل، فليس ذلك بسبب التقصير والنقص في التبليغ والبيان والأسوة، وإنما بسبب أنفسهم؛ ولأنهم لم يراعوا الأمانة ولم يحفظوها، يقول العارف الفيض الكاشاني: «فالنبي يشهد لله على الأئمة عليهم السلام بأن الله أرسله إليهم وأنهم أطاعوه، والأئمة يشهدون لله على الأمم بأن الله أرسل النبي صلى الله عليه وآله إليهم، وللنبي صلى الله عليه وآله بأنه بلّغهم، وأنّ منهم من أطاعه ومنهم من عصاه. وكذلك يشهد نبينا صلى الله عليه وآله لسائر النبيين عليهم السلام على أممهم بأن النبيين بلّغوا رسالات ربهم إلى أممهم»[1]، ويقول العلاّمة الشيخ محمد جواد مغنية: «والويل كل الويل لمن يشهد عليه رسول الله، ويحكم عليه الله ... هذا إذا

١- تفسير الصافي، فيض الكاشاني، جزء ١، صفحة ٢٩٦

أهمل ولم يبشر، فكيف إذا أساء وكان هو السبب الباعث على التشكيك في الدين وأهله»[1] وتركيز الشيخ مغنية في كلامه في المقام الأول على العلماء.

وبدون شك ولا ريب ولا تردد: فإنّ الاستقامة والاعتدال والوسطية هي من أبرز مظاهر الرحمة الإلهية وتجلياتها في الرسالة الإسلامية المحمدية، وتلزم عنها أمور رئيسية عديدة، منها:

أ. اليسر في التشريع وعدم التكليف فوق الوسع والطاقة، قول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[2]، أي: لا يفرض الله جلّ جلاله على

١- الكاشف، محمد جواد مغنية، جزء ١، صفحة ٢٢٦

٢- البقرة: ٢٨٦

العباد من التكاليف إلا ما يستطيعون ويقدرون على القيام به ويوافق ميزان تحملهم؛ لأن التكليف مبني على الرحمة والإحسان، والتكليف فوق الوسع والطاقة ظلم وقبيح ولا يكون إلا عن جهل وحاجة، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك؛ فهو العادل المطلق العليم الخبير بخلقه، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم وشؤونهم وظروفهم، وهو الغني المطلق الحميد على فعاله، والخلق كلهم عياله، وهو سبحانه وتعالى لا ينتفع بطاعة العبد، ولا يتضرر من عصيانه، بل يعود نفع الطاعة وضرر المعصية على العبد نفسه في الدارين الدنيا والآخرة، إذ يُجازى بحقيقة عمله،

إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وعليه: كل من قصر وأهمل وضيّع وخالف، فليس ذلك بسبب صعوبة التكليف، وإنما بسبب جهله وحماقته واتباع نفسه الأمارة بالسوء.

ب. موافقة الرسالة في العقيدة والأخلاق والشريعة للطبيعة الإنسانية وأصل الخلقة والتكوين، قول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[١]، وقول الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[٢]، أي: ربُّنا الذي أوجد كل المخلوقات، فسوى خلق كل مخلوق وأتقنه، ورتّبه ونظّمه وقدّره فأحكم تقديره، وزوّده بكل ما يحتاجه في وجوده المادي

١- الأعلى: ٢-٣

٢- طه: ٥٠

والمعنوي، ويحفظ بقاءه وكيانه، ويسهل له طريق الوصول إلى غاية خلقه ووجوده، ثم هداه هداية تكوينية وهداية تشريعية موافقة لفطرته ولأصل خلقته وتكوينه وطبعه الناشئ عنه، من أجل الوصول إلى كماله المقدّر له واللائق به، وتحصيل سعادته الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة، في خير وعافية.

أن تكون الرسالة هي الطريق الحصري الوحيد إلى صلاح الإنسان وخيره ومصلحته في دورة الحياة الكاملة، العرضية في المكان والجغرافيا، والطولية في المكان والتاريخ، وإيصاله إلى كماله المقدّر له واللائق به، وتحصيل السعادة الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، قول

الله تعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾[1]، والآية تفيد بوضوح تام أنّ العمل بالرسالة الإلهية هو الطريق الوحيد الذي يحافظ على صلاح الإنسان ومصلحته في الدارين، وأنّ الإعراض عنها ومخالفتها يترتب عليه الفساد وضيق المعيشة والشقاء في الدارين الدنيا والآخرة.

المقوم الثالث: العالمية والشمول والخاتمية

النقطة الأولى: العالمية

يعتبر الدين الإسلامي الحنيف ديناً عالمياً خالداً للبشرية قاطبة بدون استثناء، فيجب على

١- طه: ١٢٣-١٢٤

كل أحد من الناس الرجوع إليه، منذ إعلان الدعوة بعد نـزول الوحي على الرسول الأعظم الأكرم ﷺ في غار حراء في شـمال مكة المكرمة بتاريخ: ٢٧ رجب ١٣ قبل الهجرة (٦٠٩ م) على امتداد التاريخ وامتـداد الجغرافيـا، وحتى انقضاء حياة الإنسـان علـى وجه الأرض، فيجب اتباع الدين الإسـلامي الحنيف، والعمل بجميع أحكامه وتشـريعاته في جميع الشؤون الخاصة والعامة على جميع الناس علـى امتداد المسـاحتين التاريخيـة والجغرافية؛ لأنه لا يختص بقوم دون قوم، ولا بلد دون بلد، ولا زمان دون زمان، بل يعم المجتمع الإنسـاني ككل على اختـلاف العنصر والوطن واللسـان والزمان، وهـذه من ضروريـات الدين الإسـلامي الحنيف، يؤمـن بهـا ويعتقدهـا كل المسـلمين الملتزميـن

الذين يعتقدون بأن الدين الإسلامي الحنيف، دين حق، ويعلم كل الباحثين المختصين بأنها حقيقة ثابتة ثبوتاً علمياً قطعياً في مصادره الأساسية: القرآن الكريم والسنة الشريفة القطعية، وعليه إجماع المسلمين، قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[3] وغيرها كثير.

وقد امتثل الرسول الأعظم الأكرم ﷺ لهذه الحقيقة، فبعث الرسائل والرسل لرؤساء البلدان

١- الأنبياء: ١٠٧

٢- الأعراف: ١٥٨

٣- سبأ: ٢٨

وملوك الدول القائمة آنذاك، مثل: قيصر الروم، وكسرى الفرس، وملك الحبشة، وحكّام مصر والشام، ورؤساء القبائل العربية المختلفة، ودعاهم جميعاً للإسلام الحنيف، وحذّرهم من مفاسد الكفر بنبوته وتكذيبه والعواقب السيئة الوخيمة المترتبة على ذلك في الدارين الدنيا والآخرة، ولم يكن ذلك عبثاً، ولا مبادرة شخصية منه، بل قام بهذا العمل النوعي بأمر من الله ﷻ رب العالمين، وهو يدلُّ قطعاً ويقيناً على عالمية الإسلام الحنيف وعموميته لكل الناس.

كما أنّ الخطاب القرآني موجّه كذلك لجميع الناس على امتداد التاريخ وعرض الجغرافيا، ولم يكن موجّهاً لقوم دون آخرين، أو لزمان دون آخر، وذلك بألفاظ متنوعة، مثل: يا أيها الناس،

قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]، ويا بني آدم، قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2]، ولفظ العالمين، مثل: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، وقول الله تعالى: «**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**»[4] ونحو ذلك.

وهذا يقتضي نسخ كل الأديان السماوية السابقة، مثل: المسيحية واليهودية، وبطلان كل التشريعات الوضعية المخالفة للدين الإسلامي

١- البقرة: ٢١

٢- الأعراف: ٣١

٣- الأنعام: ٩٠

٤- الفرقان: ١

الحنيف، ويجب على المؤمنين بالأديان السماوية السابقة كسائر الناس، أن يتخلّوا عنها، ويتّبعوا الدين الإلهي العالمي الذي أنزله الله تبارك وتعالى على عبده ورسوله محمد بن عبدالله ﷺ رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً لهم؛ لثبوت ذلك في حقهم أجمعين وبدون استثناء، قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2]

١- آل عمران: ١١٠

٢- المائدة: ١٩

وغير ذلك كثير.

وقد تكفّل الله عزّ وجلّ ببقاء الاعتبار للقرآن الكريم أبداً، فلا يمسّه ما مسّ الكتب السماوية السابقة من التحريف والتغيير والتبديل ونحو ذلك، قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]، وقد أجمع المسلمون قاطبة على سلامة القرآن من التحريف والتغيير والتبديل، فالكتاب الذي بين أيدينا اليوم هو عينه الذي أنزله الله العزيز الحكيم على عبده ورسوله محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله بدون أي تغيير أو

١- الحجر: ٩

٢- فصلت: ٤١-٤٢

تبديل أو زيادة أو نقصان، وهو الأمر الذي يحكم العقل السليم بضرورته، وثبت علمياً صحته.

كما تكفّل ربُّ العالمين بصمود الدين الإسلامي الحنيف أمام كل التحديات والصعوبات، وأن يوجد له حملة أئمة وأتباع في كل زمان، قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ

١- الأنعام: ٨٩

٢- محمد: ٣٨

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]، وأن يشقّ طريقه إلى الناس ويواصل انتشاره أبداً بين مختلف الأقوام والشعوب وفي مختلف البلدان، حتى يظهره الله ﷻ على كافة الأديان السماوية والوضعية وكافة الفلسفات والسياسات البشرية والوضعية، كحتمية تاريخية تنتهي إليها المسيرة التاريخية البشرية، قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ

١- المائدة: ٥٤

٢- التوبة: ٣٣

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[1]، وقد ثبت بالحس والتجربة إقبال الناس على الدين الإسلامي الحنيف واعتناقه وتطبيق أحكامه وتأدية عباداته بنفس الحماس والطريقة التي كان عليها أصحاب رسول الله ﷺ وأنه دخل وانتشر في جميع البلدان وفي جميع الثقافات الشرقية والغربية، المتقدمة والمتخلفة، والحمدلله رب العالمين.

وعالمية الدين الإسلامي الحنيف حقيقة إلهية ثابتة تفرضها وحدة الربّ، قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي

١- الفتح: ٢٨

٢- الأعراف: ١٥٨

خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1]،
وذلك للأسباب التالية:

أ. لأنّ هداية الرب الواحد الحكيم الرحيم لعباده المتفقين في العقل والمنطق والفطرة وأصل الخلقة والتكوين والطبيعة هداية واحدة لا تختلف.

ب. أن إيجاد الدين الإلهي العالمي الواحد لجميع الناس أمر ممكن عقلاً؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يتمتع بسلطة مطلقة على جميع خلقه، فهو يفعل مايشاء، وبقدرة مطلقة، فلا يعجزه أن يأتي بدين عالمي واحد لجميع الناس، وبعلم مطلق وحكمة مطلقة ورحمة واسعة، وغير ذلك

1- البقرة: ٢١

من الصفات والشؤون الإلهية التي تجعل وجود الدين الإلهي العالمي الواحد لجميع الناس أمراً ممكناً.

كما أنّ وحدة الإنسانية وطبيعتها الواحدة المشتركة، تقتضي وحدة الغاية، ووحدة التشريع والمنطق، ووحدة المصير، مما يتطلب وحدة الدين والمنهج والتشريع.

نتائج مهمة

تترتب على ما سبق النتائج المهمة التالية:

أ. كمال الدين الإسلامي، وأن تبنى المعارف الإسلامية والأخلاق والتشريعات كلها على مقتضى الفطرة وأصل الخلقة والتكوين والطبيعة الإنسانية الواحدة المشتركة بين

جميع البشر؛ لأنها الأساس الثابت للدين الحق.

ب. أن تكون المعارف والأخلاق والتشريعات موافقة للعقل والمنطق السليم، في الحديث النبوي الشريف: «**استرشدوا العقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا**»[1]، وقد ذهب الفقهاء والمتكلمون والحكماء المسلمون إلى القول بالتلازم بين حكم العقل وبين حكم الشرع المقدس، وسموه: قاعدة التلازم، وتعني: أن كل ما حكم به الشرع المقدس يحكم به العقل، وقال أهل العرفان: إن العقل شرع داخلي، والشرع عقل خارجي، ولا فرق بينهما في حاق الواقع، فلو تجسّم

١- بحار الأنوار، جزء ١، صفحة ٩٦

العقل لكان بصورة النبي، ولو تجرّد النبي لصار العقل بعينه، فلا فرق بينهما إلا في اختلاف النشأة والعالم، العقل ينتمي إلى عالم المجرّدات، والنبي ينتمي إلى عالم الطبيعة.

ج. أن يدعو الدين الإسلامي الحنيف إلى اتباع الحق وتمحيصه، وإلى العلم والمعرفة والصواب، والتحلي بالتقوى والفضيلة ومحاسن الأخلاق والخصال الحميدة، وإلى الاستقامة والصلح، وإقامة العدل والقسط بين الناس كافة بدون تمييز بينهم، وإلى المحبة والرأفة والرحمة واللين وحُسن المعاملة للآخرين، وإلى فعل الخيرات والأعمال الصالحة والنافعة

لتقـدّم الحيـاة وازدهارهـا وتطورهـا، وإلـى صيانـة الحريات وكافـة الحقـوق الطبيعية والمكتسـبة المشـروعة، وإلى كل ما يثبت بحق وحقيقـة أن الإسـلام الحنيف يتسـع بواقعيـة لجميـع حاجـات البشـرية ويرفـع مـن شـأنها ويصـون كرامتها، وأنـه يوافق في جميـع أصولـه ومبادئـه وعلومـه ومعارفـه وأخلاقه وتشـريعاته العقل والمنطق السليم والفطرة والطبع الإنساني السليم.

وفـي المقابـل ينهـى عـن اتبـاع الباطـل والخرافـات والأوهـام ومخالفـة العقـل والمنطـق والدليـل والبرهـان الصحيـح، وعـن الرذائل ومسـاوئ الأخـلاق والخصـال المذمومـة وكل أوجـه الفسـاد والتحلـل

والانحطاط، وعن الظلم والدكتاتورية والاستبداد والتمييز العنصري والطائفي بين الناس في الحقوق والواجبات، وعن الكراهية والتشدد والعنف والقسوة مع الناس وسوء معاملتهم، والنهي عن الشرور والأفعال الضارة بالحياة وتقدمها وإزدهارها، وعن انتهاك الحريات والحقوق والحرمات والمقدسات، وعن كل ما يخالف العقل والمنطق والفطرة والطبع السليم ونحو ذلك من المفاسد والمهالك، قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

ﭐلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1].

د. محاربة العصبيات الجاهلية والنعرات العنصرية العرقية والطائفية، والتركيز على وحدة الجنس البشري، والوحدة الدينية الروحية والمعنوية للأمة الإسلامية، التي تتجاوز حدود البلدان والأقوام، والدعوة إلى الإلفة والمحبة والإخاء، والتعاون والتضامن والتعارف والتبادل الحضاري والثقافي والمنافع بين البشر، قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن

١- الأعراف: ١٥٧

ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1]

وبدون شك: فإن عالمية الإسلام الحنيف هي من مظاهر رحمة الله تبارك وتعالى وتجلياتها، وسبباً لتعميمها وإيصالها إلى كافة الناس على امتداد التاريخ وامتداد الجغرافيا.

النقطة الثانية: الشمولية

لقد ثبت بالدليل العلمي القطعي استيعاب الدين الإسلامي الحنيف لمختلف جوانب الحياة الفكرية والروحية والأخلاقية والسلوكية الخاصة والعامة، الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأمنية والإدارية

١- الحجرات: ١٣

والحقوقيـة، الداخليـة والخارجيـة، فـي الحـرب والسـلم وغيرذلك، ولعلاقة الإنسـان بربه سبحانه وتعالى من جميع الجوانب، مثل: معرفته والإيمان بـه وتوحيـده وطاعتـه فيمـا يأمـربـه وينهـى عنـه، والثقـة بـه وبوعـده ووعيده، والتسـليم لـه والتوكل عليـه ونحـوذلـك، وكل صغيـرة وكبيـرة يحتاجها الإنسـان في حياته الفرديـة والمجتمعية، المادية والمعنويـة، الدنيويـة والأخرويـة، مـع مـا يمتـاز به الدين الإسـلامي الحنيف من التناسق والتكامل والتوازن، بحيث يعطي كل شـيء حقه، فيحرص علـى إيجاد التـوازن بيـن مطالب الـروح ومطالب الجسـد، ومطالـب الفـرد ومطالـب المجتمـع، ومطالب الدنيا ومطالب الآخرة، ويعطي كل غريزة إنسانية حقها، مثل: إعطاء حق القصاص لإطفاء

نار الغضب والانتقام وتحقيق العدل، ويدعو إلى التسامي بالعفو عن القاتل والظالم، وعدَّه من عزائم الأمور، قول الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[1]، وأحلَّ الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمساكن والمناكح لإرضاء قوة الشهوة، ويدعو إلى التسامي بالعفة والزهد وترك الإسراف والتبذير والاستغراق في الملذات الحسية ونحو ذلك من التوجيهات والتوصيات الروحية والأخلاقية؛ لئلا تتجاوز غريزة أو قوة من قوى النفس حدودها فينعكس ضررها على نفس الفرد وعلى المجتمع

١- الشوى: ٤١-٤٣

الـذي يعيـش فيـه، والغاية ضمـان الوفـاء بجميع احتياجـات الأفراد والمجتمعـات مـن جميـع الجوانـب وفـي مختلـف الحقـول والمجـالات وعلى كافة الأصعدة، وضمان صلاحهما - الأفراد والمجتمعـات - الفكـري والروحـي والأخلاقـي والسلوكي، بخطى ثابتة في طريق الرقي والتسامي والتكامل المعرفي والتربوي والحضاري، وضمان اسـتقامتها والأمـن والإسـتقرار الروحـي والنفسـي والاجتماعـي والسياسـي والاقتصـادي والبيئـي ونحو ذلك، وضمان اطراد حركة المجتمع وسـيرة تقدمـه وتطـوره وتكاملـه ورقيـه ورخائـه وازدهـاره، و إزالة كافة العوائق والعقبات والأغلال عن طريق تمدّنـه وتقدّمه ورخائه وازدهـاره، وتحقيق البهجة والغبطـة والسـرور والسـعادة لجميـع النـاس فـي

الدارين الدنيا والآخرة.

مقومات الشمولية:

وترتبط شمولية الإسلام الحنيف بثلاثة عناصر مقوّمة رئيسية وجوهرية لا تنفك عنها، وهي:

1. **الكتاب (القرآن الكريم):** الذي يتضمن الأصول الكلية لكافة ما يحتاجه الناس من أمر الهداية في حياتهم، من المعارف الإلهية الحقة والأخلاق الفاضلة والتشريعات التي تبيّن الحقوق وتعمل على تقويم المجتمع وتنظيمه، والمواعظ والسيرة ونحوها، على نحو الإجمال والعموم، بمنطوقه ومفهومه وإشاراته وتنبيهاته والإحالة على ما يوجب العلم التعبدي التنزيلي، مثل: السنة والإجتهاد، قول الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ

﴿الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

٢. **السنّة الشريفة (النبوية ولأهل البيت):** وفيها بيان تفاصيل ما اشتمل على إجمال القرآن الكريم، مثل: القرآن الكريم يأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[2]، ويأمر بالصيام، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[3]، ويأمر بالحج، قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

١- النحل: ٨٩

٢- البقرة: ٤٣

٣- البقرة: ١٨٣

سَبِيلاً﴾[1]، ويأمر بالقتال، قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[2]، ويأمر بالقصاص، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى

١- آل عمران: ٩٧

٢- النساء: ٧٧

بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1]، ونحو ذلك، ثم تأتي السنة الشريفة المباركة (النبوية ولأهل البيت) لتبيين التفاصيل الدقيقة لجميع تلك الأعمال والعبادت المأمور بها وتبيين أحكامها، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

١- البقرة: ١٧٨

٢- النساء: ٥٩

٣- النحل: ٤٤

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]، وفي الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «إنّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلّا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله صلى الله عليه وآله وجعل لكل شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، وجعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً»[2].

٣. **الاجتهاد:** وهو بذل الجهد العلمي الصحيح، من الشخص المؤهل له في استنباط (استخراج) الأحكام الشرعية والقوانين الإلهية على أسس علمية دقيقة ثابتة ومحكمة، من أدلتها ومصادرها المعتبرة المقررة لها والثابتة لدى الفقهاء،

١- الحشر: ٧

٢- نور الثقلين، جزء ٣، صفحة ٧٤

وهي: الكتاب والسنة والإجماع والعقل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام والكتاب والسنة والإجماع والقياس والإستصحاب وغيرها في مدرسة الخلفاء.

ويعتبر الاجتهاد وسيلة علمية أصيلة وضرورية وفعّالة لاستيعاب كافة التفاصيل المتحركة بتطورات الزمان، والمتغيّرة بتغيّر الأفراد والمجتمعات والظروف والأحوال ليصبح الإسلام الحنيف فعلياً ديناً شاملاً لجميع شؤون الحياة الخاصة والعامّة، وفي جميع الأحوال ومختلف الظروف، وخالداً ومحافظاً على أصالته وطراوته وتجدّده في آن، يقول العلّامة الشيخ محمد جواد مغنية: «وقد أذن الله ورسوله لمن

له الأهلية والكفاءة أن يفرّع على أصول القرآن، ويستخرج منها الأحكام التي فيها خير وصلاح للناس بجهة من الجهات، ومعنى هذا أنّ حكم المجتهد العادل هو حكم القرآن والرسول، ولذا جاء في بعض الروايات: «أنّ الراد على حكمه كالراد على الله»[1]. وفي الحديث الشريف عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إنما علينا إلقاء الأصول، وعليكم التفرع»[2]، والحديث يؤسس لشيء أوسع من الاجتهاد بالمفهوم الخاص الذي يمارسه الفقهاء المؤهلون، ليشمل الأصول العامة، مثل: لا ضرر ولا ضرار، ولا حرج، وأصالة اللزوم في العقود

١- الكشاف، محمد جواد مغنية، جزء ٦، صفحة ٢٢٥

٢- الوسائل، جزء ١٨، صفحة ٤١، الباب:٦، الحديث:٥٢

وأصالة الصحة، وقاعدة الفراغ والتجاوز، ونحوه التي تمثّل الخطوط العريضة للشريعة وروحها، ويستطيع عامّة المؤمنون من تطبيقها على مصاديقها وجزئياتها بعد أن ينتج الفقهاء مفادها.

وقد ثبت بالتجربة كفاءة الاجتهاد الإسلامي في القيام بوظيفته الرسالية على أحسن وأكمل وجه، واستيعابه لكافة التفاصيل المتغيرة والمتحركة، الفردية والمجتمعية، الفكرية والعملية ونحوها، فلم يتبيّن أو يظهر عجز الفقهاء أو عدم أصالة الاجتهاد في جميع المذاهب الإسلامية، كل مذهب بحسب أصوله وقواعده ومصادره في استنباط الحكم الشرعي في أية مسألة

جزئية أو كلية، خاصة أو عامة، تقليدية مألوفة أو مستحدثة وغير مألوفة، في أي شأن من شؤون الحياة العملية المتحركة والمتغيرة الفردية والمجتمعية، الخاصة والعامة، الفكرية والعملية، والسائرة نحو التكامل لبلوغ الكمال الممكن المعرفي والتربوي والحضاري المقدّر للإنسان واللائق به في أصل خلقته في الإرادة الإلهية.

وتعتبر الشمولية من المظاهر البارزة للرحمة الإلهية الواسعة وتجلّياتها في الرسالة الإسلامية المحمدية الخالدة، إذ تغني الإنسان عن الرجوع إلى غيره من التشريعات الوضعية، وهي دليل قطعي

على أنّ الشـريعة الإسـلامية شريعة سماوية منزلة من عند الله سبحانه وتعالى عن طريق الوحي على عبده ورسوله الكريم محمد بن عبدالله ﷺ ويستحيل عقلاً وبحكم التجربة التاريخيـة الطويلة كلها، وبما في أيدينا من التـراث الإنسـاني التاريخـي والمعاصر، أن يأتـي بشـر فـرد أو جماعـة بمثـل مـا جـاء به النبـي محمـد ﷺ شـمولاً واسـتيعاباً دقيقاً وبتميّـز نوعـي لتفاصيل المسـائل والقضايا والاحتياجـات الفرديـة والمجتمعيـة، المادية والروحية، الفكرية والعملية، القريبة والبعيـدة، الفعليـة والممكنـة، الدنيويـة والأخرويـة، لجميـع الأفـراد والمجتمعات، وفي جميـع الحقـول والمجالات والشؤون

المختلفة، الفكرية والعلمية والصناعية والتقنية والإدارية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، ولمختلف الظروف والأحوال الثابتة والمتغيرة، المألوفة وغير المألوفة، ولجميع الأزمنة والعصور، حتى ينتهي أمد الحياة الإنسانية على وجه الأرض.

النقطة الثالثة: الخاتمية والخلود

تناولت العديد من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام مسألة خاتمية الرسالة الإسلامية المحمدية وخلودها وأكدتهما، ونفت عن الرسالة الإسلامية المحمدية كل تحديد أو تقييد زماني، قول الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ

﴿...مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[1]، وتتضمن الآية الكريمة النقاط التالية:

أ. إنّ الرابطة التي تربط بين الرسول الأعظم الأكرم ﷺ وبين أمّته هي أعظم وأسمى وأشرف وأكثر أهمية للإنسان والإنسانية من الرابطة التي تربط بين الآباء وبين أبنائهم، وهو أكثر رحمة بهم وحرصاً عليهم منهم، ويجب له من التعظيم والتوقير والتقديم والطاعة أكثر مما يجب لهم.

ب. إنّ الرسول الأعظم الأكرم ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام فلن يأتي بعده نبي ليبين للناس مالم يأتِ به من الأحكام،

١- الأحزاب: ٤٠

وعليه: يجب عليه أن يبيّن للناس بمنتهى الدقة كافة الأحكام الشرعية التي تحتاجها البشرية في حياتها إلى انقضاء التاريخ البشري على وجه الأرض، ومنها الحكم بجواز زواج الرجل بمُطلّقة ابنه بالتبنّي، لأنه ليس ابنه حقيقة، والأحكام تبنى على أسس ثابتة وحقيقية، وليس على ما هو مدّعى ولا حقيقة له.

ج. إنّ الله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علماً وقدرة، فهو يعلم حيث يجعل رسالته ويختمها بمحمد ﷺ ويعلم من يصلح لفضله ومن لا يصلح، ويعلم بكل ما يصلح أحوال الناس الخاصة والعامة وما يفسدها، وهو قادر على وضع الشريعة

التامة الكاملة التي تصلح لكل الناس على امتداد التاريخ وعرض الجغرافيا، وتصلح لكل الظروف والأحوال الخاصة والعامة، المألوفة وغير المألوفة، وتصلحهم وتتكفل بسعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة.

وفي الحديث النبوي الشريف: «**أُرسِلتُ إلى الناس كافة، وبي خُتِمُ النبيُّون**»[1]، وفي الحديث عن أميرالمومنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «**أمّا رسول الله صلى الله عليه وآله فخاتم النبيين، ليس بعده نبي ولا رسول، وخُتِمَ برسول الله الأنبياء إلى يوم القيامة**»[2].

وذلك على خلاف ما كانت عليه جميع

١- مسند الإمام أحمد، جزء ٢، صفحة ٤١٢

٢- الاحتجاج، جزء ١، صفحة ٢٢٠

الرسالات السماوية السابقة التي كانت جميعها محدودة ومقيّدة بدورة رسالية في مدّة زمانية معيّنة ومحددة، ثم يتم نسخها برسالة سماوية لاحقة تعالج التشريعات المؤقتة، مثل:حرمة الصيد في يوم السبت الذي حرّمه الله جلّ جلاله على بني إسرائيل، ثم جاءت رسالة عيسى المسيح عليه السلام فأحلّته، قول الله تعالى على لسان عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾[1]، ولمعالجة التحريفات التي أُدخلت على الرسالة السابقة، ومعالجة المسائل والقضايا والشؤون

١- آل عمران: ٥٠

والظواهر المستجدّة والمستحدثة، التي فرضتها تطورات الحياة وتعقيداتها، وتلاقح الثقافات والحضارات ونحو ذلك.

وبناءً على ما سبق: ينبغي على المؤمنين بالرسالة السابقة أن يلتحقوا بركب التطوّر في الرسالات السماوية، فيؤمنوا بالرسالة الجديدة الناسخة للرسالة السابقة ويعملوا بمقتضاها.

فقد نسخت رسالة إبراهيم الخليل رسالة نوح عليهما السلام ونسخت رسالة موسى الكليم رسالة إبراهيم الخليل عليهما السلام ونسخت رسالة عيسى المسيح رسالة موسى الكليم عليهما السلام فانتهت النوبة إلى الرسالة السماوية الخاتمة، وهي رسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله التي هي رسالة كاملة من جميع الجوانب والوجوه، وثابتة ونهائية، فلا تقبل النسخ

والتغيير والتبديل، وهي رسالة خالدة حتى انقضاء الحياة الإنسانية وتوقّف التاريخ الإنساني على وجه الأرض، وذلك لأنها من لدن عليم خبير أحاط بكل شيء علماً وقدرة، وقد بُنيت على أساس ثابت وكلي ومشترك بين جميع أفراد النوع الإنساني، وهو الفطرة وأصل الخلقة والتكوين والطبيعة الإنسانية، بحيث تستجيب لجميع الإحتياجات الضرورية للإنسان الفردية والمجتمعية، المادية والروحية، القريبة والبعيدة، المألوفة وغير المألوفة، الدنيوية والأخروية، قول الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

١- الروم: ٣٠

وقد أجمع المسلمون قاطبة على خاتمية الرسالة الإسلامية المحمدية، فالنبي محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء والرسل الكرام والسفراء الإلهيين عليهم السلام، وشريعته خاتمة الشرائع السماوية الإلهية وأكملها على الإطلاق، وكتابه خاتم الكتب السماوية وأشملها للمعارف الإلهية الحقة والأخلاق الفاضلة والتشريعات الإلهية والمواعظ البالغة والسيرة الصادقة وغيرها من العلوم، وأكملها على الإطلاق، وهو كتاب خالد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنّ الرسالات السماوية قد اكتملت بالرسالة الإسلامية المحمدية، وبلغت نهايتها وغاية تمامها، قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1]، فلا

١- المائدة: ٣

يستطيع أحد أبداً أن يأتي بجديد في أمر الهداية الإلهية بعد محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

وتعتبر خاتمية الرسالة الإسلامية المحمدية وخلودها من ضروريات الإسلام الحنيف الثابتة ثبوتاً قطعياً بنص الكتاب الكريم (القرآن) والسنة الشريفة المتواترة التي عليها إجماع المسلمين، فيجب على كل مسلم الاعتقاد بها والعمل بمقتضاها، ولا يلتفت ولا ينظر في كل دعوى للنبوة أو الرسالة بعده، وهي حقيقة ثابتة علمياً لدى الباحثين المتخصصين في الدراسات الإسلامية، بالرجوع إلى المصادر الإسلامية المعتبرة الكتاب والسنة، والاعتماد على قواعد البحث العلمي والمنطق السليم، وعليه: جاء في الحديث النبوي الشريف: «وحلال محمد حلال

أبـداً إلـى يـوم القيامـة، وحرامه حـرام أبـداً إلى يوم القيامة»[1] وتتطلب خاتمية الرسـالة أموراً رئيسـية عديدة، منها:

1. توفر الظروف والشروط المناسبة التي تمكّن النبـي وخلفائه المعصومـون عليهم السلام من تبليغ الرسـالة الإلهيـة لجميع الناس فـي العالم؛ لأنّ الغايـة من بعثة الأنبياء عليهم السلام هي إيصال الرسـالة الإلهيـة إلـى النـاس، مـن أجل إرشـادهم وهدايتهـم إلـى مـا فيـه صلاحهم وخيرهـم وسـعادتهم فـي الداريـن الدنيـا والآخرة و إقامة الحجة عليهم.
2. أن تستجيب الرسالة لجميع الاحتياجات الضروريـة للنـاس الفرديـة والمجتمعيـة،

١- الكافي، جزء ١، صفحة ٥٨

المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، وفي مختلف الظروف والأحوال المألوفة والاستثنائية، حتى نهاية التاريخ وانقضاء حياة الإنسان على وجه الأرض، يقول العلّامة الشيخ محمد جواد مغنية: «**وما من شيء يريد الله سبحانه وتعالى أن يبلغه إلى عباده، إلا وهو موجود في القرآن الكريم، أي: من شيء يتصل بوظيفة الأنبياء واختصاصهم في هداية الخلق وإرشادهم إلى مصالحهم التي تضمن لهم سعادة الدارين، ولا وسيلة لإثبات هذه الحقيقة إلّا بالتجربة التي لا تقبل الشك والجدال، ونعني بها أن يدرس أهل الاختصاص القرآن دراسة علمية شاملة من ألفه إلى يائه، ثم يقارنون بينه وبين غيره من**

كتـب الأديان، ونحن على يقين بأنهم ينتهون من ذلك إلى أمرين:

الأول: أنّ القـرآن ببلاغته وعقيدتـه وشـريعته يفوق جميع كتب الأديان.

الثاني: أنهم يجدون في القرآن جميع الأصول والمبـادئ التـي تتجاوب مـع حاجات الناس ومصالحهـم وتقدمهم إلى قيام السـاعة، فما مـن نهضة علميـة أو ثورة تحرّريـة، إلّا ويدعو إليهـا القـرآن ويباركهـا، وما من تشـريع يحتاج إليـه النـاس فـي دور مـن أدوار التاريـخ إلّا ويستطيع أهل العلم والاجتهاد أن يستخرجوه من أحد أصول القرآن ومبادئه»[1].

٣. وجـود طريقـة وأسـلوب ووسـيلة ناجحـة

١- الكاشف، محمد جواد مغنية، جزء ٦، صفحة ٢٢٥

للحفاظ على سلامة الرسالة وصيانتها من التحريف والتغيير والتبديل، والمحافظة على المصالح الجوهرية للأمة وحقوق أبنائها، وعدم السماح لأحد من الفراعنة من التعدي عليها وانتهاكها، ولم يكتفِ التنزيل (القرآن الكريم) بالتأكيد على خاتمية الرسالة الإسلامية المحمدية الأصيلة وخلودها، بل أكّد على انتصارها المطلق وظهورها التام الكامل النظري والعملي على جميع الأديان السماوية المنسوخة، مثل: المسيحية واليهودية، والأديان الوضعية، مثل: البوذية والكنفوشية والهندوسية والزرادشتية والبهائية وغيرها، وجميع الفلسفات والسياسات والأنظمة

البشرية، مثل: الماركسية والوجودية والبرجماتية والاشتراكية والرأسمالية والليبرالية والعلمانية وغيرها، وذلك كحتمية تاريخية تتوّج الصراع بين مختلف القوى على وجه الأرض في نهاية المسيرة التاريخية للإنسان، قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[2] وتتضمن الآيات المباركة النقاط التالية:

أ. إنّ الله عزّ وجلّ أرسل رسوله محمد صلى الله عليه وآله

١- التوبة: ٣٣

٢- الفتح: ٢٨

بالقرآن الكريم وبالدين الإلهي الحق؛ ليجعله بما هو موافق للعقل والمنطق والفطرة وأصل الخلقة والتكوين والطبع السليم، في جميع عقائده ومعارفه وأخلاقه وتشريعاته وأهدافه الإنسانية السامية ومقاصده النبيلة التي تخدم خير الإنسانية وصلاحها، واستنهاضه للعقل والفكر بما اشتمل عليه من الحجج والبراهين والبينات؛ ليجعله غالباً منتصراً ومهيمناً على جميع الأديان السماوية المنسوخة والوضعية الباطلة، والفلسفات والسياسات والأنظمة البشرية الضالّة شرقيها وغربيها، إذ سينكشف الواقع

بكل جلاء، بحسب العقل والمنطق، وستظهر الحقيقة كما هي عليه، وتسقط المؤامرات والدسائس، وتنهار السدود، وتزول الموانع والعقبات ويفشل الإعلام المُضَلّل، وتجفُّ الأقلام البائسة، وينتصر الحق والعقل على الباطل والقوة، ويبدد نور العلم والإيمان، وظلام الكفر والجهل، وهذه حتمية تاريخية كائنة لا محالة، ولا يمكن أن تتخلّف عن الحدوث.

ب. إنّ تلك الحتمية التاريخية العظيمة لا تأتي على حساب ما يتمتع به الإنسان من حرية الإرادة والاختيار ولا تأتي بشكل تلقائي وبدون عناء وتعب، بل تأتي من

وراء اختيارات الإنسان وصراعاته، فهي ترتبط بحرية الإرادة والاختيار، وبالعمل الحثيث والجهاد العظيم في سبيل الله ﷻ، وتقديم المؤمنين وقوى الخير والإصلاح والتضحيات الجسيمة في صراعهم مع قوى الشر والضلال والفساد، وتأتي رغماً عن المشركين وجهودهم الكبيرة ومكرهم ودسائسهم لإطفاء نور الحق والعقل والمنطق، وتحريك الأهواء والشهوات لإغواء الناس وتضليلهم واعتماد منطق القوة؛ لفرض إرادتهم ومصالحهم الأنانية وغير المشروعة.

ج. يجب على المؤمنين الكرام أن يفهموا

الحقائق السابقة ويستوعبوها ويعملوا بمقتضاها، فقد تعلّقت الإرادة الإلهية بنصرة الدين الإلهي الحق، ولن تفلح جهود المشركين وكيدهم مهما عظم في إخماد نار الحق وإطفاء نوره، وكفى بالله وكيلاً وشاهداً على إنجاز هذا الوعد، فهو غالب على أمره. ويجب على المؤمنين الكرام النهوض بمسؤولياتهم الدينية والإنسانية والتاريخية، والتفكير بعمق، والتخطيط بدقة، ووضع البرامج الواقعية الفعّالة، والعمل الحثيث بجد، والتضحية من أجل حياة طيبة أفضل وأكمل، ومن أجل استنجاز ذلك الوعد الإلهي العظيم، ولا يجوز لهم اليأس أو

الوهن أو التراخي أو الكسل أو القعود عن مسؤولياتهم وأداء التكليف الإلهي عليهم ومقارعة الظالمين حتى النصر.

مقوّمات الخاتمية

ولكي يكون أمر خاتمية الرسالة الإسلامية المحمدية موافقاً للحكمة الإلهية البالغة ومقاصد الرسالة وأهدافها وغاياتها، يجب أن تتوفر معه وتقترن به مقوّمات رئيسية عديدة هي من لوازم خاتمية الرسالة ومقتضياتها الأساسية، بحيث تتكفل بحفظ الرسالة وقيام الحجة عليها وتحقيق أهدافها وغاياتها، وبدونها لا تكون خاتمية الرسالة موافقة للحكمة الإلهية البالغة، وتكون الرسالة عاجزة وقاصرة عن بلوغ أهدافها وغايتها، وعلى رأسها إيصال الإنسان إلى كماله

الممكن اللائق به والمقدّر له، وتحصيل سعادته الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، والمقوّمات هي:

١. حفظ الكتاب السماوي المنزل (القرآن الكريم) من التحريف والتبديل والتغيير والزيادة والنقصان، قول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١]، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢]، وذلك للأسباب التالية:

أ. لأنه المعجزة الخالدة الدالة على

١- الحجر: ٩

٢- فصلت: ٤١-٤٢

صدق نبوة النبي محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وصدق رسالته، حتى تتم الحجة به على جميع الأجيال في جميع العصور في جميع العالم حتى تقوم الساعة ويتوقف التاريخ وتنتهي الحياة الإنسانية على وجه الأرض، وهذا مما تميّزت به الرسالة الإسلامية المحمدية من بين جميع الرسالات السماوية؛ لأن الرسالة الإسلامية المحمدية خالدة، ويجب أن تكون المعجزة الدالة على صدقها خالدة كذلك، والرسالات السماوية السابقة جميعها محددة بدورة رسالية في مدة زمنية محدّدة تنسخها رسالة جديدة لاحقة، ولازم ذلك أن تكون

المعجزة الدالة على صدقها محدودة بزمان معين كذلك، فلا تكون الرسالة مؤقتة ومعجزة خالدة، ولا تكون الرسالة خالدة ومعجزتها محدودة بزمان معين.

ب. لأنّ الكتاب هو المرجع الأساسي للرسالة، قول الله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[2]، أي: أنّ الله تبارك وتعالى قد أنزل القرآن الكريم وجعله نوراً

١- المائدة: ١٥-١٦

٢- هود: ١

إلهياً تستضيئ به النفوس في ظلمات الجهالة والضلال، وجعله فرقاناً يفرق به بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين الصلاح والفساد، وبين النافع والضار، وبين الحلال والحرام، وبين طريق النجات وطريق الهلاك، وبين طريق السعادة وطريق الشقاء، وعصمه من الخطأ.

وجعله هادياً ومرشداً يهدي بصائر الناس عموماً، والمتقين الراغبين في مرضات الله سبحانه وتعالى وطلب الحق لوجه الحق، لا لعصبية طائفية أو مذهبية أو نحو ذلك خصوصاً، ويرشدهم إلى صراط مستقيم وللتي هي أقوم، ويخرجهم من

ظلمات الجهل والشك والكفر والمعاصي والتفرق، إلى نور العلم واليقين والإيمان والطاعة والوحدة الدينية والإتحاد بإذن الله ﷻ وتوفيقه وتسديده وتأييده، ويهديهم إلى سبيل السلام والأمن الكامل الشامل لجميع الأفراد والشعوب، المادي والروحي، وينمي الحياة ويجعلها متعة وهناء، ويسلم صاحبه من العذاب والشقاء والتعاسة والضيق والضنك في الدارين الدنيا والآخرة، وهو سبيل الإيمان والعلم بالحق والعمل به، إذ لا ينفك صلاح الإنسان وكماله ومصلحته في دورة الحياة الكاملة العرضية في امتداد المكان والجغرافيا، والطولية في امتداد الزمان والتاريخ

وسعادته الحقيقية عن العلم بالحقائق والسنن والعمل بمقتضاها.

ونظمت آياته نظماً محكماً من جميع الجهات، وأتقنت وأحسنت فناً وعلماً، فلا نقص فيها ولا ضعف ولا لهو ولا خلل في لفظها ولا في معناها، ولا انحراف أو ميل عن الحقيقة والصواب، ولا يتطرق إليها الفساد ولا يدخلها التناقض ولا تقبل النقض والهدم ولا شيء من نحو ذلك، وبُيّنت أكمل وأتمّ تبيين، وفُصّلت آية بعد آية، ودليلاً بعد دليل، وأمراً ونهياً، وترغيباً وترهيباً ونحو ذلك، تفصيلاً واضحاً كاملاً شافياً كاشفاً لكل لبس أو خلط أو شبهة أو مغالطة أو نحو ذلك؛ لأنه صادر من لدن

حكيم في أفعاله، يُدبّر الأمور كلها على أساس العلم والحكمة والعدل ويضع الأشياء في مواضعها، وينزلها في منازلها، وخبير بكيفيات الأمور وبمصالح العباد وبجميع حاجاتهم الفردية والمجتمعية، المادية والمعنوية، القريبة والبعيدة، المألوفة والاستثنائية، الدنيوية والأخروية ونحو ذلك، فلا يخبر إلّا بالصدق والحق، ولا يأمر إلّا بالطيبات والعدل والإحسان، ولا ينهى إلّا عن الخبائث والفواحش والمنكر والبغي والمضار المادية والمعنوية، الظاهرية والباطنية، فلا مثيل له بين الكتب قاطبة في جميع المطالب والجهات في الفصاحة والجزالة والبيان والبلاغة، وفي

العلوم النظرية والعلمية، إذ اشتمل على المعارف الإلهية الحقة والمطالب الروحية، وتهذيب الأعمال الظاهرة (الفقه) وتهذيب الأحوال الباطنة (الأخلاق والمجاهدة) والمواعظ (الترغيب والترهيب) والعبر والسيرة ونحو ذلك.

وقد أجمع المسلمون قاطبة على وجوب الرجوع إلى القرآن الكريم في جميع ما يختلفون فيه، وأن ينتهي كل رأي ديني إلى القرآن، في الحديث النبوي الشريف: **«عليكم بالقرآن فاتخذوه إماماً وقائداً»**[1].

ولأنّ في القرآن الكريم المحكم والمتشابه، ولأنّ جميع الآيات المحكمة والمتشابهة

١- كنز العمال، الحديث: ٤٠٢٩

لها تأويل، ولأنّ لآياته بالضرورة مراتب مختلفة بالمعنى مترتبة طولاً، فقد قال علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام: إنّ القرآن لا يهتدي به فعلاً، حقيقة وواقعاً بدون قيّم عالم بجميعه علماً لَدُنيّاً يقينياً، وهم المطهرون الراسخون في العلم من أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين طهرهم الله تبارك وتعالى من الرجس، وقرنهم بالقرآن، فلا يفترقان في العلم والعمل، قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1].

وقد أجمع المسلمون قاطبة على القول بصيانة القرآن من التحريف والتغيير والتبديل، والأقوال بالتحريف عند أتباع

١- الرعد: ٧

المذاهب الإسلامية هي أقوال شاذة لا يعتدُّ بها، ويجب على المسلمين التركيزعلى إجماعهم بشأن صيانة القرآن من التحريف والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان، وإبرازه وإظهاره إلى العالم، وليس اهتمام كل طائفة بإظهار ما يوجد عند الطوائف الأخرى من أقوال شاذة بالتحريف من أجل التعريض بهم، فيظهر للعالم على خلاف الحقيقة، وكأن المسلمين مجتمعين على القول بالتحريف.

والتركيزعلى الإجماع بصيانة القرآن من التحريف للأسباب الوجيهة والمنطقية التالية:

أ. لأنّ القول بصيانة القرآن من التحريف

هو الموافق للكتاب الكريم (القرآن) وجميع المذاهب الإسلامية تعتقد به، والأقوال بالتحريف أقوال شاذة عند الجميع، والأحاديث فيه إما موضوعة، وإما لا تدل على التحريف في نفس الكتاب، وإنما في فهمه وتأويله.

ب. أنّ مصلحة الدين والأمّة تكمن في تعزيز القول بصيانة الكتاب من التحريف، والترويج للأقوال الشاذة بالتحريف مضرٌ بالدين والأمة، ويدل على الجهل والتعصب الأعمى وضعف البصيرة والوقوع تحت تأثيرات الأهواء والشيطان الرجيم والدوافع النفسية المريضة المنحرفة.

٢. **وجود الإمام المعصوم:** الذي يتلقى العلم اللّدُنّي اليقيني الموهوب له من الله تبارك وتعالى، قول الله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾[١] الذي يكفل وجوده المحافظة على الرسالة الإسلامية المحمدية الأصيلة من التحريف والتغيير والتبديل، وتنفيذ التشريعات الإلهية وتطبيقها بشكل صحيح، والمحافظة على كافة المصالح والحقوق الرئيسية والجوهرية للأمة وصيانتها من الضياع والانتهاك؛ لأنّ الخاتمية تفيد توّقف الوحي عن النزول وختم النبوة والرسالة، إلّا أنّ وظائف الرسول الأخرى، مثل: بيان تفاصيل ما

١- الكهف: ٦٥

اشتمل القرآن على إجماله من المعارف والقيم والأحكام والسيرة والمواعظ بكل أبعادها وخصوصياتها، بدون أن يقع تحت سطوة الجهل والخطأ والغفلة والدوافع النفسية والأهواء والرغبات والمصالح الخاصة ونحوها من الآفات الفكرية والروحية والسلوكية، وتربية المؤمنين المؤهلين وإيصالهم إلى كمالهم الممكن المقدّر لهم واللائق بهم حسب قابلياتهم واستعداداتهم الفكرية والروحية، وقيادة الأمة الإسلامية القيادة الرسالية الرشيدة والتطبيق الصحيح للرسالة والتشريعات الإلهية وتنفيذها على مستوى الأفراد والأمة والدولة بالشكل الذي يحقق مقاصدها

والغرض منها ونحو ذلك؛ لأنّ الهدف من خلق الإنسان في الإرادة الإلهية حين خلق الإنسان وتكوينه، هو إيصاله إلى كماله الممكن المقدّر له واللائق به معرفياً وتربوياً وحضارياً، وتحصيل سعادته الحقيقية الكاملة في الدارين الدنيا والآخرة، الأمر الذي يتوقف على وجود الوحي الإلهي والعلم اللَدُنّي اليقيني، والعمل بالرسالة وكافة تطبيقاتها الصحيحة في جميع الجوانب وكافة شؤون الحياة الخاصة والعامة، الفردية والمجتمعية.

ولأنّ الغرض من الرسالة الإسلامية المحمدية الخاتمة ليس تعريف الأمة الإسلامية بالدين الإلهي الحق في خصوص

عصر صاحب الرسالة، بل تعريف كل الأمة على امتداد التاريخ وعرض الجغرافيا في كل العصور، مما يتطلب تمامية طرق التعريف وتمامية الوسائل وسلامة التطبيق والعمل بالتشريعات على مستوى الأمة والدولة، وليس على مستوى الأفراد فقط.

ولأنّ الدين الإلهي الحق لا يمكن أن يستغني عن تلك المهام الجوهرية النظرية والعملية، أو أن يسمح بتولّي غير المؤهلين لها من الطواغيت الضالين والفراعنة المتجبرين والحكام المستبدين الظلمة والمترفين المفسدين المارقين ونحوهم، لما يترتب على تولّيهم لها من المفاسد في الدين والدنيا وتعطيل الدين عن التطبيق

والعمـل بـه وفصلـه عن واقـع الحيـاة ووقوع المظالـم العظيمـة الفرديـة والمجتمعيـة، الأمـر الـذي يخالـف حقيقـة الرسـالة وأهدافهـا وغاياتهـا ومقاصدهـا، ويخالـف حقيقـة التوحيـد، لا سـيّما توحيـد الربوبية والحاكميـة والطاعـة التـي تفـرض تطبيـق الديـن الإلهي والعمل به فـي جميع الأبعاد والجوانـب والشـؤون العامـة والخاصـة فـي الحياة.

ويَدلُّ حديث المنزلة على مجموع ما سبق ذكره، وهو حديث نبوي صحيح ومتواتر عند جميع المسلمين، وقد ذكر في موسوعاتهم للحديـث، قول الرسـول الأعظم الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مخاطبـاً الإمـام علـي بـن أبـي طالـب عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه ليس بعدي نبي»[1] وغيرها من المصادر المعتبرة عند المدرستين، والحديث يفيد أن علياً عليه السلام شريكٌ للنبي صلى الله عليه وآله في التبليغ بالرسالة وقيادة الأمة وبقية المهام العامة، مثل: القضاء ونحوه، كما كان الحال بالنسبة إلى هارون مع موسى عليهما السلام إلّا أنّ علياً ليس نبياً بالضرورة وكما هو صريح الحديث الشريف.

وبناءً على ما سبق: فقد نصب الله عزّ وجلّ الإمام المعصوم الذي يخلف الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله في تأدية مهامه الرسالية الضرورية في الأمة بعده، وفرض على كل

١- بحار الأنوار، جزء ٣٧، صفحة ٢٥٤ - صحيح البخاري، جزء ٣، صفحة ٥٨ - صحيح مسلم، جزء ٢، صفحة ٣٢٣

مسلم أن يعرف إمام زمانه وأن يتبعه ويطيعه في جميع ما يأمر به وينهى عنه في أمور الدين والدنيا، ويقتدي به في حياته، وفي الحديث النبوي الشريف: «من مات ولم يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية»[1].

٣. **إقامة دولة العدل الإلهي العالمية:** إذ بدون الدولة لا يتحقق كمال العمل بالدين، ويتم الفصل بين الدين وواقع الحياة، وإتاحة الفرصة للطواغيت والفراعنة والحكام المستبدين بفرض إرادتهم على الناس وظلمهم والجور عليهم، وذلك بالنظر إلى نفوذ الدولة وسط سيطرتها على الناس وتدبير كافة شؤونهم والتأثير فيهم.

١- ينابيع المودة، جزء ٣، صفحة ٣٧٢

وعليه: فقد ذهب الفقهاء إلى القول بوجوب إقامة الدولة الإسلامية متى سمحت الظروف بذلك في أي قطر أو أي عصر وزمان، ولا يجوز تعطيل أي حكم شرعي اختياراً، فإن مقتضى تشريع الحكم مطلقاً، بقاؤه مستمراً، إلّا إذا كان الحكم لا إطلاق له يبقيه مستمراً، كأن ينسخ الحكم، أو قيد بقيود أو شروط غير متحققة، كأن يُقيّد بزمن الحضور أو وجود الفقيه المبسوط اليد، أو كان من وظائف الحكومة وليس الأفراد، فيكون العمل به مع وجود الحكومة وليس بدونها، مثل: إقامة الحدود الشرعية.

وقد تكفل الله عزّ وجلّ بقيام الدولة الإسلامية العادلة العالمية (دولة العدل الإلهي

العالمية) في آخر الزمان؛ لأن بها يتحقق كمال الظهور والانتصار والخاتمية، قول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1] وقول الله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[2]، وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[3]، وقول الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي

١- التوبة: ٣٣

٢- الأعراف: ١٢٨

٣- الأنبياء: ١٠٥

الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2] وغيرها، وسوف يتحقق ذلك في آخر الزمان بإجماع المسلمين على يد الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية ٣٣ من سورة التوبة، أنه قال: «والله ما نزل تأويلها بعد، ولا ينزل تأويلها حتى يخرج

١- القصص: ٥

٢- النور: ٥٥

القائم، فإذا خرج القائم لم يبقَ كافر بالله العظيم»[1]، وفي الحديث النبوي الشريف: «لو لم يبقَ من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها (الأرض) عدلاً كما ملئت جوراً»[2]، وفي الحديث النبوي أيضاً: «إن علياً إمام أمتي من بعدي، ومن وُلدِه القائم المنتظر، الذي إذا ظهر ملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»[3]، وقد ثبت بالتجربة التاريخية أموراً مهمة عديدة، منها:

أ. إنّ إبعاد الإمام المعصوم عن قيادة الأمة أدّى إلى التنافس والتناحر على السلطة

١- نور الثقلين، جزء ٢، صفحة ٢١١

٢- صحيح الترمذي، جزء ٢، صفحة ٤٦

٣- ينابيع المودة، صفحة ٤٩٤

الدينية والسياسية بين الطواغيت الضالين والفراعنة المتجبرين والحكام المستبدين والمترفين الفاسدين والإنتهازيين النفعيين المارقين، وظهور الأنظمة الدكتاتورية والحكومات المستبدة التي فرضت سيطرتها وهيمنتها على الأمة في العالم الإسلامي على امتداد التاريخ وعرض الجغرافيا.

ب. تعطيل العمل بالإسلام وفصله عن واقع الحياة وقضايا المسلمين، وانتشار الفساد والتحلّل الأخلاقي والانحطاط الحضاري والضعف والتخلّف والتبعية للأجانب ثقافياً وسياسياً وعسكرياً وأمنياً واقتصادياً، وفقدت الرسالة الإسلامية

فرصتها في هداية الناس وإرشادهم وتوجيههم، وفقدت الأمة الإسلامية اعتدالها ووسطيتها واستقامتها ورشدها واستقلالها وقياديتها.

ج. اختلف المسلمون في دينهم، وكثرت بينهم المذاهب والمدارس الكلامية، وتفرّقوا إلى طوائف وأحزاب متحاربة متناحرة مختلفة في الدين والسياسة، يُكَفّر بعضهم بعضاً ويضرب بعضهم رقاب بعض، فذهبت حرمة دم المسلم وحياته وعرضه وماله أدراج الرياح، وصار الجميع أسرى التعصب الأعمى المذهبي والطائفي والعرقي، وأسرى المصالح السياسية والاقتصادية،

والصراع على زعامة المسلمين، ودخل في الصراع والتنافس على الزعامة الدينية والسياسية للمسلمين كل مَنْ هبّ ودبّ، الشريف والوضيع، المؤهل وغير المؤهل، من يستحق ومن لا يستحق، وكثر الوضع للحديث والكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى أهل بيته عليهم السلام والاجتهاد بغير الأهلية، واتسعت رقعة الاختلاف في الدين وكثرت الشبهات والمغالطات في الدين، وانتشرت الفتن ونحو ذلك من المهالك والمفاسد على خلاف ما أمرهم الله عز وجل به وأمرهم الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله قول الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا

بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً
فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ
إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ
فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، وفي الحديث
النبوي الشريف: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً
يضرب بعضكم رقاب بعض»[2].

وقد ثبت بالحسّ والتجربة: أنّ الإختلافات والصراعات يترتب عليها الوهن والضعف والتخلّف والتبعية في الأمة، وتُعدُّ من أهم الأسباب التي تحول دون تقدّم الرسالات وانتشارها، ووصول الحركات الإصلاحية والثورية

١- آل عمران: ١٠٣

٢- صحيح البخاري، جزء ١، صفحة ٥٦

إلى أهدافها وغاياتها، ولهذا حذّر القرآن الكريم الأمة المسلمة منها أشد التحذير، ونهى عنها أشد النهي، قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[2]، وهذا يتطلب من المسلمين التوقّف والتأمل في أحوالهم، ومعرفة مدى الخطر في الدين والدنيا والآخرة لما هم عليه من الخلاف والشقاق والتناحر، وأن يتحلّوا بالصدق والإخلاص والتجرّد الكامل والنزاهة والموضوعية التامة في البحث عن الحقائق في مسائل الاختلاف الرئيسية بعيداً

١- آل عمران: ١٠٥

٢- الأنعام: ١٥٩

عن التعصب الأعمى والأهواء الشيطانية والدوافع النفسية، وأن يتعرّفوا على الأسباب الحقيقية للصراعات الدامية بينهم، ويعالجوها بموضوعية ويتصرّفوا إزائها بجد ومسؤولية فائقة.

وبالنظر إلى خطورة الاختلاف ونتائجه الكارثية على الدين وعلى واقع الأمة ومستقبلها في الدارين الدنيا والآخرة، ولشدة التحذير منه، فإنّ ذلك يقتضي توفّر أمور عديدة، منها:

١. وضوح الحجة وجلاؤها بنحو لا يقبل الاشتباه واللبس، ولا يحتمل التأويل والاجتهاد والتشكيك، ولا تستطيع المغالطات التعتيم عليه وتضييع معالمه وطمس آثاره، قول الله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ

حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[1]، وفي الحديث النبوي الشريف: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلّا هالك»[2].

٢. إيجاد عامل الوحدة الدينية وكفايته من لدن العليم الخبير، وقد تمثّل بحق وحقيقة في الثقلين كتاب الله والعترة الطاهرة، قول الرسول الأعظم الأكرم ﷺ: **«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف**

١- النساء: ١٦٥

٢- مسند أحمد، جزء ٤، صفحة ١٤٦

تخلّفوني فيهما»[1] وهو حديث صحيح ومتواتر في المدرستين: مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومدرسة الخلفاء.

وبناءً على ما سبق نتوصل إلى النتائج المهمة التالية:

١. إنّ التفرّق والاختلاف ليس بسبب عدم وضوح الحجة أو عدم كفاية الوسيلة، وإنما بسبب المخالفة والمعصية بغياً بعد العلم، قول الله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ

١- صحيح الترمذي، جزء ٢، صفحة ٣٠٨

بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

٢. لا يمكن إصلاح الوضع والخروج من مأزق الاختلاف في الدين والتفرّق والعودة إلى الوحدة الفكرية والروحية والعملية للأمة إلّا بوجود قيادة رشيدة لديها العلم اللَدُنّي اليقيني الكامل بالدين، الموهوب لها من الله تبارك وتعالى، ويجمع على شرعيتها ووجوب الرجوع إليها في أمور الدين والدنيا والآخرة، وحرمة مخالفتها والخروج عليها، ولا يجوز الاجتهاد في قبال ما تأتي به، وليس هو إلّا الإمام المعصوم المنصوص عليه، كما

١- البقرة: ٢١٣

يدلُّ على ذلك حديث الثقلين، وهو حديث صحيح ومتواتر عند جميع المسلمين، وقد رواه مسلم والحاكم في المستدرك والترمذي وأحمد وأبي نعيم والبيهقي والمتقي الهندي وابن حجر وغيرهم عن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله ولهذا الحديث طرق كثيرة، ويزيد رواته على عشرين صحابياً، وهو يدلّ على أمور رئيسية عديدة، منها:

أ. عصمة أهل البيت عليهم السلام من الضلال، وملازمتهم للتقوى ولكتاب الله علماً وعملاً، وعدم مفارقتهم له في شيء من ذلك.

ب. تفرّد أهل البيت عليهم السلام بالعلم اليقيني الكامل بكل ما جاء به الكتاب (القرآن

الكريم) من المعارف الإلهية الحقة والأخلاق الفاضلة والأحكام والمواعظ والسيرة وسائر العلوم المذكورة في القرآن الكريم صراحة أو إشارة وتلميحاً، لا يجاريهم في ذلك أحد من الصحابة أو التابعين أو غيرهم من العلماء، في الحديث النبوي الشريف: «**لا تتقدموهما (يعني الكتاب والعترة) فتهلكوا ولا تعلّموهما فإنهم أعلم منكم**»[1].

ج. وجود متأهل منهم في كل زمان من غير انقطاع للتمسك به إلى يوم القيامة، في الحديث النبوي الشريف: «**في**

١- كنز العمال، جزء ١، صفحة ٤٧

كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا و إن أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فانظروا مَنْ توفدون»[1]

د. إنّ التمسك بالكتاب والعترة ورعاية حقوقهما واتباعهما والتعلّم منهما أمان للناس من الضلال والتفرق والاختلاف في الدين والعذاب، ومخالفتهما هو الطريق المؤدّي إلى كلِّ ما يخاف منه ويحذر، في الحديث النبوي الشريف: **«النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الإختلاف»**[2]،

١- ينابيع المودة، جزء ٢، صفحة ١١٤

٢- مستدرك الوسائل، جزء ٣، صفحة ١٦٢

وفي الحديث النبوي أيضاً: **«مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق»**[1].

وما سبق يدلّ قطعاً على إمامة أهل البيت عليهم السلام بعد الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بلا فصل ولا انقطاع، حتى قيل: لو لم يكن للشيعة دليل على خلافة أهل البيت عليهم السلام وإمامتهم سوى حديث الثقلين لكفاهم ذلك حجة على مخالفيهم.

ولا يغني وجود الكتاب والسنة عن إمامة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ الاختلاف بين المسلمين واقع في فهم الكتاب والسنة، بالإضافة إلى ما دخل السنة من الوضع والكذب والتحريف والتغيير والتبديل، وعليه: لا تستقيم الخاتمية، ولا توافق

١- مستدرك الوسائل، جزء ٢، صفحة ٣٧٣

الحكمة الإلهية البالغة، ولا يتحقق أهداف الرسالة وغاياتها ومقاصدها إلا بتعيين الائمة المعصومين للخلافة بعد النبي صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ.

بقي أن نشير إلى أنّ خاتمية الرسالة الإسلامية المحمدية تدلُّ على أنّ الرسول الأعظم الأكرم صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ هو أكمل الأنبياء الكرام عَلَيْهِمُالسَّلَامُ وأفضلهم قاطبة؛ لأنه يحمل الرسالة الخاتمة الكاملة والكتاب الكامل وأحاط بهما علماً وعملاً، وقد جمع كل صفات الكمال البشري وبلغ الغاية منها والنهاية القصوى والمرتبة الأعلى بحيث لا يجاريه في ذلك أحد غيره، وأنّ الأئمة المطهرين من أهل بيته عَلَيْهِمُالسَّلَامُ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، هم أفضل من جميع الأنبياء الكرام السابقين عَلَيْهِمُالسَّلَامُ؛ لأنهم لا يفارقون القرآن في العلم

والعمل، كما يدلّ على ذلك حديث الثقلين المتواتر عند جميع المسلمين؛ ولأنّ الفضل يدور مدار العلم والعمل، فأكمل الناس علماً وعملاً هو أفضل الناس، ومن يعلم بجميع الكتاب الإلهي الكامل ويعمل به، فهو أفضل من الذين ليس لهم مثل هذا العلم والعمل، وهذا في غاية الوضوح والجلاء لكل ذي بصيرة وإيمان.

ولا شك ولا ريب أنّ خاتمية الرسالة الإسلامية المحمدية وخلودها، من أبرز مظاهر الرحمة الإلهية وتجلياتها، ومن أبرز فوائدها:

أ. تراكم العلوم والخبرات بالرسالة وتطبيقاتها، مما يساهم في الإسراع في وتيرة التكامل المعرفي والتربوي والحضاري في السيرة التاريخية للأمة الإسلامية والبشرية.

ب. زيادة ثقة الأمة بنفسها، والتوجه بكامل قوتها وطاقتها نحو غايتها الحضارية القصوى وهو الظهور المبارك للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والسعي عن بصيرة وتخطيط لتوفير شروط الظهور المبارك الفكرية والروحية والعملية حتى يتحقق الظهور، ويتحقق الانتصار للدين الإلهي الحق على الدين كله، وتتحقق الوراثة للأرض وإقامة دولة العدل الإلهي العالمية التي هي آخر الدول وأعظمها في مسيرة البشرية كلها، وتتحقق فيها آمال وأحلام جميع الأنبياء الكرام والأوصياء المطهرين عليهم السلام والمؤمنين الصالحين والعباد المصلحين، وتظهر ثمرة جهادهم وتضحياتهم، وتتكامل فيها العقول

وتصفـوا النفوس، وتبلغ الحضارة الإنسـانية أوجهـا وتصل إلـى الكمال الممكـن المقدّر للحضارة الإنسانية على وجه الأرض.

ثالثاً: اتصاف الرسول بحسن الخلق

قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

بيان المفردات

الخلق:

قيل: أنّ الخَلق (بفتح الخاء) والخُلق (بضم الخاء) هما في الأصل واحد، كالشَرب (بفتح الشين) والشُرب (بضم الشين) لكن خُصّ الخَلق (بالفتح) بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصّ الخُلق (بالضم) بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، وقيل: حسن الخُلق (بالضم) لصورة الإنسان الباطنة (نفسه) وأوصافها ومعانيها المختصة بها، بمنزلة الخَلق (بالفتح) لصورته

١- القلم: ٤

الظاهرة (الجسمية) وأوصافها ومعانيها.

والخُلق في اللغة: العادة في إدراك أو فعل، والسجية والطبع والمروءة والدين، والصورة الباطنة للإنسان، وقيام الليل تمسك بأخلاق النبيين: قيام الليل تمسك بسجايا النبيين وعاداتهم.

والخُلق في الإصطلاح: هيئة (ملكة) نفسانية تصدر بها الأفعال المحمودة، مثل: الشجاعة والعِفّة، والمذمومة، مثل: الجبن والبخل عن النفس، بتلقائية وسهولة ويسر، أي: بدون تقدُّم رؤية وفكر وتكلف، فإن كانت الهيئة (الملكة) تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً، مثل: الشجاعة والعدل والِعفّة والوفاء ونحوها، سُمّيت خلقاً حسناً، وإن كانت تصدر عنها الأفعال

القبيحة، مثل: الجبن والظلم والبخل والخيانة، سُمّيت خلقاً سيئاً، وعليه: يخرج من الخلق الأفعال غير الراسخة، مثل: غضب الحكيم، وتخرج أيضاً الأفعال المتكررة التي تصدر بعسر، مثل: من يتدرب على الكرم والشجاعة.

وينقسم الخُلق إلى قسمين: حسن وسيء، ويختص الخُلق الحسن بوصف الأدب.

وتنتهي الأخلاق الإنسانية كافة إلى ثلاث قوى في النفس تصدر عنها أفعال الإنسان، وهي:

أ. **القوة الشهوية:** تصدر عنها الأفعال المنسوبة إلى جلب المنافع للإنسان، مثل: الأكل والشرب والنكاح واللباس والمسكن والمركب ونحو ذلك، وفضيلتها الأساسية العفّة، وتتفرّع عنها العديد من الفضائل.

ب. **القوة الغضبية:** تصدر عنها الأفعال المنسوبة إلى دفع الأضرار، مثل: دفاع الإنسان عن نفسه وعرضه وماله، وفضيلتها الأساسية الشجاعة، وتتفرّع عنها العديد من الفضائل.

ج. **القوة العقلية:** تصدر عنها الأفعال المنسوبة إلى الفكر والإدراك، مثل: التصوّرات والتصديقات وتأليف القياس وإقامة الحجة، وفضيلتها الأساسية الحكمة، وتتفرّع عنها العديد من الفضائل.

ولأنّ النفس مؤلفة من تلك القوى الثلاث، وجب أن تسلك كل قوة مسلك الاعتدال بعيداً عن الإفراط والتفريط؛ لأنّ بالإفراط والتفريط تخرج القوة عن المقدار المجعول لها في الحكمة

الإلهية في أصل الخلقة والتكوين، وتبطل به الغاية من التركيب، ويسمى الاعتدال في قوى النفس الثلاث: العدالة وتعني: إعطاء كل ذي حق من القوى الثلاث حقه، ووضعه في موضعه الذي ينبغي له، والعدالة هي أم الفضائل كلها.

ويمكن تقسيم الفضائل بحسب غاياتها عند الفاعل إلى ثلاث مستويات بعضها فوق بعض، وهي:

أ. **الفضائل الاجتماعية:** تعني إصلاح النفس وتعديل ملكاتها لكسب الصفة المحمودة والثناء الجميل عند الناس في المجتمع، وهذه الفضائل ليست بفضائل واقعية، وقد تكون رذيلة في الحقيقة والواقع، كأن يتورط الشخص في قتل الأبرياء وظلمهم وسلب

حقوقهم، لأنّ المجتمع الذي يعيش فيه يريد ذلك.

ب. **الفضائل الدينية الشرعية:** تعني إصلاح النفس وتعديل ملكاتها من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى وثوابه، وهي فضائل واقعية، وطريق إلى الكمال الإنساني والسعادة الحقيقية.

ج. **الفضائل الدينية العرفانية:** تعني إصلاح النفس وتعديل ملكاتها حباً لله ذي الجلال والإكرام والانقطاع إليه عن غيره والفناء فيه والبقاء به، فلا يحبّ شيئاً إلّا له وفيه، ولا يريد إلّا وجهه، ولا شغل له بثناء جميل من أحد غيره، ولا بجنة ولا بنار، وإنما همّه ربه ذو الجلال والإكرام، ودليله حبّه، وزاده ذلّ

العبودية إلى ربّه ومعشوقه، ونحو ذلك.

والخلاق: ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه.

والخليق: الجدير بالشيء كأنه مخلوق فيه، مثل: زيد خليق بالشجاعة.

والخلقة: الفطرة.

والأخلاق النسبية: هي مجموع قواعد السلوك المقرّرة في زمان معيّن لمجتمع معيّن، وتقابلها **الأخلاق المطلقة:** وهي مجموع قواعد السلوك الثابتة التي لا تتغيّر ولا تتبدّل، وتصلح لكل الأفراد في كل المجتمعات في كل زمان، مثل: الشجاعة والعفة والصدق والوفاء ونحوها.

والتقدم الخلقي: مطابقة السلوك العملي لقواعد الأخلاق النظرية من أجل حياة إنسانية

أفضل وأطيب.

وعلم الأخلاق: يسمى الحكمة العملية وفلسفة الأخـلاق، وهو العلم الذي يهتـم بمعرفة الفضائل ويبين حدّ كل واحدة منها، ويبيّن كيفية التحلي بهـا واتخاذهـا ملكة راسـخة فـي النفس، ومعرفة الرذائل، وتبيين حدّ كل واحدة منها ويبيّن كيفية التخلـي منهـا وتصفية النفس وتهذيبها، ويعرف به صلاح أحوال النفس وفسادها.

والأخلاقي: المنسـوب إلى الأخلاق، والمتعلّق بالحكمـة العمليـة، والمعنوي المتعلّـق بالنفس في مقابل المادي المتعلّق بالجسد.

وإذا أضيف لفظ الأخلاق إلى لفظ آخر: دلّ على مجمـوع قواعـد السـلوك المتعلّقة بالشـيء الذي يـدلُّ عليـه ذلـك اللفظ، مثـل: أخـلاق الموقف،

وأخلاق الواجب، وأخلاق المهنة.

وإذا أضيف لفظ الأخلاق إلى جماعة مُعيّنة: دلّ على مجموع قواعد السلوك الخاصة بتلك الجماعة مثل: أخلاق العرب، وأخلاق الفرس، وأخلاق المسلمين، وأخلاق الملحدين ونحو ذلك.

والأخلاق الإسلامية: هي مجموع الأفعال التي تقوم على قواعد عامة ثابتة مستمدة من العقيدة والشريعة الإسلامية، وقيل: الأخلاق في الإسلام ليست جزءاً من الإسلام، بل حتى روحه وجوهره، وفي الحديث الشريف عن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: «**إنّ أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم أخلاقاً**»[1]، وفي الحديث الشريف عن

١- تحف العقول، صفحة ٣٩

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: **«حسن الخلق خير قرين، وعنوان صحيفة المؤمن حسن خلقه»**[1].

وتحتلُّ الأخلاق في الإسلام أهمية فائقة، في الحديث الشريف عن الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال: **«إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»**[2]، وفي الحديث عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: **«إنّ الله جعل مكارم الأخلاق وصلة بينه وبين خلقه، فحسب أحدكم أن يتمسك بخلق متصل بالله عز وجل»**[3]، وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إنّ الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي

١- تحف العقول، صفحة ١٤١

٢- بحار الأنوار، جزء ١٦، صفحة ٢١ - كنز العمال، الحديث: ٥٢١٧

٣- نثر الدرر، جزء ١، صفحة ٣٠٤

المجاهدين في سبيل الله يغدو عليه ويروح»[1].

والأخلاقية: تطلق على الأمر الذي يتضمن الاختيار ومعنى الخير والشر، ويقتضي تصور الفعل والقصد منه، وتنقسم إلى قسمين: أخلاقية إيجابية تتعلق بالأفعال الحميدة، وأخلاقية سلبية تتعلق بالأفعال المذمومة، ويقابلها: الأمر الذي هو بمعزل عن الأخلاق، مثل: الأفعال الاضطرارية وغير الاختيارية وسلوك الحيوان، فلا توصف بالأخلاقي ولا باللاأخلاقي، يقول العلامة المطهري: «إنّ أعمال الإنسان تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

١. أعمال أخلاقية حين يكون أرفع من الحيوان.

١- بحار الأنوار، جزء ٦٨، صفحة ٣٧٥

٢. أعمال منافية للأخلاق حين يكون أدنى من الحيوان.

٣. أعمال لا أخلاقية، أي: لا علاقة لها بالأخلاق أصلاً.»[١]

وإذا أطلق لفظ الأخلاقية على مبادئ السلوك: دلّ على القيم المطابقة للمثل العليا الأخلاقية.

وإذا أطلق لفظ الأخلاقية على السلوك العملي: دلّ على مطابقة هذا السلوك لمبادئ الأخلاق.

يقول الفخر الرازي: «**الإنسان له قوتان: قوة نظرية وقوة عملية، والدين يرجع إلى كمال القوة النظرية، والخلق يرجع إلى كمال القوة العملية**»[٢]، ويقول العلّامة الطباطبائي: «**الآراء والعقائد التي يتخذها**

١- الإنسان الكامل، الشهيد مرتضى مطهري، صفحة ١٦٤

٢- التفسير الكبير، الفخر الرازي، جزء ١٠، صفحة ١٠١

الإنسان إما نظرية لا تعلّق لها بالعمل من غير واسطة، كالمسائل المتعلّقة بالرياضيات والطبيعيات وما وراء الطبيعة، وإما عملية متعلقة بالعمل بلا واسطة، كالمسائل المتعلقة بما ينبغي فعله وما لا ينبغي، والسبيل إلى القسم الأول (النظري) هو اتباع العلم واليقين المنتهي إلى برهان أو حس...، وفي القسم الثاني (العملي) اتباع ما يوصل إلى الخير الذي فيه سعادة الإنسان أو النافع فيها، واجتناب ما ينتهي إلى شقائه أو يضره في سعادته»[1].

والمذهبية الأخلاقية: هي النظرية التي تقرر أن للأخلاق قيمة مطلقة، وتقابلها المذهبية اللاأخلاقية: وهي النظرية التي تنكر قيم الأخلاق، أو تغير ترتيبها الموضوعي، مثل: مذهب

١- تفسير الميزان، العلّامة الطباطبائي، جزء ١، صفحة ٣٨٩

الفيلسوف الألماني نيتشه (١٩٠٠-١٨٤٤م) الذي استبدل الأخلاق المسيحية القائمة على المحبة بقيم أخلاقية تقوم على إرادة القوة وعبادة الإنسان الأعلى.

العظيم:

السيد والرفيع القدر والكبير، وقيل: أول الوضع كان للأجسام، وأصله كبر عظمه، ثم استعمل لكل شيء كبير محسوساً كان أو معقولاً، وعيناً كان أو معنى، مثل: الربّ العظيم، والعرش العظيم، والجبل العظيم، والإنسان العظيم، والجيش العظيم، والمال العظيم، والعذاب العظيم، والملك العظيم، والنبأ العظيم، والفكر العظيم، والحبّ العظيم، والجمال العظيم ونحو ذلك. ويستعمل العظيم في الخير وفي الشر، فيقال:

الفضل العظيم، والظلم العظيم.

وعَظُمَ الشيء: كَبُرَ.

وأعظم الأمر: صار عظيماً.

وأعظمه الأمر: هاله واستعظمه: عدّه عظيماً.

ومعظم الشيء: أكثره وجله.

والعظيم: من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي جلّ عن حدود العقول فلا تدرك العقول كنهه وحقيقته، وقيل: لغلبته على الأشياء وقدرته عليها، ولأنّ كل شيء سواه هو ذليل خاضع له، وقيل: لأنه الخالق للخلق العظيم، وفي الحقيقة: يعتبر كل عظيم غير الله سبحانه وتعالى ناقص؛ لأنه إنما وُصِفَ بالعظيم بالإضافة إلى غيره، أما هو في نفسه ناقص وفقير ومحتاج إلى غيره، أما الله سبحانه وتعالى فهو عظيم مطلق في ذاته

وصفاته وأفعاله وجميع كمالاته.

وقيل عن الفرق بين الكبير والجليل والعظيم: أنّ الكبير راجع إلى كمال الذات، والجليل راجع إلى كمال الصفات، والعظيم راجع إلى كمال الذات وكمال الصفات.

وقيل: الجلال يستعمل في غير الأجسام، والعظيم يستعمل في الأجسام وفي غير الأجسام.

وقيل: العظيم نقيض الحقير، والكبير نقيض الصغير، وقد يكون الشيء كبيراً ولا يكون عظيماً، وقد يكون صغيراً ولا يكون حقيراً؛ لأن العظيم يكون بصفات الشيء المعنوية وليس بصفاته الحسية.

وقيل عن الفرق بين الكثير والعظيم: أن الكثير يستعمل في الأجزاء المنفصلة ولا يستعمل في

الأجزاء المتصلة، فيقال: المال الكثير، ولا يقال: الجبل الكثير، والعظيم يستعمل في الأجزاء المنفصلة وفي الأجزاء المتصلة، فيقال: المال العظيم، والجبل العظيم.

والعظمة: الكبرياء والجبروت والفخامة.

والعظيمة: النازلة الشديدة.

والمعاظم: الحرمات والحقوق.

والتعظيم: التبجيل. وعظّمه وأعظمه: بجّله ووقّره وفخّمه.

والتعظّم: الكبر والزهو والتجبر.

واستعظم وتعظّم: تكبر.

وتعاظم: تصنّع العظمة.

وجنون العظمة: حالة نفسية مرضية شاذة

يصاحبها الشعور الكاذب الوهمي بالقدرة والعظمة، تدفع صاحبها إلى المبالغة في تقدير نفسه وفي طموحه ومطامعه، فيخترع حوادث خيالية وهمية تناسب شعوره الكاذب بالقدرة والعظمة، فيتوهم أنه إله أو نبي أو قدسي أو أنه أعظم الناس منزلة ومكانة وأعلاهم مرتبة وأرفعهم درجة ونحو ذلك من الأوهام التي لا أساس لها ولا حقيقة ولا واقع إلا في خياله المريض وتصوراته الشاذة.

الأفكار الرئيسية والمضامين العامة للآية

أي: لقد منّ الله تبارك وتعالى عليك يا محمد وأدّبك فأحسن تأديبك حتى أصبحت على خلق عظيم لا نظير ولا مثيل له في غيرك من البشر، حتى أنّ العقول لتحار في إدراك سمو

روحك وحقيقة خلقك لفرط عظمته، وهو خلق عليٌّ حتى على الأنبياء الكرام عليهم السلام الذين هم خلاصة البشرية في مسيرتها وتجاربها المعرفية والتربوية والحضارية، فليس منهم أحد في مثل درجتك ومنزلتك الرفيعة ومكارم أخلاقك العظيمة وخصالك الحميدة وسمو روحك، فقد نلت أكملها وأجلّها وأكثرها سمواً وشرفاً، وصارت فيك أقصى ما يمكن أن يصل إليه إنسان على الإطلاق، فالأنبياء الكرام عليهم السلام هم خلاصة البشرية، وأنت خلاصة الخلاصة وجوهرة الوجود كله الذي لا نظير له ولا مثيل ولا يكاثر؛ لأنك صنيعة ربّ العالمين وتربيته وصفوته وخيرته من خلقه، وفي الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن الله عزّ وجلّ أدب نبيه فأحسن**

أدبه»[1]، فلديك يا محمد، ملكة نفسية راسخة فريدة من نوعها لا يشاركك فيها غيرك، تصدر عنها الأفعال الحميدة، مثل: البشاشة والإبتسامة وطلاقة الوجه، والحكمة وسلامة المنطق وحسن الهدى، والاستقامة على الصراط المستقيم ونهج الاعتدال القويم والطريقة الوسطى المثلى، والزهد في الحياة الدنيا وزخرفها وزينتها والشجاعة، والثبات على طريق الحق والصبر على الأذى وتحمل المصائب والمتاعب في طريق الدعوة الإلهية، والتوكل على الله عَزَّ وَجَلَّ والتسليم لأمره في كل شيء وفي جميع الأحوال والظروف، وحسن معاملة الناس ومعاشرتهم والتسامح معهم والرفق واللين والمداراة والتواضع لهم والتحبب إليهم بالقول والعمل، والعفو عن المخطئين المسيئين

١- الكافي، جزء ١، صفحة ٢٦٦

والمتجاوزين وحسن مخالفتهم، وسعة البذل وكثرة العطاء ونحو ذلك، وكلها تصدر عنك بتلقائية ويسر وسهولة؛ لأنها طبعك الثابت والملازم لك، وحقيقة نفسك التي لا تنفك عنك ولا تفارقك ولا تفارقها، قول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[1]، الكلام على لسان الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله، أي: ما أنا متكلفاً فيما يظهر لكم من أخلاقي وتصرفاتي وخصالي، وما أنا من الذين يتصنّعون ما ليس لهم من الخصال والملكات، ويدَّعي أمراً ليس له كذباً على الله سبحانه وتعالى وعلى الناس؛ لأنّ المتكلّف لا يدوم أمره طويلاً بل سرعان ما يزول وينكشف أمره ويظهر على حقيقته ويعود إلى طبعه الراسخ وملكته الثابتة وينفضح أمره بين الناس ويظهر.

١- ص: ٨٦

الرسول مثال الإنسانية الكاملة

لقد تحلّى الرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله بجميع صفات الكمال الإنساني الممكنة، وكانت مثال الإنسانية الكاملة ونموذجها الأتم والأكمل، وكانت صفات الكمال والخصال الحميدة ظاهرة منه وراسخة ثابتة لديه، وملازمة له لا تفارقه ولا تنفك عنه، وكان في الذروة العليا وأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان من الكمال في جميعها، فقد جمع كل الكمالات والصفات الحسنة الجميلة التي كانت متفرقة في جميع الأنبياء الكرام عليهم السلام قبله، وقد تفوّق على كل واحد منهم فيما تفوّق هو فيه على غيره، فلم يكن أحد منهم مثله أو نظيراً له في أية صفة من صفات الكمال، ولم يتيسر لأحد منهم ما تيسر له من الكمالات والخلق العظيم،

ومن المستحيل أن يأتي بعده مَن يتفوّق عليه أو يكون أفضل منه، فهو أفضل الأولين والآخرين.

وقيل: إنّ لفظ (على)، في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] يدلُّ على الاستعلاء المجازي، مما يفيد التمكن والاستيلاء على جميع صفات الكمال والخلق العظيم، وأنه بالنسبة إليها كالأمير إلى المأمور، وكالمولى بالنسبة إلى العبد.

وقيل بحق: ما وصف الله ﷻ أحداً من أنبيائه ورسله الكرام عليهم السلام بهذا الوصف ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2] قبله، يقول الفخر الرازي: «إنّ الله تعالى وصف ما يرجع إلى قوته النظرية (يعني

١- القلم: ٤

٢- نفس المصدر

النبي محمد ﷺ) بأنه عظيم، فقال: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[1] ووصف مايرجع إلى قوته العملية بأنه عظيم، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، فلم يبق للإنسان بعد هاتين القوتين شيء، فدلّ مجموع هاتين الآيتين على أنّ روحه فيما بين الأرواح البشرية كانت عظيمة عالية الدرجة، كأنها لقوتها وشدة كمالها كانت من جنس أرواح الملائكة»[3].

وبهذا الكمال الإنساني النموذج المنقطع النظير كان خاتم النبيين عليهم السلام وصاحب أفضل وأكمل رسالة وشريعة، وصاحب الكتاب

١- النساء: ١١٣

٢- القلم: ٤

٣- التفسير الكبير، جزء ١٠، صفحة ٦٠٢

السماوي الكامل الذي فيه تبيان كل شيء، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل العزيز الحكيم، فبين كمال الإنسان والخلق العظيم، وبين خاتمية النبوة والرسالة، وكمال الرسالة والشريعة والكتاب، صلة وثيقة لا تنفك ولا تنقطع.

المراد بالخلق العظيم عند الرسول

وقد تنوّعت الأحاديث الشريفة النبوية وعن أهل البيت عليهم السلام وكثرت في وصف الخلق العظيم للرسول الأعظم الأكرم صلى الله عليه وآله وشرحه وبيان ما هو، وبيان أصوله وأبعاده، منها:

١. في الحديث الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «على دين عظيم»[1]، وعنه عليه السلام

١- تفسير القمي، جزء ٢، صفحة ١٧

أنه قال: «**هو الإسلام**»[1]، فبيّن بأنّ المراد بالخلق العظيم هو الدين والإسلام، بمعنى: أنه يتحلّى بالفضائل والمكارم والكمالات والخلق العظيم البالغ أشد الكمال الممكن في طبع الإنسان وجنسه، الذي أُمِرَ به في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية المطهرة، مثل: قول الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[2] وفيها يأمر الله جَلَّ جَلَالُهُ رسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بثلاثة أمور جامعة لأمّهات الأخلاق، فيما ينبغي أن يعامل به الناس، وهي:

أ. **خُذِ الْعَفْوَ:** أي: تسهّل ما أمكن في معاشرة الناس وصحبتهم ومعاملتهم،

١- معاني الأخبار، صفحة ١١٨

٢- الأعراف: ١٩٩

ليس في أمر العقيدة والشريعة، فهذا مما لا يجوز فيه التساهل، وإنما في المعاملة والمعاشرة، فاترك التشدّد والتعبير والغلظة والفظاظة والخشونة ونحو ذلك، واقبل اليسير منهم، فلا تُكلّفهم ما يشقّ عليهم وما لا تسمح به طبائعهم، واعف عن أخطائهم، وتجاوز عن نقصهم وتقصيرهم، ولا تطلب منهم الكمال، وتسامح معهم وأغض عن ما يسوؤك منهم، ولا تؤاخذهم بجفائهم وسوء خلقهم ونحوه، واستر عليهم حتى يميلوا إليك ولا ينفكوا عنك، مما يؤدّي إلى رفع معنوياتهم، وتجديد شخصياتهم، ويزيل عنهم العقد

النفسية، ويزيد في فاعليتهم الرسالية والاجتماعية.

ب. **وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**: أي: وأُمِرَ بالخير الواضح، وكل خصلة حسنة وسيرة جميلة، وكل ما فيه النفع والصلاح للناس، الموافق للفطرة وتقرّه العقول، ولا يحتاج إلى مناقشة وجدال؛ لأنّ هذا المعروف هو أساس هداية الناس وانقيادهم، فلا يصد أنفسهم شيء عن الهداية والانقياد أكثر من المشقة والتعقيد والغموض في الأمور.

ج. **وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**: وهم المتعصّبون الجهلة الذين يعانون من التحلّل الأخلاقي والانحطاط الفكري والروحي،

فلا ترجى هدايتهم بالحجة والدليل والبرهان، ولا بالنصح والموعظة والارشاد، وذلك بمداراتهم واللطف بهم، ومقابلة سفههم بالأناة والحكمة والحلم، وليس مقابلة الإساءة بالمثل، ولا تمارهم ولا تدخل معهم في جدال عقيم لا ينتهي إلى شيء إيجابي مفيد ونافع، فهذا الإعراض هو أقرب الطرق لإبطال جهالتهم وحماقتهم وإخراج ما فيهم من خير إن وجد، وربما يكون سبباً إلى تذليل نفوسهم وتهذيبها، فيتسرب نور الهداية والإيمان إلى قلوبهم، فإن لم يحدث هذا فقد أدّيت الذي عليك، وأقمت الحجة عليهم من كل جانب

نظري وعملي، وربما عزلتهم عن الطيبين من الناس، إذ يرون منك الصبر والتحمل واللين والعطف والرحمة وترك اللغو فيميلوا إليك، ويرون منهم الجهالة والحمق والسفاهة والإساءة والعناد والمكابرة، فيسقطوا من أعينهم ويتركوهم.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: **«ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها»**[1] وقيل: خُذ العفو يفيد الإعتدال في القوة الشهوية، وأمر بالعُرف يفيد الإعتدال في القوة الغضبية، وأعرض عن الجاهلين يفيد الإعتدال في القوة العقلية، مما يدل على أن الآية الكريمة رغم

١- الكشاف، جزء ٢، صفحة ١٩٠

قصرها فهي تتناول أصول أمّهات الفضائل في قوى النفس الثلاث.

وبخصوص خُلق النبي محمد ﷺ وصلته بالإسلام والقرآن: «**سُئلت أم المؤمنين عائشة عن خُلقه، فقالت: كان خلقه القرآن**»[1] أي: أنه تحلى على أكمل وجه وأتمه، بكل ما أمر به القرآن الكريم من الفضائل، وتخلّى تماماً عن كل ما نهى عنه القرآن الكريم من الرذائل وسوء الخلق، وكان على أكمل صورة في جميع ذلك، وهذا شيء منطقي وموافق لمبادئ القرآن الكريم والشريعة الإسلامية المقدسة؛ لأنّ الكتاب أُنزل وفرضت الشريعة من أجل هداية الناس وتربيتهم، وفي مقدمتهم وعلى رأسهم صاحب الشريعة نفسه؛ لأنه مكلّف بأنْ

١- التفسير الكبير، الفخر الرازي، جزء ١٠، صفحة ٦٠٢

يكون تجسيداً حياً وتجلياً أعظم للقيم والمبادئ (قواعد السلوك) التي يدعو الناس إليها، ويكون قدوة وأسوة للناس وحجة عليهم في ذلك، فيبدأ بنفسه في تطبيقها والعمل بها، ثم يدعو الناس إليها ويطلب منهم العمل بما دعاهم إليه والاقتداء به في ذلك، قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]، وقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٢]، مما يدلّ على صدق النبوة والرسالة، وتيسير السبل لنجاح الرسالة وانتشارها، فكان بحق وحقيقة أعرف الناس بالله ذي الجلال والإكرام، أعبدهم

١- الجاثية: ١٨

٢- الأحزاب: ٢١

له وأطوعهم وأحسنهم أخلاقاً، فكان مركزاً للحُبّ والمعرفة، ومنبعاً للعطف والرأفة والرحمة والشفقة والإحسان والحرص على مصالح الناس وسعادتهم، فكان أكبر مظهر وأعظم تجلّي للرحمة الإلهية والهداية الربانية، ولما في القرآن الكريم والشريعة المقدسة من القيم السماوية العليا والمبادئ الربانية السامية.

٢. في الحديث الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ أدّب نبيّه صلى الله عليه وآله على محبته**»[١]، أي: فسّر الخلق العظيم بالمحبة، وهي أعلى مراتب الأخلاق ومراتب الكمال الإنساني؛ لأنها تبني التعلق بالذات الإلهية الجامعة

١- الكافي، جزء ١، صفحة ٢١٥

لصفات الكمال المطلق، صفات الجمال وصفات الجلال، وعشقها والإنجذاب إليها والانقطاع التام المطلق إليها عن كل شيء سواها، الفناء في الله ذي الجلال والإكرام والبقاء به، فلا يرى لنفسه ولا لغيره أي استقلال عنه، على خلاف الخلق الذي يبني على رغبة المجتمع، أو الطمع في الثواب أو الخوف من العقاب الإلهي، كما مرّ توضيحه في بيان الخلق.

مظاهر وتجلّيات أخلاق الرسول

قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا

عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

تتضمن الآيتان الكريمتان نقاطاً رئيسية عديدة، منها:

١. أنّ ما يتحلى به الرسول الأعظم الأكرم ﷺ من مكارم الأخلاق والخصال الحميدة والكمالات العظيمة، هي في الحقيقة من مظاهر رحمة الله ذي الجلال والاكرام وتجلياتها، قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ

١- آل عمران: ١٥٩

٢- التوبة: ١٢٨

﴿مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾[1]، وأبرز مظاهرها: معاملة المؤمنين بالرأفة واللطف واللين والرحمة والشفقة، والانفتاح الروحي والقلبي عليهم والانبساط وسعة الصدر وطلاقة الوجه والتفهم الواعي لأوضاعهم وظروفهم الموضوعية ولمشاكلهم الحقيقية ولنوازعهم الذاتية ومشاركتهم الفعلية الصادقة في همومهم وأفراحهم وأتراحهم، وتحمّل أخطائهم وتقصيرهم والصبر عليهم، وتجنّب القسوة والفظاظة والخشونة معهم في الأقوال والأفعال، وتعتبر هذه الخصلة الحميدة الممدوحة من أهم أسباب ميلهم إليه والتفافهم حوله والتعلّق به، ومن ثمّ هدايتهم إلى الدين

١- آل عمران: ١٥٩

الحق والخلق الكريم والسلوك المستقيم، وإيصالهم إلى كمالهم المقدّر لهم واللائق بهم تدريجياً خطوة بعد خطوة وتحصيل سعادتهم.

ولو كان جافياً سيء الخلق قاسي القلب غليظ الطبع فظاً شرساً في أقواله وأفعاله غير ذي رأفة ولا رحمة، لما كان مؤهلاً لهداية الناس وإرشادهم، ولأن يكون طريقاً لوصولهم إلى كمالهم اللائق بهم والمقدر لهم، ولتركوه ولم يسكنوا ويرتاحوا ويأنسوا به، ولتفرّقوا عنه حتى لا يبقى معه منهم أحد على الدين الحق والإسلام الحنيف، فيشمت به العدو ويطمع فيه وفي دينه وأصحابه، ولا يتمُّ له الأمر ولا تنتشر الرسالة،

على خلاف ما هو مطلوب منه ومأمور به، يقول العلّامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي:

«ومن البديهي أنّ الذي يتصدّى للقيادة لو خلى عن هذه الخصلة الهامة (العفو واللين) وافتقر إلى روح السماحة، وافتقد صفة اللين، وعامل من حوله بالخشونة والعنف والفظاظة، فسرعان ما يواجه الهزيمة، وسرعان ما تصاب مشاريعه وبرامجه بنكسات ساحقة تُبدّد جهوده، وتذري مساعيه أدراج الرياح، إذ يتفرّق الناس من حوله، فلا يمكنه القيام بمهام القيادة ومسؤوليتها الجسيمة»[1]،

ويقول العلّامة الشيخ محمد جواد مغنية:

«إنّ المقصود من بعثة الرسول هداية الخلق إلى الحق، وهم لا يستمعون إلّا لمن تميل

١- تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، جزء ٢، صفحة ٤٤٧-٤٤٨

قلوبهم إليه، وتسكن نفوسهم لديه، والنفوس لا تسكن ولا تركن إلا إلى قلب رحيم كبير، كقلب محمد ﷺ الذي وسع الناس كل الناس، وما ضاق بجهل جاهل أو ضعف ضعيف»[1]

وقيل: النبوات السماوية تقوم بأمرين: المظهرية التامة لأخلاق الله ذي الجلال والإكرام والرحمة الإلهية الواسعة الشاملة، واجتماع جميع الخصال الإنسانية في النبي من دون نقص أو شائبة، بالأمر الأول: يستفيض النبي من الله سبحانه وتعالى، وبالأمر الثاني: يخالط الناس ويعاشرهم ويعاملهم، فيفيدهم ويهديهم إلى الرشد

١- الكاشف، محمد جواد مغنية، جزء ٢، صفحة ١٨٨

والصلاح، وإلى مافيه خيرهم وسعادتهم في الدارين الدنيا والآخرة.

٢. تأمر الآية الكريمة المباركة الرسول الأعظم الأكرم ﷺ بأمور رئيسية جوهرية عديدة في تعامله مع المؤمنين، وهي:

أ. **فَاعْفُ عَنْهُمْ**: اعفُ عن مسيئهم فيما يعود إلى حقّك الخاص، واستقبلهم بصدر رحب ووجه بشوش.

ب. **وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**: استغفر لذنوبهم فيما يعود إلى حقوق الله سبحانه وتعالى عليهم.

ج. **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**: شاركهم في كل خطوة من خطوات العمل والتخطيط والبرامج الاستراتيجية العملية في الحرب والسلم، والتنمية، وجميع أمور الحياة

التي تخصّهم وتعنيهم وتعود عليهم في واقع حياتهم وتحتاج إلى نظر وتفكير واستشارة، مثل: شؤون إدارة الدولة في حالتي الحرب والسلم، والمشاريع التنموية والخدمات التي تقدمها الدولة للمواطنين، والمصالح العامة، وقضايا الأمن والدفاع ونحو ذلك، وليس الشورى في مسائل الدين التي يجب الرجوع فيها إلى الوحي والتسليم إليه فيها، قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[1]، وعليه: فالأمور تنقسم إلى قسمين:

١- الأحزاب: ٣٦

- **أمور الله سبحانه وتعالى:** وهي الأمور التي تعود إلى الله وحده، ومنها: تعيين الخليفة أو الإمام بعد الرسول، ويجب التسليم فيها إليه ولا مكان فيها للشورى.
- **أمور الناس:** وهي الأمور التي تخصّ الناس وتعود إليهم، وهي موضع الشورى بين الناس، ولهذا التشاور ثمار طيبة ومنافع ومصالح عظيمة دينية ودنيوية، منها: تطييب خواطر المواطنين ورفع روحهم المعنوية ومستوى الوعي والشعور العميق بالمسؤولية وإيجاد البصيرة النافذة لديهم في الأمور، وتوثيق عرى

المحبة والصلة بينهم وبين القيادة على أساس المسؤولية والمصير المشترك، والرفع من أقدارهم ومكانتهم وأهميتهم للدين والوطن والدولة، وإيجاد الاستقرار النفسي لديهم، وتفعيل قدراتهم ومواهبهم وإمكانياتهم واستعداداتهم لخدمة الدين والدولة والوطن، وتربيتهم على الجد والاجتهاد وتحمل المسؤولية، وتنويرهم وتأهيلهم لممارسة المراقبة والمحاسبة والمحافظة على الرسالة ومقدرات الدولة والوطن، وترسيخ حالة الممانعة وتحصين الأمة والشعب ضد اختراقات الأعداء،

وتربيتهم على الشجاعة الأدبية، وإفساح المجال أمامهم للتراجع عن الأخطاء وتصحيحها، ويعطي القيادة الشعور العميق بالثقة والمسؤولية، ويقطع الطريق على القيادات المنحرفة، ولكي لا يفرض القائد مزاجه الشخصي ونوازعه الذاتية ويقدم مصالحه على مصالح الأمة والرسالة، ولتمييز الصادقين المخلصين من الانتهازيين المتعصبين تمهيداً لوضع الشخص المناسب في المكان المناسب من قبل القيادة والشعب، ونحو ذلك من الفوائد والمنافع والمصالح

الدينية والدنيوية.

د. إذا فرغ من التشاور واتخذ القرار وعُقد الرأي على فعل شيء، فالذي يعلن القرار هو القائد الأعلى في مجلس القيادة والشعب، ويجب المضي قدماً في تنفيذ القرار بعزم وقوة إرادة، والحذر من التلكؤ والتردّد والتراخي في تنفيذ القرارات، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى الوهن والضعف والفشل، ويجب ألّا يقع الإعتماد على الرأي ولا على القوة الذاتية لتحقيق النجاح والظفر والوصول إلى ما هو مطلوب، بل يجب التوكل على الله عز وجل والإعتماد على حوله وقوته وتأييده وإعانته وتسديده

لتحقيق النجاح والفوز والوصول إلى الأصلح في النتائج المرجوة، والتبرّي من الحول والقوة الذاتية، والحذر من الغرور والتكبر الذي يقود إلى الضياع والهلاك، فلا شيء يستقلّ بالتأثير عن الله ﷻ، وهو الأعلم بالأصلح، وهو وحده الذي يقضي ما يشاء ويحكم ما يريد، فالفكر والمشورة والتخطيط والبرامج والسعي والعمل، لا تكفي وحدها لتحصيل النجاح والظفر وتحقيق المطلوب، فيجب أن ينضم إليها الإذن الإلهي، فلا محيص إذن من التوكل على الله ﷻ، فيجب أن نأخذ الأهبة وتستكمل العدة والاستعدادت، ويؤخذ

بجميع الأسباب المادية الظاهرية المأمور بها من جميع الجهات في التفكير والتخطيط والاستعداد والعمل، وترك الاستعجال والتقصير في الدراسة والتخطيط والعمل ونحو ذلك، فإذا فعلوا ذلك فقد أدّوا ما عليهم وما أمروا به من التكليف، ثم إيكال النجاح والظفر وتحصيل النتائج المرجوة إلى الله ﷻ مُسبّب الأسباب، إذ لا يقدر على ذلك ولا يملكه أحد غيره، وهذه هي حقيقة التوكل، وقد بيّن الله تبارك وتعالى أنه يُحِب المتوكلين اللاجئين المنقطعين إليه الواثقين به، الذين يملكون القوة في الصبر والإيمان والإرادة، وهو مؤيدهم

وناصرهم وهاديهم إلى الصلاح، لما يتمتعون به من الصدق والإخلاص وصفاء السريرة، ولشديد حُبّهم لله ذي الجلال والإكرام وثقتهم به واعتمادهم عليه، ولقيامهم بما يجب عليهم من المسؤوليات وما أُمِروا به من التكليف.

ويعتبر التوكل من أعظم الفضائل، وأشرف منازل الإيمان، وأعلى مراتب ومقامات الإنسانية الكاملة، وهو من خواص الأنبياء الكرام عليهم السلام والعباد المؤمنين الصالحين؛ لأنه لا ينفك عن حقيقة الإيمان وكماله.

وفي الآية الكريمة تحذير شديد من التقصير في الواجبات، ومن الغرور والاستقلال عن الله عز وجل في أي من الشؤون الخاصة والعامة، وفيها تشويق

وترغيب في محبة الله ذي الجلال والإكرام التي هي من أعظم الكمالات وهي الخير الجامع، والانقطاع إليه عن كل شيء سواه، وفي الجد والاجتهاد وبذل الوسع والطاقة في جميع الأعمال وتحمل المسؤوليات والقيام بجميع الواجبات، وفي التوكل على الله ﷻ والثقة به.

نتائج مهمة

ونتوصل مما سبق إلى النتائج المهمة التالية:

١. إنّ الحكومة الإسلامية والجماعة المؤمنة ذات صبغة إنسانية قيمية راقية، وأنها دستورية منظمة وشورية عادلة، وليست مادية أو مستبدة أو ظالمة.

٢. إنّ الشورى مبدأ أساسي وثابت في إدارة

الدولـة الإسـلامية الراشـدة والجماعـة المؤمنة الناصحة وتدبير شؤونهما، ولا يجوز إبطال الشـورى أو تعطيلهـا تحت أية حجة أو في ظل أي ظرف من الظروف أو حال من الأحوال.

٣. إنّ الشـورى قد تتسـبب فـي بعض الأحيان فـي حصـول نتائـج سـلبية، وهـذه حالات إسـتثنائية لا يؤخذ بها ولا يعوّل عليها، وأنّ نتائجهـا الإيجابيـة كثيـرة وثابتـة بحيـث لا تقـاس بهـا النتائج السـلبية، والشـورى من علامـات الصـدق والحكمـة فـي التدبيـر، ومـن معالـم الإنسـانية ومظهر مـن مظاهـر الكرامـة، والأمـة التـي تقـوم بتدبيـر أمورهـا علـى الشـورى يقـلّ خطؤهـا وتنـذر عثرتها،

على خلاف الدكتاتورية والاستبداد التي هي من معالم الانحطاط، ومظهرمن مظاهر الحيوانية المتوحشة والشيطانية الخبيثة.

٤. يجب أن يكون القائد الإسلامي على درجة عالية من حسن الخلق، ولا يكفي أن يكون على درجة عالية من العلم والخبرة، وهذا شرط لنجاح القائد في مهامّه الرسالية والإنسانية والحضارية.

الأقوال حول إلزامية الشورى

وبخصوص إلزامية نتائج الشورى للقيادة العليا، هناك قولان رئيسيان، وهما:

أ. إنّ الأمربالشورى للندب وليس للوجوب، وأنّ الإمتثال لما تتمخض عنه الشورى من

نتائج غير واجب ولا مزلم للقيادة العليا؛ لأنّ الهدف من الشورى معنوي، وهو تطييب خواطر المؤمنين، وهو الأمر الذي تفرضه العلاقة الإنسانية والروحية التي تربط بين القيادة والأتباع.

ب. إنّ الأمر بالشورى في الأمور التي تعود إلى الناس فيما هو تدبير بشري وليس فيما هو تكليف شرعي للوجوب وليس الندب، قول الله تعالى: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ﴾[1]، وأمّا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾[2] هو أمر تنظيمي وإداري بحت؛ لأنّ القائد الأعلى هو المسؤول عن تنظيم عملية التشاور وإدارتها، وإعلان النتائج

١- الشوى: ٣٨

٢- آل عمران: ١٥٩

وإمضائها بعزم وثبات، ولا يدلُّ على الندب أو الإستحباب.

وبناءً على ما سبق: يجب التمييز بين ثلاثة أنواع من الإدارات:

- **الإدارة المعيّنة:** مثل: الحكومة، وإدارة الشركة، ويعود القرار النهائي فيها إلى القائد الأعلى.
- **الإدارة المنتخبة:** مثل: البرلمان المنتخب، ويُحسم القرار النهائي فيها بالأغلبية: المطلقة أو النسبية بحسب النظام الأساسي للمؤسس.
- **الإدارة المزدوجة:** مثل: إدارة الأحزاب والجمعيات الأهلية، حيث يعود القرار النهائي فيها إلى القائد الأعلى أحياناً،

ويُحسم بالأغلبية أحياناً.

والخلاصة: تتأثر مرجعية القرار في الإدارات بماهية المؤسسة.

٣. إنّ الأخلاق العظيمة للرسول الأعظم الأكرم ﷺ لا يظهر أثرها مع المؤمنين فقط، بل يشمل المؤمنين وغير المؤمنين؛ لأنه أرسل رحمة للعالمين.

فهو يتألّم لما يظهر من خصومة الجفاة القساة الغلاظ من الشقاق والعناد والسفاهة والحماقة، وما يقع عليهم من الشدائد والمكاره والمشاق والمتاعب، وما يلحق بهم من الضرر وآفات الدنيا والاخرة، ويخاف عليهم سوء العاقبة والهلاك والعذاب الأليم؛ بسبب تركهم الإيمان به والإصرار على مخالفته ومعاندته والجحود برسالته؛ لأنه

حريص على الجميع، ويريد الهداية والإيمان وصلاح الشؤون وإيصال خيرات الدنيا والآخرة والسعادة والنجاة للجميع، ويسعى جهده لإيصالهم إلى كمالهم وسعادتهم الحقيقية، ويخاف أن يخرج أحد من الناس عن السعادة والنجاة بسبب تركهم الإيمان بدينه الذي جاء به، والاصرار على معاندته والجحود برسالته، غير أنه بحكم الرابطة الروحية والإيمانية، ولما يتمتّع به المؤمنون من خصال حميدة وصفات روحية جميلة وأعمال صالحة ونافعة، فإنه أكثر رأفة ورحمة بهم من غيرهم، وهذه حالة منطقية وموافقة لمقتضى العدالة، حيث يجب التمييز بين المُحق والمُبطل، وبين المُحسن والمُسيئ.

صفات الرسول وأخلاقه

تحلّى الرسول الأعظم الأكرم ﷺ بما لا يحصى من الصفات الحسنة والخصال الحميدة، منها:

١. بالرغم من أنه نشأ في مجتمع جاهلي متخلّف حضارياً، وفي قوم هم من أشدّ الأقوام جهلاً وأبعدهم عن العلوم والفضائل، فقد امتاز بالعلم والحكمة والتعقّل ورجاحة العقل والفضيلة، وكافح الجهل والخرافة والرذيلة والتخلّف، وكان بحق وحقيقة هادياً للبشرية وسراجاً منيراً، وأعظم قائد عرفته البشرية في تاريخها، وأفضل مربي ومعلم عرفته البشرية على الإطلاق.

٢. يعتبر الرسول الأعظم الأكرم ﷺ مثال الإنسانية ونموذجها الكامل، ولقد بلغ

الذروة والمثل الأعلى للكمال الإنساني الممكن، حتى بلغ سدرة المنتهى والحدّ الفاصل بين الخالق والمخلوق في الكمال، وفاق في عبوديته الصادقة وطاعته المخلصة وعبادته لله سبحانه وتعالى وصفاء سريرته كل أحد من البشر، لا يجاريه في ذلك أحد منهم، فكان في أعلى مراتب التعبد والكمال وأكثر الناس عبادة، وأصوبهم عملاً، وأصدقهم قولاً، وأطهرهم روحاً، وأصفاهم سريرة وأخلصهم نية، وكان دائم الاتصال بالله ذي الجلال والإكرام، دائم الإنشداد والانقطاع إليه بالضراعة والابتهال والدعاء والصلاة وقراءة القرآن وسائر العبادات والطاعات وأفعال

الخير، حتى فنيت نفسه فيه وصارت العبادة جزءً من وجوده وكيانه، وكانت له ثقة مطلقة بالله ﷻ، وتسليم مطلق له، والتخلق بأخلاقه، والتوكل عليه في جميع الأمور، وقد جمع بين التعبد والقيام بالواجبات الاجتماعية ومسؤوليات القيادة، فبلغ بذلك الذروة وأقصى مراتب الكمال، حتى صار بحق وحقيقة إمام المؤمنين والقدوة الصالحة للمسلمين، يتأسون به ويقتدون به في جميع صفاته وقيمه وأخلاقه ومُثُله العليا ومبادئه السامية وجميع أفعاله، ويصدّقونه في جميع أقواله، ويتبعونه في جميع ما يأمرهم به وما ينهاهم عنه.

٣. كانت حياته كلها حافلة بالفضائل

والمكارم والكمالات، التي تكشف عن عظمة شخصيته وخلقه العظيم الأمثل، وكل ما هو أدعى لصدقه وأرجى لطاعته واتباعه والاقتداء به.

وكانت من صفاته وأخلاقه: الحكمة ورجاحة العقل، والبلاغة والفصاحة وسلامة المنطق، والصدق والأمانة والوفاء، وصفاء السريرة وقوة الروح، والشجاعة الفائقة والثبات الدائم على طريق الحق، والاستقامة على الصراط المستقيم ونهج الاعتدال القويم والطريقة المثلى الوسطى، والصبر على الأذى وتحمل المصائب والمتاعب والمشاق في طريق الدعوة الإلهية الحقة، والمحبة للناس والحرص عليهم والتسامح معهم والعفو عنهم، والحلم وسعة الصدر والأناة والروية، والرفق

والمداراة وحسـن المخالفة، والجود والكرم وسعة البـذل والعطاء، والحياء وشـدة التواضـع، والزهد البالـغ فـي الحيـاة الدنيـا وزينتها وزخرفهـا، وكان كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسّاماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، متواضعاً من غير مذلة، سهلاً ليناً قريباً من الناس، وحريصاً علـى مصالحهـم ونجاتهـم وسـعادتهم وإيصـال خيـرات الدنيـا والآخـرة إليهـم، وإزالـة آلامهـم وأحزانهـم وتخفيـف مـا يشـق عليهـم، وهدايتهـم وإرشـادهم، متحبّباً إليهم بالقول والعمل، مجيباً لدعـوة مـن دعـاه، قاضيـاً لحاجة من اسـتقضاه، جابـراً لقلب من سـأله، تـاركاً للتقاطـع والهجران، يقبل من محسـنهم، ويعفوعن مسيئهم، لا يغلط علـى أحـد فـي مقالـة، ولا يقسـو عليـه فـي فعـل،

ولا يشق عليه في طلب، ولا يطوي عنه بشره، ولا يمسك عليه فلتات لسانه، ولا يؤاخذه بما يصدر عنه من جفوة، بل يحسن إلى الجميع غاية الإحسان، ويحتملهم غاية الإحتمال، ونحو ذلك من الفضائل والمكارم والكمالات وعظيم الأخلاق.

مقتضيات رسالة الدعوة في الأمة

إنّ كون الرسالة الإسلامية المحمدية رسالة رحمة، يقتضي أن تتصف الأمة الإسلامية بصفات جوهرية عديدة، منها:

أولاً: اتصاف الأمة بالاعتدال والوسطية

أن تتصف الأمة الإسلامية وأبناؤها بالإعتدال والوسطية، وترك التطرّف والإفراط والتفريط بكافة

صوره النظرية والعملية، قول الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَاكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًا﴾[1] (انظر مقوم الإعتدال والوسطية في البحث).

ثانياً: تمسك الأمة بالدعوة إلى دين الله

أن تتمسك الأمة الإسلامية بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ونشر الرسالة الإلهية وتطبيق الشريعة والعمل بها في جميع الشؤون الخاصة والعامة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفعل الخيرات والأعمال الصالحة التي تصب في مصلحة الإنسانية وتطوّرها المعرفي والتربوي والحضاري، قول الله تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِالۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ

١- البقرة: ١٤٣

﴿الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، أي: أنتم يا معشر المسلمين، أولكم وآخركم، خير أمّة أخرجت للناس وعرفتها البشرية، وهيّأت وعبّأت لخدمة المجتمع والإنسان ومنفعة الناس، وذلك لأسباب عديدة، منها:

١. لكونكم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتُضَحّون بأنفسكم وما تملكون من أجل حفظ الرسالة ومصالح الأمة والبشرية والمجتمع الإنساني إيماناً منكم بالله ذي الجلال والإكرام وتصديقاً له وعملاً بمقتضى إيمانكم، وإظهاراً للحق والعدل والخير والفضيلة والدين الإلهي الحق، وتعملون لخير المجتمع الإنساني

١- آل عمران: ١١٠

ومصلحته وإيصاله لكماله المعرفي والتربوي والحضاري وسعادته قدر ماتستطيعون، وإعطاء كل ذي حقٍ حقه من الشعوب والأفراد، وإفساح المجال أمام أصحاب الكفاءات والقدرات والمواهب والنيّات الخيرة، ليحتلّوا مواقعهم المناسبة لخدمة الشعب والأمة البشرية على أساس الحق والعدل، وذلك كله بدافع الرحمة والشفقة على الناس.

٢. لتكميلكم أنفسكم بعقيدة التوحيد والمعارف الحقة والعلوم النافعة الطبيعية والإنسانية، والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والإيمان بالله سبحانه وتعالى إيماناً صحيحاً على الوجه الحق،

وتعتصمون بالله ﷻ وتثقون به وتتوكلون عليه وتعملون بمقتضى إيمانكم ومعارفكم الحقة وما اكتسبتم من العلوم النافعة، وتتحمّلون المسؤوليات الرسالية الجسيمة والتكاليف الشرعية في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والدين الإلهي الحق ونشره بالحكمة والموعظة الحسنة، وبكل الوسائل المشروعة المناسبة المتاحة لكم والعمل به وتطبيقه وتحكيمه في جميع الشؤون الخاصة والعامة، متفقون مُتّحدون فكرياً وروحياً وعملياً، متوادّون ومتحابّون ومتعاطفون ومتعاونون مع بعضكم البعض على البرّ والتقوى والإحسان وعمل الخيرات والصالحات

للأفراد والمجتمعات والشعوب والأمم في المجتمع الإنساني العالمي على وجه الأرض بسبب ما يجمعكم من أمر الدين والإيمان والمصير الواحد المشترك بينكم، كأنكم نفس واحدة، مما يكشف عن حقيقة الدين الإلهي الذي صنعكم وأهّلكم وأبعاده المعرفية والتربوية والحضارية، ويكشف عن حقيقتكم أنتم وعن خصالكم وصفاتكم وأعمالكم الصالحة النافعة للإنسانية، ويمهّد الطريق أمامكم لقيادة البشرية وهدايتها إلى الإيمان والدين الإلهي الحق، وإلى طريق الرشاد والصواب، وما فيه كمالها المعرفي والتربوي والحضاري، وخيرها ومصالحها الجوهرية وسعادتها

في الدارين الدنيا والآخرة، وإخراجها من ظلمات الجهالة والكفر والسفاهة والحمق إلى نور المعرفة والإيمان والرشد والحكمة النظرية والعملية.

وأنتم بهذه الصفات الجميلة والخصال الحميدة والأعمال الصالحة، قد استحقّيتم الخيرية والفضل على سائر الأمم، وهي صفات وخصال وأعمال سوف تبقى في طائفة منكم أبداً، ولن تنقطع فيكم ما دامت الحياة الإنسانية على وجه الأرض، ومن يهمل هذه الصفات والخصال والأعمال الصالحة ويتركها منكم فإنها تزول عنه الخيرية والفضل وحقيقة كونه في خدمة البشرية وصلاحها ومصلحتها، ويكون حاله كسائر أحوال الأمم الضالة والجاهلة، بل يكون في الحقيقة

أسوء حالاً منهم؛ لأنه وصل إليه من الهدى ما لم يصلهم، لكنه فرّط فيه وضيّعه ولم يكترث ولم يهتم به، يقول العلّامة الشيخ محمد رشيد رضا: «إنّ هذه الأمة ما فتئت خير أمة أُخرجت للناس حتى تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما تركتهما رغبة عنها أو تهاوناً بأمر الله تعالى بإقامتها، بل مكرهة باستبداد الملوك والأمراء من بني أمية ومن سار على طريقتهم ممن بعدهم»[1]، نعم، لقد جاء هؤلاء بأنظمة دكتاتورية منحرفة عن الدين الإلهي الحق، وبحكومات مستبدة ظالمة مفسدة، وفصلوا الدين عن واقع الحياة وعطّلوا الأحكام، ونشروا الظلم والجور والفساد، وأضعفوا الأمة وضيّعوا قدراتها ومقدّراتها، وألحقوها بالتبعية للأجنبي.

١- تفسير المنار، الشيخ محمد رشيد رضا، جزء ٤، صفحة ٥٤

وقيل: قوله تعالى: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1] أنه جعل الإيمان بكل ما يجب الإيمان به إيماناً بالله سبحانه وتعالى؛ لأنّ من آمن ببعض ما يجب الإيمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو نحو ذلك وكفر ببعض فلا يعتدّ بإيمانه، وكأنه كفر بالله ولم يؤمن به.

وقيل: قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله، في قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2] يدلّ على أهمية الفريضتين في انتشار الإيمان وتعميق جذوره في النفوس وتنفيذ القوانين الشرعية، وأن تعطيلهما يؤدي إلى ضعف الإيمان في النفوس، ويساعد على تعطيل القوانين الإلهية، وأنهما من

١- آل عمران: ١١٠

٢- نفس المصدر

مقتضيات حقيقة الإيمان وصدقه وكماله، وأنّ الإخلال بهما إخلال بالإيمان.

وقول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1]، أي: أنّ المؤمنين والمؤمنات جميعاً بعضهم أولياء بعض، ينتمون لدين إلهي واحد، ويحملون متحدين متضامنين متحابين رسالة إلهية خالدة، ويتناصرون فيما بينهم على الحق والعدل والخير والفضيلة والمصلحة العامة للأمة والمجتمع الإنساني، فمن لم ينصر إخوانه المؤمنين على الحق والعدل والخير والفضيلة والمصلحة

١- التوبة: ٧١

العامة طمعاً في الدنيا أو خوفاً من الشدة والموت وبخلاً بالتضحيات، فقد خالف حقيقة الإيمان ومقتضى الولاية الإيمانية بين المؤمنين، ويأمرون بالمعروف وهو اسم جامع لكل ما عرف حسنه بالعقل والشرع من المعارف الحقة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، وينهون عن المنكر وهو اسم جامع لكل ما خالف المعروف وينكره العقل والشرع من المعارف الباطلة والأفكار الهدّامة والأخلاق الرذيلة والأعمال السيئة، وأنهم يفعلون ذلك لصلاح مجتمعهم وأحوالهم الفردية والمجتمعية، ولصلاح المجتمع الإنساني العالمي، ويؤدّون الصلاة بصورة صحيحة كاملة تتحقق بها حكمتها وآثارها في الفكر والشعور والسلوك والمواقف والعلاقات، قول الله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾[1]، ويؤدّون جميع الطاعات والعبادات التي فرضها الله جَلَّ جَلَالُهُ عليهم، ويؤتون الزكاة ولا يبخلون بأموالهم في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، ويؤدّون جميع ما عليهم من الحقوق والمسؤوليات الاجتماعية، فتتكامل الولاية الإيمانية مادة وروحاً بالعبادات الشرعية والواجبات الاجتماعية، ويطيعون الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بتطبيق الشريعة الإلهية المقدسة والأحكام الولائية للحكومة الإسلامية في كل صغيرة وكبيرة، في الشؤون الخاصة والعامة في الحياة، ويستمرون على هذه الطاعة مهما كانت النتائج، ويصبرون على المصاعب والمحن والابتلاءات ويضحون في سبيل ما يؤمنون به ويطلبونه بحق في الحياة،

١- العنكبوت: ٤٥

وفي ذلك كله تتجسد حقيقة التوحيد وكمال الإيمان، وعليه: فالدين الإلهي الحق يقوم على العلم والعمل معاً، ولا دين ولا إيمان حقيقي صادق وكامل بدون العلم أو بدون العمل، وأنّ المتصفين بتلك الصفات العالمية المذكورة والمزايا الكاملة والسجايا الطيبة سيرحمهم الله تبارك وتعالى حتماً ولا محالة، بإنجاز ما وعدهم به وشملهم ببره وإحسانه في الدنيا بالاطمئنان الروحي والعقلي، وبالعصمة من الوقوع في الفتن، وفي الآخرة بالمغفرة والرضوان والجنة؛ لأن الله ﷻ قوي عزيز غالب على كل شيء، ولا يمتنع منه شيء يريده، فهو قادر على الرحمة والعذاب، وعلى إعزاز المؤمنين ونصرتهم، وإذلال الكافرين والمنافقين وهزيمتهم وإهلاكهم، وهو حكيم

يضع كل شيء في موضعه اللائق به، وينزله في منزله الذي يستحقه على أساس العدل والمصلحة الحقيقية للعباد، ويحكم ما يريد فلا اختلال ولا وهن ولا ضعف ولا لغو ولا جزاف ولا لعب في أعماله وأفعاله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: الحكم في الأمة بما أنزل الله

أن يلتزم الحكام المسلمون بأن يحكموا بما أنزل الله ﷻ، وبتطبيق الشريعة الإلهية المقدسة في جميع شؤون الحياة الخاصة والعامة، قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1]، وقول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]، وقول الله

١- المائدة: ٤٤

٢- المائدة: ٤٧

تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]، ووجه الجمع بين الآيات الثلاث: أنّ من لم يحكم بما أنزل الله ﷻ معتقداً عدم وجوب الحكم بما أنزل فهو كافر، ومن لم يحكم بما أنزل مخالفة مع اعتقاده بوجوب الحكم بما أنزل الله ﷻ فهو فاسق، وأنّ كل من لم يحكم بما أنزل الله من الكافرين والفاسقين فإنه يترتب على حكمه الظلم والفساد.

كما يجب على الحكام المسلمين أن يحكموا بالعدل والقسط بين الناس، وأن يصونوا الحقوق والحريات الخاصة والعامة وفق الضوابط والمعايير والأحكام الشرعية، ويصونوا الحرمات والمقدسات ويحذروا من الاعتداء على حقوق

١- المائدة: ٤٥

الآخرين ومن انتهاك الحرمات والمقدسات لما يترتب على ذلك من الأضرار والمفاسد والاضطراب الأمني والسياسي، وتعطيل التنمية الفكرية والروحية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ونحوها، ويجب أن يتحلّوا بالحرص الشديد على سلامة شعوبهم ومصالحهم، وبالمحبة لهم والرحمة والرأفة والشفقة عليهم؛ لأنها العلاقة الصحيحة الوحيدة التي تربط الراعي بالرعية والحاكم بالمحكوم، ويجب تجنّب الظلم والفساد بجميع أشكاله في الإدارة والسياسة، وتجنّب الدكتاتورية والاستبداد والحرص على المشاركة الشعبية الفعلية في التدبير وصناعة القرار؛ لأنّ الدكتاتورية والاستبداد بالرأي والظلم والتمييز بين المواطنين في الحقوق والواجبات

مخالف للروح الإنسانية ولكرامة الإنسان، فلا يفعلها ولا يقبلها من يشعر بإنسانيته وكرامته ولا تليق أبداً بأي مجتمع إنساني على الإطلاق، ووجودها يدل على ضعف الشعور والوعي بالحالة الإنسانية، وانتهاك تلقائي لإنسانية الإنسان وكرامته وحقوقه الطبيعية، وهي مخالفة لروح الدين الإسلامي الحنيف وجوهره، ولا تنسجم مع مفاهيمه التأسيسية ومقاصده وغاياته، ووجودها يوجب غضب الرب سبحانه وتعالى وسخطه وعذابه ونقمته، وتؤدي حتماً إلى الاضطراب الأمني والسياسي والتخلف الحضاري وتعطيل حركة التنمية والتقدم، وإلى الضعف والوهم وفقدان الهوية والتبعية للأجنبي، وتخلق البيئة المناسبة والتربة الخصبة لظهور العنف والتطرف

بجميع صوره الفكري والديني والسياسي وغيره، وكلها جرائم كبيرة بشعة بحق الإنسانية والدين الحنيف والأمة الإسلامية وشعوبها وتاريخها وحضارتها ومصيرها ومستقبلها، لا يقدم عليها من يمتلك مقدار ذرة من التعقل والحكمة والرشد والضمير.

رابعاً: اتصاف المسلمين بالأخلاق الفاضلة

أن يتصف المسلمون والمؤمنون الأعزاء بالصدق والإخلاص، فالصدق أشرف أخلاقيات المؤمن وأقوى دعائم الإيمان، والإخلاص من قوة اليقين وصلاح النية وبه يكون الخلاص، وأن يتحلّوا بالمبدئية (مطابقة السلوك لما يعتقده المرء من المبادئ والقيم) وحفظ العهود والمواثيق؛ لأنهما من كمال الإيمان وسجية الكرام

وعنوان الشرف والنبل وحلية العقل وزينته، وأن يكونوا أحرص الناس على مصالح الناس ومنافعهم، وحفظ الأنفس من التلف والأذى، فلا يتهاونوا بشأنها أبداً، قول الله تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، وحفظ المال العام والخاص من التلف والفساد والضياع؛ لأنّ الله ﷻ جعله قيّماً للناس، أي: الأساس الاقتصادي الذي يقوم عليه المجتمع، وصيانة الحرّيات العامة والخاصة، لا سيما حرية العقيدة والضمير؛ لأنها عنوان إنسانية الإنسان وكرامته، ونشر العدالة و إشاعة التسامح والمبادئ والقيم الإنسانية العليا في السّلم والحرب، والتحلّي باللطف واللين والرأفة والشفقة والرحمة

١- المائدة: ٣٢

والحلم وحسن الخلق والمحبة للناس، وحسن المعاملة والمخالفة؛ لأنها عنوان الرفعة والنبل والشهامة والشرف وعز الدنيا والآخرة، والسعي في قضاء حوائج الناس وفيما يصلحهم ويجلب لهم الخير والسعادة؛ لأنها شرف المؤمن وعنوان هويته ودليل رشده وحسن عقله ومفتاح الفيوض والرحمة الإلهية للعباد، وليس هناك شيء أنفع للدين الحنيف وترغيب غير المسلمين فيه وانتشاره والإقبال عليه والإيمان طوعاً وحسن سمعة المسلمين من إتصاف المسلمين بهذه الصفات الجميلة والخصال الحميدة وعملهم بمقتضى تلك القيم الرفيعة والمبادئ السامية.

وفي المقابل: يجب على المسلمين والمؤمنين الأعزاء أن يجتنبوا الكذب والافتراء، والخداع

والتضليل والالتواء والمراوغة، ونشر الكراهية بين الناس والتطرف بجميع صوره الفكرية والعملية؛ لأنها غريبة عن حقيقة الدين الإسلامي الحنيف، وعن مفاهيمه وغاياته ومقاصده، وهي دخيلة عليه بالتأكيد؛ ولأنها تخلف آثاراً تخريبية مدمّرة في النفس والمجتمع، في الدين والدنيا، وعليهم تجنّب العنف والقسوة في الأقوال والأفعال، والسعي فيما يضر الناس ويلحق بهم الأذى النفسي والمادي، ويضع الأشواك والعراقيل في طريق التنمية والتقدّم والازدهار والانفتاح والحضارة الإنسانية الرشيدة، ويشوّه سمعة الدين الحنيف والمسلمين، وعليهم أن يدركوا جيداً بأنّ الدين الإسلامي الحنيف عدل كله، ورحمة كله، وحكمة كله، وكل ما خرج عن العدل إلى

الجور، وعن الرحمة إلى القسوة والشدة والحرج والمشقة، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فهو ليس من الدين الحنيف في شيء؛ لأنّ الدين هو عدل الله بين عباده، ورحمته الواسعة بين خلقه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق نبيه ﷺ، ويجب عليهم أيضاً أن يدركوا تغيّر الواقع وتطوره، وأنّ عصرنا يختلف عن عصر النبوة والخلافة الراشدة، والمناسبة بين الأحكام والواقع؛ لأنّ العلاقة بين الأحكام والواقع كالعلاقة بين العلة والمعلول، فلا يستطيع الفقيه العادل أن يفتي في المسألة إلا بعد تشخيص الواقع، و إلا كانت الفتوى بلا موضوع وساقطة من الإعتبار العملي التطبيقي، وهذا مما يقينا من شر الجمود الفكري والتربوي والحضاري، وشر

التطرف الفكري والعملي، ويجعلنا أكثر وعياً ورشداً واعتدالاً والتصاقاً بحقيقة الدين الحنيف وجوهره وروحه، والتزاماً بمنهجه القويم وصراطه المستقيم.

ولا يصح أن يُتخذ الجهاد وهو فريضة إلهية مقدسة ذريعة للتطرّف والعنف و إلحاق الضرر والأذى بالأبرياء؛ لأن الجهاد إنما فُرِضَ من أجل إزالة العراقيل عن طريق الإيمان، ولتحقيق أهداف الدين الخيرة ومقاصده النبيلة في خدمة الإنسانية ورفعتها، وصيانة حقوقها وكرامتها، وإسعادها في الدارين الدنيا والآخرة، مثل: تخليص المستضعفين ورفع الظلم عنهم، وصيانة الحقوق والحريات والمقدسات ونحو ذلك، لا لإكراه الناس على قبول الدين والإيمان

بـه؛ لأن الإكـراه خـلاف التكليف، فـلا تكليف إلا باختيـار، ولأن الإكـراه نقيـض الحريـة والكرامـة الإنسـانية، قول الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1].

وهو سبيل لتشويه صورة الدين الإلهي الحنيف وسـمعة المسـلمين، و إعطاء صورة ظلامية سيئة مشـوّهة عنهـم لا تعكـس حقيقتهـم ولا تعبـر عـن غاياتهـم ومقاصدهـم وأن ممارسـة العنـف يعبـر عـن عقليات جاهلية، ولإشـباع رغبـات حيوانية دنيئـة، ولإرضـاء مشـاعر شـيطانية خبيثـة، مثل: التشـفي والانتقـام وحـب البـروز والزعامـة، ومـن أجـل مصالـح خاصة لا صلة لها بالدين ومصالـح الأمـة، وليـس من ورائهـا إلا الخراب والدمار ونشـر

١- البقرة: ٢٥٦

الفتن وخلق الأزمات وإعاقة التنمية والتقدم، وجر الوبال على المسلمين والمجتمع الإنساني العالمي.

فجدير بالمسلمين والمؤمنين الأعزاء أن يفكروا جيداً بمآلات أقوالهم وأفعالهم، وبأضرارها الجسيمة أو منافعها على الدين والأمة، وأن تكون لهم عناية فائقة بالأولويات الفكرية والعملية، فيكونوا على معرفة بأي الأمور والقضايا التي يجب أن تقدم وأيها التي يجب أن تُؤخّر، وأيها يستحق الاهتمام والعناية بها وأيها يجب أن تهمل، وأيها يجب أن تثار وأيها يجب أن يسكت عنها ونحو ذلك، وذلك طلباً للمصلحة العامة للرسالة والأمة، وحرصاً على الصدق والإخلاص وسلامة النية وصواب العمل طلباً لمرضات الله

سبحانه وتعالى، ولكي نتخلص مما نحن فيه من الجمود والتطرف والفتن والتباعد والتناحر والاقتتال، والاضطراب واختلال التوازن وتهديد الأمن والاستقرار وتعطيل حركة التنمية وعجلة التقدم والتطور، وظهور الهرج والمرج، وإشغال الأمة بمسائل وقضايا صغيرة وتافهة ومفتعلة لا حقيقة لها ولا أساس، على حساب مسائل وقضايا حقيقية وجوهرية كبيرة وعاجلة، مما من شأنه أن يوهن الأمة ويضعفها ويفرض عليها التبعية ويفتح الأبواب على مصاريعها للتدخلات الأجنبية الخبيثة في شؤونها الداخلية الدينية والمدينة، الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية وغيرها.

ويجب أن ينعكس ما سبق ذكره ويظهر

ويتجلّى بوضوح تام لا لبس فيه ولا غموض في أدبياتنا وأقوالنا وأفعالنا ونهجنا وسياستنا الداخلية والخارجية، التي تجسد الاستقامة على الدين الإلهي الحق والصراط المستقيم، ونهج الاعتدال القويم، والطريقة الوسطى المثلى في الحياة، فنضع الأمور في نصابها، والأشياء كلها في مواضعها، والأشخاص كلهم في منازلهم التي تليق بهم، على العدل والمساواة والاستحقاق والحكمة وهدى الرسالة والعقل والبصيرة والرشد الفكري والديني والعملي، وللمصلحة العامة الدينية والمدنية، ومن أجل مرضات الرب جَلَّ جَلَالُهُ والفوز بثوابه وجنته، وأن نحذر من اختلاق التبريرات الوهمية والمعاذير الباطلة للمخالفة إرضاءً لأهوائنا الشيطانية وشهواتها الحيوانية

وجرياً وراء مصالحنا الدنيوية الخاصة، وعليه: يجب التمييز بين منهجين:

أ. **منهج التكليف:** وهو منهج مبدئي يتعالى فوق الترهيب والترغيب والمصالح الخاصة، ويتجلّى فيه الصدق والإخلاص وسائر القيم السماوية العليا والمبادئ الإنسانية السامية في أنصع صورها، والحرص التامّ الكامل على مصالح الأمة والمجتمع الإنساني العالمي والبشرية جمعاء، وعلى سمعة الرسالة الإسلامية، وإعلاء مكانة القيم الرفيعة والمبادئ السامية على المصالح الدنيوية الفانية وتفضيلها عليها.

ب. **منهج التبرير:** وهو منهج مادي نفعي

(برجماتي) يهتم بالمصالح الدنيوية ويعلي من شأنها على حساب المعارف الحقة والقيم الروحية والأخلاقية العليا والمبادئ السامية، ويفصل كلياً وبشكل تعسفي وغير منطقي بين المعارف الحقة، وبين كمال الإنسان وسعادته ومصلحته الحقيقية في دورة الحياة الكاملة العرضية على امتداد المكان والجغرافيا، والطولية على امتداد الزمان والتاريخ، ويتجلّى فيه الكذب الخداع والتضليل والرياء والخيانة ونحو ذلك من الرذائل القبيحة في أبشع وأشنع صورها، ومن صوره القبيحة: التركيز على عنف الأفراد والمستضعفين وأخطائهم، وتجاهل عنف الأنظمة والمستكبرين

والأشراف وأخطائهم، وهو المسؤول عن الجرائم التي ترتكبها الأنظمة الدكتاتورية والحكومات المستبدة ضد شعوبها، وقتل الشرفاء والصالحين المطالبين بالعدالة والحرية والحقوق وسجنهم وتعذيبهم وتشريدهم والتضييق عليهم ونحو ذلك، والجرائم التي ترتكبها قوى الاستعمار والاستكبار العالمي ضد الشعوب والدول المستضعفة.

خامساً: تحلي المسلمين بالعدل والميل إلى السلم

تحلّي المسلمين بالعدل والإنصاف مع جميع الناس حتى مع الخصوم والأعداء والميل للسلم، قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ

وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[1]، **وقول الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]، **وقول الله تعالى:** ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3] **وقول الله تعالى:** ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ

١- النساء: ١٣٥

٢- المائدة: ٨

٣- المائدة: ٢

مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن
شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠
وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ
حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1]

الأفكار الرئيسية والمضامين العامة للآيات

وتتضمن الآيات الكريمة المباركة النقاط الرئيسية التالية، وهي:

حث المسلمين على أن يكونوا أقوياء

حثُّ المسلمين على أن يكونوا أقوياء شديدي الاهتمام والحرص والمسارعة والوفاء والمواظبة على القيام بوظائف العبودية لله ذي

١- الأنفال: ٦٠-٦٢

الجلال والإكرام، وأداء حقوق الربوبية، والقيام بالمسؤوليات والتكاليف الشرعية التي يطلبها الله ﷻ منهم في جميع الشؤون الخاصة والعامة وفي جميع الظروف، مثل: الحرب والسلم، والسعة والضيق ونحو ذلك، والاجتهاد في إقامتها وإحيائها وإظهارها بصلابة وقوة وصدق وإخلاص وعلى أتم الصور وأحسن الوجوه بالأقوال والأفعال، وأن يلتزموا بالاستقامة إذا أمروا، وأن يتبعوا منهج الاعتدال القويم والطريقة الوسطى المثلى في الحياة، ويجسدوا القيم السماوية العليا والمبادئ الإنسانية السامية قولاً وفعلاً، وفي كل الأحوال والظروف والأوضاع من غير تهاون أو ضعف أو ميل عنها لهوى أو عاطفة أو خوف أو طمع أو نحو ذلك، حتى يصبح العمل

بها طبيعة راسخة وملكة ثابتة لهم وجزءاً من أخلاقهم، فيكونوا مظهراً من مظاهر صفات الله ذي الجلال والإكرام، ودعاة حقيقيين صادقين إلى الله ﷻ بأعمالهم وأقوالهم وأحوالهم، وعلى رأس تلك القيم وفي مقدمتها، قيمة العدل بين الناس: الأولياء والأعداء فيما يتولونه من أمرهم، فالعدل هو أشرف الفضائل وأسماها، وعليه تقوم سائر الفضائل والمكارم، وهو ميزان الله في الأرض، وعليه تتوقف استقامة الأمور، وبه يميز الصالح من الأعمال عن الطالح، فهو أساس حفظ النظام، وبه صلاح الناس وتثبيت الحقوق ويساس العباد، وهو قوام أمر الحياة والاجتماع، وقد أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بالتحلي بالعدل، وهو أمل الإنسانية وهدفها، والإسلام هو دين

الإنسانية الخالد القويم الذي يرعى حقوق جميع الأفراد والجماعات والشعوب والأمم، يقول العلامة الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: «قلّما نجد قضية أعطى الإسلام لها أهمية قصوى كقضية العدل، فهي وقضية التوحيد سيّان في تشعّب جذورهما إلى جميع القضايا العقائدية والعملية والاجتماعية والفردية والأخلاقية والقانونية، لا تنفصل مطلقاً عن حقيقة التوحيد، فلذلك لا تنفصل كل هذه القضايا ولا تخلو أبداً من روح العدل»[1].

وفي العمل بما يأمر الله ﷻ والانتهاء عمّا ينهى عنه، وتجسيداً لمحبة الله ذي الجلال والإكرام وتعظيمه والفوز بثوابه، وفي معصية مخالفته

١- تفسير الأمثل، ناصر مكارم الشيرازي، جزء ٣، صفحة ٣٧٩

والتهـاون بأمره ونهيه، اسـتهانة بالله ﷻ والتقصير فـي مراعاتـه وتعظيمه وتكبيره والتعرّض لسـخطه وغضبه وعقابه.

وقيـل: إنّ عبـارة ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾[1] هـي أبلـغ ما يمكـن أن يقال فـي تأكيد أمـر العدل والعنايـة بـه؛ لأنها أمـر بتحصيل الصفـة لا بمجرد الإتيـان بالقسـط، بمعنـى: لتكـن المبالغة منكم أيهـا المسـلمون والعنايـة بإقامـة القسـط علـى وجهـه صفـة مـن صفاتكـم، بـأن تتحـرّوه بالدقـة التامة والعناية الفائقـة في جميع الأقوال والأفعال والأحـوال والظـروف والأوضاع، حتى يكـون ملكة راسخة في نفوسكم.

١- النساء: ١٣٥

حث المسلمين على العناية بأمر الشهادة

الأمر بالعناية الفائقة بأمرالشهادة والرسوخ فيها، بأن يؤدّي المسلمون الشهادة الصادقة خالصة لوجه الله سبحانه وتعالى، بأن يراقبوا الله ﷻ ويتحرّوا في الشهادة الحق والصدق الذي أمر الله بهما واتباع شرعه الحنيف من غير ميل ولا محاباة لأحد طلباً لمرضاة الله سبحانه وتعالى وثوابه ومحبته والقرب منه، فيؤدوا الشهادة على وجهها الحق حتى لو كانت مضرّة بمصالحهم الخاصة، كأن يُقِرَوا بما عليهم للغير من الحقوق، أو كانت مضرّة بمصالح الوالدين والأقارب، مثل: الأولاد والأخوة وأبناء العمومة ونحوهم، بأن يشهد عليهم بحق الغير، وقد ذكر الله ﷻ الأبوين؛ لأنهما أحبُّ الناس وأقربهم إلى الإنسان، ولوجوب برّهما

والإحسان إليهما على الأولاد، ثم ذكر الأقربين؛ لأنهم مظنّة المودة والتعصّب لهم عند الإنسان، وعليه: إذا تصادمت المصلحة الشخصية مع الدين والعدالة، فيجب علينا أن نؤثر الدين والعدالة على مصالحنا الشخصية ونضحي بها؛ لأنه بالدين وبفضيلة العدالة يصل الإنسان إلى كماله وينال مقام القرب من الله ذي الجلال والإكرام، ويحصل على سعادته الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة، ويعتبر مقام القرب الذي ينال بالدين وفضيلة العدالة من أجلّ المقامات وأعلاها، وتعتبر العدالة مظهراً من مظاهر وحدانية الله ذي الجلال والإكرام وكمال صفاته، ومرآة لحقيقة أحكامه وتشريعاته المقدسة، إذ بها ينقطع العبد إلى الله سبحانه وتعالى عن كل شيء

سواه، فلا ينظر لهوى أو مصلحة أو لأي شيء سواه، ولا يكون لغيره فيه مطمع، يقول العلّامة الشيخ محمد جواد مغنية: «ولو قارن واحد من الناس هذه الحقيقة القرآنية مع سلوكنا، لانتهى إلى أننا نؤثر مصالحنا ومصالح ذوينا على الدين، وإذا حقّق ودقّق في البحث، آمن بأن المصدر الأول والأخير للدين عندنا هو المصلحة والمنفعة، لا الكتاب ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا هو واقعنا أو واقع أكثرنا أو واقع الكثير منا، ولكن لا نشعر بهذا الواقع ولا ننتبه إليه؛ لأن الأنانية قد طغت على عقولنا وفصلتنا عن واقعنا وعن أنفسنا وأعمتنا عن الحق، وأوهمتنا أن دين الله هو مصلحتنا بالذات، وما عداها ليس بشيء»[1] وقال: «ما رأيت آية في كتاب الله تتصل بالدين، إلا وأحسست

١- الكاشف، محمد جواد مغنية، جزء ٢، صفحة ٤٥٨

بالبعد والتفاوت بين الدين كما حدّده الله في كتابه والدين كما نمارسه في سلوكنا ... نحن نتحدث عن الدين وندعو إليه على أنه من الله، وأنه ليس لنا من أمره شيء، وأننا عبيد له تماماً كما نحن عبيد الله ... هذا ما أعلنّاه وجهرنا به ... ولكن بين الدين كما أعلناه ودعونا إليه ... وبين سلوكنا الذي وصفناه بالدين بون شاسع وتضاد واضح»[1].

ثم لفت القرآن الكريم الإنتباه إلى حال المشهود له أو عليه: كأن يكون غنياً أو فقيراً، قوياً أو ضعيفاً، فيمتنع الشاهد عن الشهادة عليه طمعاً في بره أو خوفاً من شره لغناه وقوته، أو رحمة بالفقير وتعطفاً عليه أو استهانة به وتحقيراً له لفقره وضعفه أو نحو

١- نفس المصدر، صفحة ٤٥٧-٤٥٨

ذلك، فلا يجوز الإلتفات إلى ذلك، ويجب على الشاهد أن يؤدي الشهادة على وجهها الصحيح اتباعاً للحق ورغبة صادقة ومخلصة في إحيائه وإظهاره؛ لأن مقتضى الإيمان والاستقامة على الدين الحق ورضا الرب ﷻ وكمال الإنسان وسعادته الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة والمحافظة على المصلحة العليا العامة الدين والأمة وصيانة الحقوق والمحافظة على الأمن والاستقرار ونحو ذلك، إنما هو في الشهادة الصادقة الصحيحة، وفي مخالفتها والميل إلى الأهواء النفسية والرغبات المنحرفة، تقوية إلى الباطل وتعزيز إلى الظلم والفساد وتقويض للمصالح العامة والأمن والاستقرار وتضييع الحقوق ونحو ذلك، مما يسير بالأمة في الطريق

إلى الهلاك في الدارين الدنيا والآخرة، فالشهادة بالحق دين وإيمان، فلا يكون الإنسان مؤمناً بحق وحقيقة ومستقيماً على الصراط المستقيم ومطيعاً لله سبحانه وتعالى إلا إذا تجرد من ميوله وأهوائه، وأزال عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة الحق والعدل، وأدّى الشهادة على وجهها الصحيح بدون تغيير أو تبديل أو تزييف أو تحريف قربة لله سبحانه وتعالى وطلباً لمرضاته وثوابه ومحبته وقربه والزلفى لديه.

ويؤكّد القرآن الكريم وينبّه إلى أن الله ﷻ أولى بالطاعة والطمع في ثوابه والخوف من عقابه من أي أحد كان، وأنه أَنظَرُإلى حال الناس، الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، وإرادة خيرهم ومصلحتهم والقدرة عليهم من أي أحد كان، وهو

أرحم بالناس من جميع الناس، فهو أرحم بالأبناء من الآباء والأمهات، وأرحم بالآباء والأمهات من الأبناء، فما في قلوب الآباء والأمهات والأبناء جميعاً من الشفقة والرأفة والرحمة هي من عند الله تبارك وتعالى وخلق من خلقه، مما يدل على أنه أرحم بالجميع من الجميع.

وتدلّ الآية على أمور رئيسية عديدة، منها:

أ. إنّ المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة.

ب. إنّ القيم الدينية والروحية مقدمة على القيم المادية والعصبية والقبلية ونحوها.

ج. لا يمكن للإنسان أن يوصل إلى كماله المقدر له اللائق به وتحصيل سعادته الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة، وأن

لا صلاح للإنسانية الأفراد والمجتمعات والأمم إلا بالعدالة وإقامة القسط.

د. ليس من بر الوالدين وصلة الرحم أن يعاونوا على ما ليس لهم بحق، وإنما البر والصلة حقيقة وواقعاً في الحق والعدل والمعروف، وأن الذين يتعاونون على الظلم وهضم الحقوق والفساد، إنما يتعاونون حقيقة وواقعاً على الإثم والعدوان والبغي، وهم خارجون على دين الحق والصراط المستقيم ومحاربون لله عز وجل وأعداء للإنسانية والقيم العليا والمبادئ السامية ومفسدون في الأرض.

وما سبق يدل على الأهمية البالغة للعدل وشرفه العظيم وعظيم أثره في حياة الإنسان

الفردية والمجتمعية، المادية والمعنوية، الدنيوية والأخروية، وضرورة ملازمته والثبات عليه في جميع الأحوال والظروف والأوضاع، وعليه: يجب على المسلمين بما هم مؤمنين بالله ﷻ مطيعين له ومحبين، أن يكونوا متبعين للحق، قوّامين بالعدل، وأن لا يتبعوا في شهاداتهم أمام القضاء أو في الحكم على الآراء ونحو ذلك، الأهواء المعرضة للحق وما تشتهيه أنفسهم من جلب النفع للنفس والوالدين والأقربين، ودفع الضرر عنهم، أو يمتنعوا عن أداء الشهادة أو يلوو ألسنتهم ويحرفوا النطق؛ ليخفوا معالم الشهادة بالحق خوفاً أو طمعاً أو كراهية لشيء ونحو ذلك من الرذائل الخسيسة التي تعمي البصيرة وتفسد الدين وتمنع من الكمال والوصول إلى

المقامات العالية، فليحذروا من تلك الجرائم، جريمة الشهادة بالزور، وجريمة كتمان الشهادة، وجريمة تغييرها عن وجهها الحق بطريقة تخدم ما يرغب فيه الشاهد من الباطل والظلم والجور ونحوها، والتماس المبررات الوهمية والمعاذير الباطلة التي يعلم الله سبحانه وتعالى ببطلانها وعدم واقعيتها؛ لأنّ تلك الجرائم مخالفة لحقيقة الإيمان وكماله، وتجرّ على البشرية الوبال وتسير بها في طريق الهلاك والشقاء في الدارين الدنيا والآخرة، وليخافوا من عقاب الله ﷻ لهم، وليعلموا أن الله ﷻ خبير بحقائق أعمالهم ومطّلع على دقائق الأمور وحقائق ما يخفون في صدورهم وما يعلنون، وأنه يجازيهم بما يستحقون وما هم أهل له على أعمالهم صغيرها وكبيرها بما هي عليه

في حقيقتها وواقعها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا يخدع في شيء من ذلك مطلقاً.

وقيل: التحذير يشمل القاضي أيضاً، بأن يُعرِض عن أحد الخصمين، أو يلوي عن الكلام معه ونحو ذلك، فيحكم بغير الحق والعدل، أو يترك الحكم الذي يجب عليه القيام به أو نحو ذلك مما يتعارض مع الحق والعدالة.

حث المسلمين على تحري طريق الحق والعدالة

يجب أن يتحرّى المسلمون طريق الحق والعدالة في جميع الظروف والأحوال حتى مع الخصوم والأعداء، فلا يحملهم بغضهم لقوم مشركين وعداوتهم لهم، أو لقوم اعتدوا عليهم وظلموهم، أو لقوم يتحلّون بالرذائل وقبيح الصفات ونحو ذلك، على أن ينصرفوا عن الحق

والعـدل والقسـط والإنصـاف معهـم إلـى الباطـل الظلـم والجـور والبغـي والاعتـداء عليهـم بغيـر الحق وعلى خلاف الشـريعة المقدسـة، وارتكاب مـا لا يحـلّ لهـم فعلـه، مثـل: قتـل الأبريـاء منهـم، ونقـض العهـود والمواثيـق معهـم، وكتـم الشـهادة التـي تنفعهـم ونحـو ذلـك لمجـرّد الكـره أو بدافـع الانتقـام والتشـفي ونحـو ذلـك مـن المنكـرات، فيعطّلوا بذلك صلاح أنفسهم والهبوط عن المقام الرفيـع والمنزلـة السـامية إلى حضيـض الشـيطنة والحيوانيـة، فالإيمـان الراسـخ لا يقـف فـي وجهـه شيء، وجدير بالمسلمين بما هم مؤمنين بالله ﷻ وعارفين بـه ومطيعين له ومحبين ومتبعين لدينه الحنيـف وشـريعته أن يلتزموا بالعـدل والإنصاف مطلقـاً فـي جميـع الظـروف والأحـوال والأوضـاع

ومع جميع الناس حتى مع أعدائهم وخصومهم الذين ظلموهم واعتدوا عليهم ويكرهون أفعالهم المنحرفة وصفاتهم الذميمة؛ لأن الإلتزام بالحق والعدل والفضيلة هو وحده المعبّر عن حقيقة الإيمان وكماله، وعن التقوى التي هي من أفضل الكمالات وأسماها، وعن مخافة الله ﷻ ومحبته، فكلما حرص الإنسان المؤمن على الحق والعدل والفضيلة أكثر كلما كان أقرب أكثر إلى التقوى وحقيقة الإيمان، فإن تم العدل منه كمل الإيمان والتقوى في قلبه، وفي الحديث الشريف عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**إن العدل ميزان الله سبحانه الذي وضعه في الخلق، ونصبه لإقامة الحق، فلا تخالفه في ميزانه، ولا تعارضه في سلطانه**»[1]، وقال الفيلسوف اليوناني إفلاطون

١- غرر الحكم، جزء ١، صفحة ٢١٨

(٣٤٧-٤٢٧ ق.م): «بالعدل ثبات الأشياء، وبالجور زوالها»[١]

التحذير من التبريرات الوهمية

يجب أن يحذر المسلمون والمؤمنون الأعزاء من السعي للبحث عن التبريرات الوهمية والأعذار الباطلة والاعتماد عليها لتسويق المخالفة لما أمروا به من العدل وما نهوا عنه من الظلم والجور، والاندفاع وراء الأهواء والرغبات النفسية للإنتقام والتشفي بدافع الحقد على الأعداء والبغض لهم، فإن ذلك مخالف لمقتضى حقيقة الإيمان وكماله وللتقوى التي هي أساس الكمالات الروحية وروح العبادات والطاعات والأساس الذي تقوم عليه الفضائل ومكارم الأخلاق، وهي

١- لباب الآداب، أسامة بن منقذ، صفحة ٥٧

الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب السماوية وتشريع الأحكام الإلهية، ولمحبة الله ذي الجلال والإكرام والانقطاع إليه والرغبة الصادقة في الوصول إلى المقامات العالية، وتدل المخالفة على الأنانية وقصر النظر وضعف الإرادة والتعلق بعالم الدنيا والمادة والمصالح الدنيوية العاجلة الفانية، وعلى الأمراض الروحية والنفسية، مثل: الميل إلى التشفي والانتقام ونحو ذلك، وهم يعلمون بأن الله سبحانه وتعالى خبير بحقائق أعمالهم ومطلع على نياتهم ودقائق ما يخفون في صدورهم، فهو أقرب إليهم من حبل الوريد، ولا يمكن خداعه والكذب عليه.

حث المسلمين على التعاون على البر والتقوى

حث المسلمين والمؤمنين الأعزاء على أن

يكونوا شديدي الحرص على التعاون على الإيمان والتقوى ومراقبة أمر الله ﷻ ونهيه، والإحسان إلى الناس، ونشر العلم والإيمان والأحكام الشرعية ومكارم الأخلاق وفعل الخيرات والأعمال الصالحة الظاهرة والباطنة وكل ما يحبه الله ﷻ ويرضاه، ومنها: العفو عن الناس والتسامح معهم، ومقاومة الظلم والبغض والطغيان والفساد والتخلف والتحلل والانحطاط ونحو ذلك، والتكافل والتضامن الاجتماعي على أساس الحق والعدل والفضيلة، فالقوي مسؤول عن الضعيف، والغني مسؤول عن الفقير، والعالم مسؤول عن الجاهل، وأصحاب الشأن مسؤولون عن إصلاح ذات البين ونحو ذلك، ونهى المسلمين والمؤمنين الأعزاء عن التعاون على

الإثم والعدوان، والظلم والجور والطغيان، ومقاومة حركات التحرر والإصلاح والمطالبة بالحق والحقوق، وعمل المعاصي والذنوب والخطايا والآثام والجرائم والجنايات والأعمال السيئة الظاهرة والباطنة، ومنها: التشفي والانتقام، والتآمر على دعاة الحق والإصلاح والمطالبين بالحقوق، والتعدي على حقوق الآخرين وحرياتهم العامة والخاصة، وانتهاك الحرمات والمقدسات ونحوها، وكل ما يكرهه الله ﷻ ورسوله الكريم ﷺ وما من شأنه أن يُغضِب الله ﷿ ويسخطه ويعرض الإنسان لعقابه، ويمنع الخيرات والبركات الإلهية، وذلك تحت تأثير الخوف أو الطمع أو التعصب الديني أو الطائفي او العرقي أو القبائلي أو نحو ذلك وضعف النفس والروح، فإن ذلك كله

مخالف لروح الإيمان وحقيقته وكماله وللتقوى ومخافة الله ﷻ ومحبته، ومخالف للشريعة الإسلامية وللقيم السماوية العليا والمبادئ الإنسانية السامية، ولا يمكن لمسلم أن يفعله بما هو مسلم، فيجب على المسلمين والمؤمنين الأعزاء أن يتحلوا بالتقوى ويتزينوا بالأعمال الصالحة وينتهوا عن الفجور والظلم والخيانة وعن كل ما نهاهم الله ﷻ عنه؛ لأن الله ﷻ شديد الرحمة لمن أطاعه، وشديد العقاب لمن عصاه، وعليه: فكل فعل أو خصلة من خصال الخير المأمور بها في الدين الحنيف، فعلى المؤمن المكلف أن يفعلها بنفسه ويأمر بها ويعاون إخوانه المؤمنين عليها بالقول والفعل، وكل فعل أو خصلة من خصال الشر المنهي عنها في الدين

الإلهي الحنيف، فإن على المؤمن المكلف أن يتركها وينهى عنها ويتعاون مع إخوانه المؤمنين على تركها بالقول والفعل.

حث المسلمين على إعداد القوة

حث المسلمين والمؤمنين الأعزاء على أن يبذلوا غاية وسعهم في إعداد القوة المادية والمعنوية، الفكرية والعملية والتكنولوجية والإدارية والأمنية والسياسية والاقتصادية والعسكرية، واتفاق الحكمة وتوحيد الصفوف ونحو ذلك مما هو لازم وضروري ومطلوب لتحقيق النصر والظفر على الأعداء، و إخافتهم وردعهم عن الاعتداء على المسلمين والمؤمنين؛ لأنه لا ثبات لحق وبقاء له بدون قوة فعلية تحميه، فأكثر الأعداء للدين والحق والفضيلة،

برجماتيـون مصلحيـون إنتهازيـون لا يعرفـون حقـاً، ولا يسـتجيبون لنـداء المنطـق والضمير، ولا يفهمـون غيـر منطـق القـوة الرادعـة، فـإذا كان المسـلمون والمؤمنون ضعافاً، فسوف يسحقونهم ويبتزونهـم ويفرضـوا عليهـم إرادتهـم الجائـرة، ويسلبوهم حريتهم واستقلالهم وينتهكوا حقوقهم ومقدساتهم ويضعوا أيديهم القذرة على مقدراتهم ويتحكموا في مصائرهم، كما ثبت بالتجربة وعلم بالمشاهدة!!

كما يجب علـى المسـلمين والمؤمنين الأعزاء أن يُحصّنـوا جبهتهـم الداخلية تمـام التحصين، ويبنـوا الحصـون والقـلاع، ويوفّـروا لأنفسـهم أقوى وأسـرع وأفضـل أنـواع السـلاح، مثـل: الطائـرات والصواريخ والسفن الحربية والدبابات والمدرعات

ونحوها من الأسلحة الحديثة المنظورة، ويحسنوا التدريب على استخدامها ويتخذوا جميع التدابير الحربية المطلوبة للقتال في البر والبحر والجو، لتكون قوتهم قوة رادعة تخيف الأعداء الحقيقيين الظاهرين الذين يعلم المسلمون والمؤمنون عداوتهم، والمستترون الذين لا يعرفون عداوتهم ولم يظهر إليهم وتنكشف في الحال، وتخيف الأعداء القريبين والبعيدين، وترهبهم، فلا يفكرون في قتال المسلمين والاعتداء عليهم، وهذا أمر منطقي وموافق للفطرة والطبع السليم، فقد ثبت بالتجربة التاريخية والمعاصرة وعلم بالمشاهدة والوجدان بأن لكل دعوة صالحة ومجتمع صالح يوجد هناك من يعارضهما ويعاديهما ويحاربهما ويحاول بكل وسيلة وحيلة

القضاء عليهما؛ لأنه يتضرر منهما، فمن الواجب بحكم العقل والفطرة، إيجاد القوة الرادعة الفاعلة لحمايتهما والمحافظة عليهما والدفاع عنهما.

حث المسلمين على الجنوح للسلم

وفي المقابل أمر الله ﷻ المسلمين بالميل والجنوح إلى السلم القائم على العدل وحفظ الكرامة والحقوق والأخذ به ولا يأنفوا منه، إذا مال إليه الأعداء ميل القاصد، وطلبوا الصلح وكفوا عن الحرب والقتال، ولم يظهر دليل على خداعهم وإرادتهم الغدر بالمسلمين وأخذهم على حين غرة وغفلة منهم وعدم الاستعداد للحرب والنزال، وقد أمر الله ﷻ المسلمين بالتوكل عليه في الميل للسلم والأخذ به حين يميل إليه الأعداء ويطلبوه من المسلمين، ونهاهم

عن التعذر بالخوف من الغدر والخديعة والخيانة ونحوها لرفض طلب السلم والإصرار على الحرب والقتال لأسباب وهمية وتبريرات واهية ودوافع ورغبات نفسية مريضة، وليس معنى ذلك إغراء المسلمين بالسذاجة والبساطة و إفساح المجال أمام أعدائهم لخداعهم والإيقاع بهم تحت عنوان الصلح والسلم، فإن ذلك مخالف للحكمة والمنطق والفطرة والطبع السليم، ومقتضيات حفظ الرسالة ونشرها وتطبيقها والعمل بها، ولكنه يعني في الحقيقة أموراً جوهرية عديدة، منها:

أ. إيجاد التوازن بين الاستعداد العالي للقتال و إعداد القوة الرادعة، وبين الميل إلى السلم والصلح إذا مال إليه الأعداء، وذلك لمنع البغي والطغيان والخروج

عن الأهداف الحقيقية المقدسة للقتال في سبيل الله ﷻ، ومنها: منع الأعداء على المسلمين، وتأديب المستكبرين والمفسدين في الأرض، وإفساح المجال أمام العباد لحرية الإيمان والاعتقاد، ومن أجل خير الإنسانية ومصلحتها قاطبة، والوصول بها إلى كمالها المعرفي والتربوي والحضاري المقدّر لها واللائق بها، ولكي لا يستخدم القتال لتحقيق أغراض شخصية.

ب. الدراسة الموضوعية المعمّقة الكافية للعدو والتمييز بين الأسباب الموضوعية الحقيقية، وبين الأسباب النفسية الوهمية حيث يجب الأخذ بالأسباب الموضوعية

الحقيقية والتعويل عليها، وترك الأسباب النفسية الوهمية وإهمالها وعدم التعويل عليها، والاعتماد على الجزم الموضوعي واليقين والدلائل القطعية، وليس على الشك والظن والأوهام، فإذا علموا منهم الميل بقصد إلى السلم، ولم تتوفر لديهم الدلائل القطعية على إرادة الغدر والخيانة، فيجب عليهم أن يجيبوهم إلى طلب السلم والصلح ولا يصرّوا على الحرب والقتال، ويجب أن يعلموا بأن الله جلّ جلاله رقيب عليهم ومُطّلِع على نياتهم وما يخفون في صدورهم وما يعلنون، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم، ويعلم بحقيقة أعمالهم ويجازيهم عليها كما هي عليه في الحقيقة والواقع،

وعليه: فالمسلمون والمؤمنون الأعزاء مطالبون بالموضوعية والنزاهة والروية والتجرد من الشبهات والرغبات النفسية والدوافع الشخصية، والتخلص من الأوهام الباطلة والتبريرات المختلقة ونحوها في تشخيص أحوال أعدائهم ومواقفهم منهم، وترك العجلة في التصرف معهم، وأنهم إذا فعلوا ذلك فإنهم ينفذون أوامر الدين الحنيف، ويطبّقون شريعته المقدسة كما هي، ويجسّدون القيم السماوية العليا والمبادئ الإنسانية السامية، وفي ذلك رضا الرب الرحمن الرحيم وثوابه العظيم ونعيمه المقيم، وهو الطريق الذي يوصل الإنسان إلى كماله اللائق به والمقدر له

وتحصيل سعادته الحقيقية في الدارين الدنيا والآخرة.

ج. إنّ القوة الحقيقية والشجاعة الفعلية في ميزان الإنسان المؤمن وطبقاً لمعايير السماء والإنسانية، تكمن في أن يقف الإنسان المؤمن إلى جانب الحق والعدل والفضيلة، ويفعل ما أمره الله ﷻ بثبات جنان وخطى ثابتة، لا يهتز ولا يتراجع خوفاً أو طمعاً أو كراهية لشيء، أو بسبب ضعف روحه ونفسه وتحت تأثير المبررات الوهمية والمعاذير الباطلة ونحو ذلك، وينتهي عن ما نهى الله ﷻ عنه بنفس الروح والطمأنينة والثبات، وليست القوة الحقيقية والشجاعة الفعلية في الاعتداء والظلم

والجور والبغي والطغيان والاصرار على الأخطاء ونحو ذلك من الرذائل والمفاسد، فإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف الخائف المضطرب، ويعتدي الأناني الخسيس الذي لا يعرف معنى النبل والشرف والكرامة والإنسانية، وفيما سبق تطمين من الله ﷿ للمسلمين والمؤمنين، بأنهم إذا أطاعوا الله ﷻ وفعلوا ما أمرهم به من الجنوح إلى السلم وتركوا ما نهاهم الله ﷻ عنه من اختلاق الأعذار الباطلة والتبريرات الوهمية للتملص من طلب الصلح والإصرار على الحرب والقتال ثم غدر العدو بهم من غير تقصير منهم، وأخذهم على حين غرة وغفلة من غير أن يكونوا

مستعدين للقتال، فإن الله ﷻ ينتقم لهم من عدوهم الغادر وينصرهم عليه، والله ﷻ عليم بما يسرون ويعلنون، ويسمع أقوالهم، ومطلع على دسائسهم، وهو متمكن منهم غاية التمكن، وقادر عليهم غاية القدرة، فلا يعجزه مكرهم وخداعهم وتضليلهم وخططهم واستراتيجياتهم الشيطانية الجهنمية، ولا تعجزه قوتهم وما يملكون من جند وشرطة وسلاح ونحو ذلك، فهو حسب المؤمنين المتوكلين عليه الواثقين بوعده، وهو كافيهم شرور أعدائهم الناكثين للعهود والمواثيق المطبوعين على الغدر والنفاق والخيانة، وقد ثبت بالمنطق والتجربة نصرته للمؤمنين وإغاثتهم وتقويتهم.

تنبيه المسلمين على أن لا شيء يضيع من عملهم

تنبيه المسلمين والمؤمنين ولفت نظرهم إلى أن لا شيء من جهودهم الصادقة المخلصة، وإنفاقهم القليل أو الكثير من أموالهم في سبيل الله ﷻ، خالصاً لوجهه الكريم وطلب لمرضاته وثوابه وحبه، خالياً من كل غاية شخصية أو دافع دنيوي مخالف لغايات الدين ومقاصده، مثل: التعصب القومي أو القبلي أو الطائفي أو نحو ذلك، ومخالف لإخلاص النية، لا شيء من جهودهم وتضحياتهم وإنفاقهم في سبيل الله ﷻ يذهب هدراً أو يضيع سدى، بل كل شيء من ذلك محفوظ عند الله ﷻ ومضاعف ثوابه، وترجع فائدته ومنفعته إليهم ويأتيهم أجره بالتمام والكمال في الدارين الدنيا والآخرة، ولا يظلمون

قيد شعرة بتضييع العمل أو نقص الأجر والثواب.

وبدون شك ولا ريب، وبكل جلاء ووضوح، فإن الأمر الإلهي للمسلمين والمؤمنين بإقامة العدل والجنوح للسلم، هما من أهم الجوانب العملية لإعداد الأمة الإسلامية التي هي خير أمة أخرجت للناس، وقيامها بذلك من أهم مظاهر وتجليات الرحمة الإلهية بالناس أجمعين في الرسالة والأمة.

الطريق إلى تحقيق المقتضيات المطلوبة

لكي نصل إلى تحقيق المطلوب والعمل بمقتضيات رسالة الرحمة، فإن ذلك يتطلب منا أموراً عديدة، منها:

١. البصيرة في فهم الدين الإلهي الحق،

وتصحيح الفهم الإنتقائي المغلوط والناقص للإسلام الحنيف، ولقضايا المسلمين الكبرى والجوهرية، على ضوء تشخيص الواقع تشخيصاً دقيقاً متكاملاً، ومعرفة ما أراده الشارع المقدس بشكل علمي صحيح ودقيق وكامل، وتعزيز الوسطية ونهج الاعتدال القويم، لحماية الرسالة ومصالح الأمة في حاضرها ومستقبلها، و إبعادها عن الإرتجال والرؤى المزاجية والتلوث بالأهواء الشيطانية والشهوات الحيوانية والرغبات والمصالح الدنيوية الخاصة ونحوها من الشوائب والذنوب، وصيانة الحقوق والحريات والحرمات والمقدسات، وتجنب الحرج والمشقة

والخلط ونحوها من الآفات، وذلك باتخاذ الإسلام الحنيف مرجعاً أعلى نستقي من مصادره العليا والمبادئ الإنسانية السامية والأحكام الشرعية، ومعرفة السلوك القويم والمواقف الصائبة والعلاقات المرضية عند الله سبحانه وتعالى والأفعال الحسنة والأعمال الصالحة، والتمسك بالأصول والكليات والثوابت ومحكمات الدين الحنيف بإسلوب علمي صحيح محكم، ومنهج قويم في البحث، وذلك الرجوع إلى العلماء (الفقهاء) الربانيين العدول المؤهلين لفهم الإسلام الحنيف فهماً علمياً صحيحاً ودقيقاً، وأخذ الإسلام منه، و إبرازهم للأمة من أجل بيان سماحة

الإسلام وواقعيته واعتداله ووسطيته ورحمته بالعالمين، ولرسم طريق الاعتدال الصحيح الواضح الجلي، وتبصير الأمة في أمور دينها ودنياها، ووقايتها من تيارات العنف والتطرف المنحرفة، وتحقيق الأمن والاستقرار الفكري والروحي والاجتماعي، ووضع أقدام الأمة على طريق التنمية والرخاء والازدهار والتقدم الشامل الفكري والعلمي والتكنولوجي والتربوي والحضاري؛ لأنهم ورثة الأنبياء والرسل الكرام عليهم السلام وخلفائهم، قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[1].

١- الأحزاب: ٣٩

وفي الحديث الشريف: أن لقمان الحكيم أوصى ابنه، فقال: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الله الأرض الميتة بوابل السماء»[1]، والحذر الشديد جداً من التعصب الأعمى للموروث الثقافي الضال (العادات والتقاليد الجاهلية العمياء البعيدة عن الشرع، والفهم النمطي الجامد للدين) والانغلاق عليه بعيداً عن هدى الدين الحنيف، وحاكمية الفكر والعقل والمنطق والنصوص الشرعية القرآن الكريم والسنة الشريفة، والفهم العلمي الدقيق والمحكم والواعي والمستنير للدين الحنيف ولقضايا الأمة الكبرى والرئيسية،

١- الموطأ، الحديث ١٨٢١

والرجوع إلى غير العلماء (الفقهاء) العدول المؤهلين علمياً في أخذ الفتاوى والرؤى الإسلامية، فالرجوع إليهم هو بحكم المنطق والتجربة والمشاهدة، من أهم أسباب التطرف والانحراف وانتشار العنف واضطراب الأفكار بين المسلمين لا سيما الشباب، مما جرّ على المسلمين الوبال والويلات والخراب والدمار والتخلف، وشوّه سمعة الدين والأمة، وفي الحديث النبوي الشريف: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً، اتخذ الناس رؤساء جهلاء، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا»[1]

١- صحيح البخاري، كتاب العلم

٢. ترشيد الخطاب الإسلامي وتنويره وتطويره وحسن توجيهه، وتعزيز روح الأخوة الإسلامية والإنسانية، وروح المحبة والرحمة ونهج الاعتدال القويم والطريقة الوسطى المثلى، والحذر الشديد من التطرف في الفكر والشعور والمواقف، والعنف والقسوة في الأقوال والأفعال، والجنوح في الممارسات العنيفة الشاذة، مثل: العمليات الإرهابية التي يذهب ضحيتها الأبرياء بغير ذنب اقترفوه، والحذر الشديد من الحقد الأسود الدفين، والتعصب الأعمى، ونحو ذلك من الأمراض والآفات الفكرية الروحية والأخلاقية والسلوكية المشينة، ومن التحشيد الطائفي الطائش

والجائر والمنحرف عن جادة الحق والرشد والصواب، الذي تقف وراءه الأنظمة الدكتاتورية والحكومات المستبدة وقوى الاستكبار والاستعمار العالمي، والمنابر الإعلامية المأجورة والضالة، وحملاتها الدعائية المسعورة، لتحقيق أغراض سياسية خبيثة، ويجب أن تقابل ببرامج إعلامية راشدة وفاعلة، تروّج الثقافة ونهج الاعتدال والوسطية، ونبذ العنف والتطرف.

٣. تعزيز روح الإخلاص والصدق في الإيمان واعتماد منهج التكليف، واجتناب روح الأنانية والعدوانية والتطرف والتعلّق بعالم الدنيا والمادة والمصالح الدنيوية الخاصة الطائفية والفئوية والحزبية والشخصية،

والتحلي بالعدالة والحكمة والإنصاف والرشد في المعاملة، والحرص الشديد على المصالح العامة الرسالية والمجتمعية وتجنب منهج التبرير والمعاذير الملتوي.

٤. المواجهة الممنهجة الشاملة والمدروسة لجميع صور وأشكال التطرف الفكري والعملي، بعد التشخيص الموضوعي الدقيق لأسبابه الفكرية والتربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومصادر تغذيته وتمويله بالإعتماد على مراكز علمية متخصصة ووضع استراتيجيات وخطط وبرامج عملية فاعلة وشاملة، لعلاجه معالجة ناجعة، واجتثاثه من أصوله وجذوره والقضاء المبرم عليه،

حتى يطفي الله ﷻ ناره، ويذهب بظلامه.

صدر لدار الوفاء للثقافة والإعلام

سلسلة رجالٌ صدقوا:

١. هكذا عرفوه، الشهيد رضا الغسرة

٢. المؤمن الممهد، الشهيد علي المؤمن

٣. فخر الشهداء، الشهيد عبدالكريم فخراوي

سلسلة نهج الولاية:

١. العمل المؤسساتي في فكر الإمام الخامنئي

٢. الاستغفار والتوبة

سلسلة من داخل السجن:

١. رسول الرحمة، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين (هذا الكتاب)

٢. يسألونك عن عاشوراء، محمد فخراوي
٣. الرحيل نحو الأبدية، الساعات الأخيرة للشهيد علي العرب قبل إعدامه، كمال السيّد
٤. الإسلام والعلمانية، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٥. تأملات في الفكر السياسي، الشيخ زهير عاشور
٦. التغيير في سبيل الله، الشيخ زهير عاشور

سلسلة تاريخ البحرين:

١. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٢. آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود
٣. الإبادة الثقافية في البحرين

٤. تيـار الوفـاء الإسـلامي، المنهـج الرؤيـة الطمـوح

كتب أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين:

١. رسول الرحمة (هذا الكتاب)

٢. الإسلام والعلمانية

٣. الجمري في كلمات أمينه وخليله

٤. القدس صرخة حق

٥. إضاءات على درب سيد الشهداء عليه السلام

٦. رؤية إسلامية حول الغربة والاغتراب

٧. كلمة الأستاذ في الذكرى الثامنة عشر للسيد أحمد الغريفي

٨. كلمة الأستاذ في استقبال شهر رمضان

٩. قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين عليه السلام

١٠. الدولة والحكومة

١١. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الثاني

١٢. الإنسان رؤية قرآنية - الجزء الأول

١٣. في رحاب أهل البيت عليهم السلام

١٤. الشهادة رحلة العشق الإلهي

كتب أخرى:

١. قافلة الخلود - شهداء البحرين

٢. عاشوراء البحرين 2019

٣. كتيّب المقاوم العارف، الشهيد المقاوم أحمد الملالي

٤. عاشوراء البحرين 2018

٥. الإبادة الثقافية في البحرين

٦. حصاد البحرين 2017

٧. عاشوراء البحرين 2017

٨. ذكرى استقلال البحرين بين الحقيقة والاحتلال البديل

٩. في رحاب مدرسة الإمام الخميني قدس سره

١٠. المهدوية في الفكر الولائي

١١. الحصاد السياسي 2016

١٢. بريطانيا: تاريخ من الاحتلال والدعاء لشعب البحرين

١٣. ألم وأمل، السيد مرتضى السندي

١٤. ثورة 14 فبراير في البحرين خلفياتها ومجرياتها

١٥. شهادة وطن، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم

كتب باللغة الفارسية:

١. تغيير در راه خدا (التغيير في سبيل الله)، الشيخ زهير عاشور
٢. بازخوانى خطبه هاى امام حسين (قراءة في بيانات ثورة الإمام الحسين)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٣. برآستان اهل بيت (في رحاب أهل البيت)، أستاذ البصيرة عبدالوهاب حسين
٤. رنج و اميد (ألم وأمل)، السيد مرتضى السندي
٥. گواه ميهن (شهادة وطن)، إفادات قادة الثورة المعتقلين وعذاباتهم
٦. تاريخ سياه آل خليفة (آل خليفة الأصول والتاريخ الأسود)

الغرض من الرسالة الإسلامية المحمدية الخاتمة ليس تعريف الأمة الإسلامية بالدين الإلهي الحق في خصوص عصر صاحب الرسالة، بل تعريف كل الأمة على امتداد التاريخ وعرض الجغرافيا في كل العصور، مما يتطلب تمامية طرق التعريف وتمامية الوسائل وسلامة التطبيق والعمل بالتشريعات على مستوى الأمة والدولة، وليس على مستوى الأفراد فقط.

دار الوفاء للثقافة والإعلام

ISBN 978-6-2297507-1-1

9 786229 750711